

تَارِيخ الشَّيْعَةِ

تأليف
سَمَاحَةِ الْعَلَّامَةِ الْكَبِيرِ
الشيخ مُحَمَّد حَسِينِ الْمُظْفَرِ

مُؤَرَّرٌ بِالْمَدِينَةِ
لِلطَّبَاعَةِ وَالنَّشْرِ وَالتَّوْزِيعِ
بَبْرُوت - لُبْنَان

تَارِيخ الشَّيْعَةِ

تأليف
سَمَاحَةِ الْعَلَّامَةِ الْكَبِيرِ
الشيخ مُحَمَّد حَسَنِ الْمَظْفَرِ

شبكة كتب الشيعة



مَدَارِ الْفَرْقَانِ
لِلطَّبَاعَةِ وَالنَّشْرِ وَالتَّوْزِيعِ
بَبْرُوت - لُبْنَان

shiabooks.net

رابطہ بدیل < mktba.net

جميع الحقوق محفوظة

١٩٨٥ م

الطبعة الثانية
١٤٠٨ هـ - ١٩٨٧ م

تَارِيخُ
الشَّيْعَةِ



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

تقرئ حجة الاسلام البحثة المنقب الشيخ اقا بزرك الطهراني صاحب كتاب (الذريعة) طاب رسمه بعد اطلاعه على هذا الكتاب قبل سنوات .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أقول بعد حمد الله لوليه ، والصلاة على نبيه وأوصياء نبيه ، الشيعة وما أدراك ما الشيعة ، انه قد مضت على طلوع فجرها المضي أربعة عشر قرناً ، قد نبعت فيها عشرات المئات ، ومئات الالوف من العلماء النحارير ، والشعراء المشاهير ، وقد شرحوا نظماً ونثراً ما يتعلق بشؤون الشيعة قديماً وحديثاً ، ألفوا لشرح معنى التشيع وتعيين شرائعه وتعريف أعلامه وشعائره ، ما لا يكاد يحصى ، لكن الحق الذي يحق أن يذعن به انه لم يتم لهم الا فضل السبق والتقدم ، حيث انه لم تقم تلك الكتب القيمة الثمينة بتحليل كثير مما اودع في هذا السفر الجليل ولا سيما بعدما شفع بتحليل حياة الامام الصادق عليه السلام المنشور في عصره أعلام الشيعة ، والمبثوث عنه في أقطار الارض أنواع المعارف ثم اعزاهما بثالث من بسط القول في كيفية علم الامام ومقدار ما جباه الله تعالى به من الفضل والانعام . ثم تخصيص البحث بسوانح بعض أصحابه وابوابه عليه السلام

كأبي جعفر مؤمن الطاق . وهشام بن الحكم ؛ كل ذلك في رسائل جلية غنية عن التقرير والاطراء ، حيث ان شهادة العيان تغني عن اقامة البرهان ، والمطالع فيها لا محالة يوافقنا في هذا البيان ، بل يرى انه يجري الثناء عليها مجرى مدح اللؤلؤ بالصفاء والشمس بالضياء ، فلذلك أغضيت عن تقديم المدح والثناء ، واقتصرت بالجد في الدعاء لحضرة المؤلف الذي أبدع يراع فضله هذه الدرر الايتام وهو العلم العليم العلامة البحات الثاقب ، والمؤرخ الناقد الناقب ، مولانا الشيخ محمد الحسين بن المولى الاكبر الأفخر الشيخ محمد آل مظفر زاد الله تعالى في العلماء المحققين أمثاله ، وأدام أيام افضاله علينا وعلى سائر المسلمين بحق محمد وآله الغر المكرمين صلوات الله عليهم أجمعين من الآن الى يوم الدين والحمد لله رب العالمين بدءاً وختاماً، في شوال المكرم سنة ١٣٦١.

حرره الجاني

محمد محسن المدعو باقا يزرك الطهراني

تفريظ الطبيب الماهر والاديب الشاعر ، الاستاذ الشيخ محمد الخليلي صاحب كتاب (معجم أدباء الأطباء) بمد وقوفه على هذا الكتاب واطلاعه عليه قبل عدة سنين وقد صدر سبائك اياته بلثاليء كلماته ، وارسلها ضمن كتاب الى المؤلف ، وكان المقرظ يومئذ يقيم بالكوفة .

سيدي :

ان شكر المنعم واجب ، وقد أنعمت على أبناء جلدتك بابرار هذا السفر الجليل الى عالم الوجود ، وغمرتهم وانا منهم باحسانك ، فأحببت أن أقدم اليكم شكري بهذه المقطوعة ، نائبة عني ، راجيا قبولها لا زلتم تبراسا نستهدي به ، واماما تقتني أثره ، وهي :

أنرت بسفرك هذا الجليل	طريق الحقيقة للمنصف
وأوضحت أكذوبة الناقد	البعيد عن الحق والمرجف
وجسادلتهم علنا بالتي	فبان لهم كل سر خفي
ومذ شع نور الهدى للميون	أماط دجى غيها المسد
فيا لك من كاتب بارع	ويا لكتابك من مصحف
ظفرت بما رمت من خدمة	الشريفة والحق لا يختفي

فكنت المظفر في ذا النضال وكنت الوحيد بهذا الموقف
ولا عجب حيث قد أخرجتك كليسة النجف الأشرف
هذا ما جادت به قريحتي القريبة الغور ، ولا شك انها مقبولة ان
نظرتموها بعين الرضا ولكم فائق تحياتي ، ودمتم .

المخلص

محمد الخليلي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي منّ علينا بمعرفته . ووفقنا
لتصديق نبيه (محمد) صلى الله عليه وآله
وسلم في دعوته ، وهدانا نجد الحق من
التمسك بالثقلين كتاب الله وعترته ، وصلاته
وسلامه عليه وعليهم اجمعين .



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

باعث التأليف

يزعم بعض حملة الاقلام : ان العصر الحاضر عصر العلم والنور قد أزيلت فيه حجب التمويه عن أوجه الحقائق ، فتجلت مشرقة ، وانه قد تحرى فيما ألف سبل الحق ، ولم يتخط الحقيقة فيما جمع ، وما تجده الا ضارياً على أوتار من سبقه من أبناء تلك المصور المظلمة بالعصبيات ، وناسجاً على منوالهم من تفريق الكلمة وغمط الحق عناداً .

ولئن دفع أولئك الشذاذ العصية العمياء ، أو أعشاهم الاصفر الوهاج من ملوك ذلك اليوم ومتنفذهم ، فما بال كتاب هذا اليوم تستن تلك النزعة تقليداً ، من دون أن تتورع في معرفة الاسباب الدافعة الى ذلك التحامل من أولئك الأولين .

فبدلاً من أن يجتهد هؤلاء الكتاب سعيًا في نبذ الفوارق وتوحيداً للصغوف في هذا العصر دفاعاً عن مجد الاسلام عادوا مجددين في القاء الحطب فوق النار المتأججة ، واشغال القلوب حقداً وغيظاً .

ولو ساغ للقدماء أن يمتدروا بجهلهم حال التشيع مبدءاً وعقيدة

عندما سات السلطات على الشيعة سيوف الفتك فألجأتهم التقيّة الى الاختفاء ، فلا يسوغ هذا عذراً لأبناء اليوم ، وهذه بين أيديهم كتب الشيعة وصحفهم في كل علم وفن ناثرة عن الماضي والحاضر ما يحملون من علوم ومعارف وعقائد وآداب .

وحيثما كنا نرقب من أبناء النور أن يستقبلوا مذهب أهل البيت بالترحاب والقبول لاقترانته بالبرهان وتمشيه مع الكتاب والذوق والفطرة ، نجد العشوة تحول دون النظر اليه ، بل نشاهد ونقرأ ونسمع من الغمز واللمز ما يربو على ما كان في عصر المظلمة والطمس للحقائق .

ولا نريد ان نكيل لاولئك وهؤلاء بضاعهم - وكيف نفعل شيئاً نكره - وهذا القرآن الكريم يرشدنا الى طريق الجدل فيقول :- وجادلهم بالتّي هي أحسن - وتلك تعاليم مرشديننا محمد وآله عليهم الصلاة جميعاً تلزمنا بحسن الأدب في المناظرة وتنهانا عن كثرة الجدل وان كنا على حق ، وتأمّرنّا بجميل المعاشرة ، وبالدعوة الى الحق بالاعمال قبل الاقوال .

بل لا أريد في هذه الرسالة الا ان يعلم القوم أن التشيع انحدر من عهد صاحب الرسالة لا من الفرس ولا من ابن سبأ .

ولا أحاول الا اثبات سابقة التشيع على كل نحلة من الناحية التاريخية فحسب ، ومن ثم نستعرض تاريخ التشيع من البدء ونموه في الآفاق والبلاد ، وسأملّي عليك صحائف سجلها التاريخ آملاً أن تعود

بنا جميعا اخوانا على سرر متقابلين ، ملتصقا أن يرشدني القارئ الى نواحي الخلل والاصلاح لتعاون على ابراز الحقيقة نقية من كل كدر .

معنى الشيعة :

الشيعة في اللغة الاتباع والانصار والاعوان ، ويقع على الواحد والاثنين والجمع والمذكر والمؤنث بلفظ واحد ، وأصل ذلك من المشايعة وهي المطاوعة والمتابعة ، وقد اختص هذا اللفظ بمن تولى علياً وبنيه عليهم السلام وأقر بامامتهم ، حتى صار ينصرف اليهم اذا أطلق عند الاستعمال من دون قرينة وامارة .

قال ابن خلدون في مقدمته ص ١٣٨ : « اعلم أن الشيعة لغة هم الصحب والاتباع ويطلق في عرف الفقهاء والمتكلمين من الخلف والسلف على اتباع علي وبنيه رضي الله عنهم » .

متى اختص اسم الشيعة بالوالين :

لعلك تخال أن اسم الشيعة لم يختص بأولياء أهل البيت الا بعد عهد طويل من مجيء الاسلام ، وذلك عندما كثر أولياؤهم وانتشروا في البلاد فاتحل لهم هذا الاسم ليمتازوا عن سواهم . ولكنك لو استقرت الحديث النبوي لعلمت أن هذا الاختصاص جاء مع الاسلام في يومه وكان فرعه المثمر عند أول غرسه وافراغه ، ولدريت أن صاحب الشريعة هو واضع هذا الاسم .

وهذه لواضع من حديثه أضاعها أمامك لتستطعها عن ذلك الاختصاص ، فهذا الزمخشري في (ربيع الأبرار) يروي عن النبي (ص) أنه قال : يا علي اذا كان يوم القيامة أخذت بحجرة الله وأنت أخذت بحجرتي ، وأخذ ولدك بحجرتك ، وأخذ شيعة ولدك بحجزهم ، فرى أين يؤمر بنا .

والحجرة بضم الحاء المهملة ... معقد الأزار ، ثم قيل للأزار حجرة للمجاورة ، والاخذ بالحجرة هنا كناية عن شدة الاعتصام والمبالغة في الاتباع . .

وفي « الصواعق المحرقة » لابن حجر (١) واخرج الطبراني عن علي عليه السلام ان خليلي رسول الله صلى الله عليه وآله قال : يا علي انك ستقدم على الله وشيعتك راضين مرضيين ، ويقدم عليه عدوك غضابى مقمحين ، ثم جمع على يده يريهم الاقماح .

ومن الغريب أن ابن حجر زعم : ان المراد بالشيعة هنا اهل السنة ، ولا أدري ان ذلك لترادف اللفظين أم لوحدة الفرقين ، ام لان اهل السنة أظهر في الاتباع والموالاة لآل محمد من الشيعة ، أم لماذا ؟

وقال ابن حجر ايضا : واخرج الحافظ جمال الدين الزرندي عن ابن عباس ان هذه الآية وهي قوله تعالى « ان الذين آمنوا وعملوا

١١ غريب الآية الثامنة التي أوردها في فضل اهل البيت وهي قوله تعالى « واني لنفخن في الصور لمن تائب وعمل صالحا ثم اهتدى » .

الصالحات اولئك هم خير البرية » وهي الآية الحادية عشرة من الايات التي أوردها في فضل أهل البيت : لما نزلت قال صلى الله عليه وآله لعلي هو انت وشيعتك ، تأتي انت وشيعتك يوم القيامة راضين مرضيين ، ويأتي عدوك غضابى مقمحين .

وقال ايضا بعد الآية العاشرة مما اورده في فضلهم ، وهي قوله سبحانه « ولسوف يعطيك ربك فترضى » : واخرج احمد في المناقب انه صلى الله عليه وآله قال لعلي : أما ترضى انك معي في الجنة والحسن والحسين وشيعتنا عن ايماننا وشمائلنا .

وقال : واخرج الطبراني انه صلى الله عليه وآله قال لعلي عليه السلام : ان أول أربعة يدخلون الجنة أنا وانت والحسن والحسين ، وشيعتنا عن ايماننا وشمائلنا .

وقال : وأخرج الديلمي : يا علي ان قد غفر لك ولذريتك ولشيعتك ومحبي شيعتك .

وقال : وأخرج الدارقطني يا ابا الحسن اما انك وشيعتك في الجنة . واخرج عن أم سلمة قوله (ص) لعلي عليه السلام انك واصحابك في الجنة ، انك وشيعتك في الجنة .

وقال ابن الاثير في « النهاية » في « قمح » وفي حديث علي عليه السلام قال النبي صلى الله عليه وآله : ستقدم على الله انت وشيعتك راضين مرضيين ، ويقدم عليك عدوك غضابى مقمحين ، ثم جمع يده الى

عنقه يريهم كيف الاقماح .

وقال السيوطي في تفسيره « الدر المنثور » في قوله تعالى « ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية » : اخرج ابن عساكر عن جابر بن عبد الله قال كذا عند النبي صلى الله عليه وآله فأقبل علي عليه السلام فقال النبي : والذي نفسي بيده ان هذا وشيعته لهم الفائزون يوم القيامة ، ونزلت ان الذين آمنوا ، الآية .

وقال : وأخرج ابن عدي عن ابن عباس قال : لما نزلت « ان الذين آمنوا » الآية قال رسول الله صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام : تأتي أنت وشيعتك يوم القيامة راضين مرضيين .

وقال : وأخرج ابن مردويه عن علي عليه السلام قال : قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله : ألم تسمع قول الله : « ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية » أنت وشيعتك ، وموعدي وموعدكم الحوض اذا جاءت الامم للحساب تدعون غداً غراً محجلين .

وفي غاية المرام عن المغازلي بسند عن انس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : يدخل من امتي الجنة سبعون ألفاً (١) لا حساب عليهم ، ثم التفت الى علي عليه السلام فقال : هم شيعتك وأنت امامهم .

(١) وعدد « سبعين » يستعمل في لغة العرب المبالغة عن الكثرة .

وفيه عنه ايضا بسنده عن كثير بن زيد قال : دخل الاعشى على المنصور وهو جالس للمظالم فلما بصر به قال له : يا سليمان تصدر قال : أنا صدر حيث جلست ، الى ان قال في حديثه : قال حدثني رسول الله (ص) قال : اتاني جبرائيل عليه السلام آتفا فقال : تختموا بالعقيق فانه اول حجر شهد لله بالوحدانية ولي بالنبوة ولعلي بالوصية ولولده بالامامة ولشيعة بالجنة .

وفيه عن موفق بن احمد بسنده الى سلمان الفارسي عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال : يا علي تختم باليمين تكن من المقربين ، قال يا رسول الله : وما المقربون ؟ قال : جبرائيل وميكائيل ، قال : فيما اتختم يا رسول الله ؟ قال : بالعقيق الاحمر ، فانه جبل - أقر لله بالوحدانية ولي بالنبوة ولك بالوصية ولولدك بالامامة ، ولحبك بالجنة ، ولشيعةك وشيعة ولدك بالفردوس .

وهذا غيض من فيض مما حملته اليها الاحاديث النبوية عن تسمية الرسول الاطهر لأولياء علي وأولاده بالشيعة .

وما القصد من ايقافك على هذه الروايات ان احمل لك البشائر التي بشر بها الرسول الاكرم صلى الله عليه وآله شيعة وشيعة آله ، وان كانت تلك بشائر جديرة بالحفظ والرواية ، وجدير بالشيعة ان تفخر بها عمر الدهر ، ولكن الغرض من هذا ان تقف موقف نصف من أولياء أهل البيت وتحاسب نفسك عند موافقتهم فلا تسرعن في مهاجمتهم دون جرم سوى انهم شيعة آل محمد ، فانك لو أنصفت نفسك لوجدت التشيع لهم مفخرة سامية يدعو لها الكتاب والسنة ، ولوجدت أن التسرع بالغمز

فيهم ظلم لهم ولك .

فمن هذه الاحاديث وأمثالها تعرف ان لفظ الشيعة استعماله صاحب الشريعة فيمن تولى عترته وآله ، فمن يومه كان هذا اللفظ اذا أطلق عند الاستعمال يفهم منه ان المعني به من والى علياً وبنيه عليهم السلام ، ويستجلى لك ان هذا الاسم له مسمى في ذلك العهد .

متى ابتدا التشيع ؟

لا غرو لو قلنا ، ان الدعوة الى التشيع ابتدأت من اليوم الذي هتف فيه المنتقد الاعظم « محمد » صلوات الله عليه وآله صارخاً بكلمة « لا اله الا الله » في شعاب مكة وجبالها ، فانه لما نزل عليه قوله (وانذير عشيرتك الاقربين) وجمع النبي (ص) بني هاشم وانذرهم قال (ص) اني لم يؤازرنى ليكون أخي ووارثي ووزيرى ووصيى وخليفتى فيكم بعدي ، فلما لم يجبه الى ما أراد غير المرتضى قال لهم الرسول (ص) هذا اخي ووارثي ووزيرى ووصيى وخليفتى فيكم بعدي فاسمعوا له واطيعوا .

فكانت الدعوة الى التشيع لأبي الحسن عليه السلام من صاحب الرسالة تمشي منه جنباً لجنب مع الدعوة للشهادتين ، ومن ثم كان ابو ذر الغفاري شيعاً علي عليه السلام وهو رابع الاسلام أو سادسهم (١) .

ولقد كفانا مؤنة التدليل على ما نريد محمد كرد علي في كتابه خطط الشام (٢٥١:٥ - ٢٥٦) قال : عرف جماعة من كبار الصحابة بموالاة علي في عصر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مثل سلمان

(١) الانتيعاب .

الفارسي القائل : ياينا رسول الله على النصح للمسلمين والائتمام بعلي بن ابي طالب والمواالة له ، ومثل ابي سعيد الخدري الذي يقول : أمر الناس بخمس فعملوا بأربع وتركوا واحدة ، ولما سئل عن الأربع قال : الصلاة والزكاة وصوم شهر رمضان والحج ، قيل : فما الواحدة التي تركوها قال : ولاية علي بن ابي طالب ، قيل له : وانها مفروضة معهن ، قال : نعم هي مفروضة معهن ، ومثل أبي ذر الغفاري وعمار بن ياسر وحذيفة بن اليمان وذو الشهادتين خزيمة بن ثابت وابي ايوب الانصاري وخالد بن سعيد بن العاص وقيس بن سعد بن عبادة .

قال : « واما ما ذهب اليه بعض الكتاب من أن أهل مذهب التشيع من بدعة عبد الله بن سبأ المعروف بابن السوداء ، فهو وهم ، وقلة معرفة بحقيقة مذهبهم ، ومن علم منزلة هذا الرجل عند الشيعة وبراءتهم منه ومن أقواله واعماله وكلام علمائهم في الطعن فيه بلا خلاف بينهم علم مبلغ هذا القول من الصواب ، لا ريب في أن أول ظهور الشيعة كان في الحجاز بلد المتشيع » وقال : « وفي دمشق يرجع عهدهم الى القرن الاول للمجرة » .

ان محمد كرد علي ليس من الشيعة ولا من أنصارهم غير انه رأى أن من الامانة ابداء هذه الحقيقة ناصعة دون ان يشوبها بغرض ودون أن يركن الى النزعات المذهبية التي أضاعت الحق وشوهت الحقيقة .

فهذا كرد علي بوجيز كلامه واستدلالة على نبوغ التشيع ايام صاحب الشريعة اغنانا عن المضي في التدليل على هذا الامر .

انتشار التشيع :

كانت بيعة الغدير آخر ما مهده رسول الحكمة والاصلاح لخلافة علي بعده ، فكانت حدثاً مفاجئاً للناس فقد نزل الغدير في غير وقت نزوله . كانت هناك دوحات ، فأمر ان يقيم ما تحتهن من شوك ، وكان المسلمون عند ذاك مائة الف أو يزيدون وعند خم مفترق الطرق ، فوجدها الرسول (ص) فرصة لابلاغ الحاضرين قبل أن يفترقوا وهم الرسل لتبليغ من غاب ، فكم كان الغيب الذين لم يحضروا ويبلغهم الامر أهمل يبقى احد من بني الاسلام لم تبلغه هذه البيعة يومئذ .

وقد نزل عليه في ذلك المكان قبل أن يأمر باجتماع الناس قوله تعالى « يا أيها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته » (١) ولما كان الملا الحضور بذلك العدد لا يمكن اسماعهم بغير منبر ، فصنعوا له منبراً من حدوج الابل ، والآية كما تخبرنا ان بيعة علي من الله سبحانه تنبئنا ان شأن الرسالة لا يتم بدون البيعة لعلي وبدون امامته على الناس ، وهذا جلي لمن تدبر الامر ، لان الرسول يقوم بوظائف عديدة تشريعية وتنفيذية ، سياسية ودينية ، ادارية وقضائية ، الى كثير سواها ، وكلها قائمة بنفسه ، واذا فاجأه الاجل لم يستغن الناس عن المسؤول عن هذه الوظائف سوى التشريع الذي هو من خصائص النبوة وهذه الشؤون لا يقوى على النهوض بها سوى امام معصوم يستمد علمه

(١) روى نزول هذه الآية يوم الغدير جماعة انظر - الدر المنثور - للسيوطي - واسباب النزول - الواحدي ، وتفسير الثعلبي ، والحلية لابن نعيم ، وتفسير الرازي وما سوى هؤلاء .

ورأيه من الفيض الاعلى ، ومثل هذا الامام لا يعرفه ولا يعرف كفايته
لهذا المقام غير من فطره ، وغير الرسول الامين على الامة .

قام رسول الله (ص) فصعد ذلك المنبر والوقت قائط في ضحى النهار
والناس تضع فضل ثيابها فوق رؤوسهم وقاية عن الشمس وتحت أرجلهم
وقاية عن حرارة الارض ، فما زال النبي يخطب من صدر الضحى الى
الزوال ، فيبين جهاده في الله ونصحه للناس ، واختياره لعلي اماماً عن الله
تعالى ، وكان فيما قاله : ألت أولى بالمؤمنين من انفسهم ، قالوا : اللهم
بلى ، فقال : من كنت مولاه فهذا علي مولاه ، وبهذا أصبحت لعلي
منزلة الرسول (ص) من الاولوية ، وتلك منزلة الخلافة الالهية ، وعلى
هذا بايعه الناس ذلك اليوم حتى قال ابو بكر وعمر : هنيئاً لك يا بن
ابي طالب اصبحت مولانا ومولى كل مؤمن ومؤمنة (١) .

وما تفرق الناس حتى نزل قوله تعالى « اليوم أكملت لكم دينكم
وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام ديناً » (٢) فكان بامامة علي

(١) ذكر ارباب الفضائل والحديث والتاريخ والتفسير تهنئة عمر لامير
المؤمنين وازضاف اليها بعضهم تهنئة ابي بكر ، انظر الرازي في تفسير
قوله : يا ايها الرسول بلغ ، الآية ، واحمد في مسنده عن البراء بن
عازب ، والثعلبي ، وابن حجر في اوائل الصواعق في الشبهة الحادية
عشر ، غير انه ذكر ان ابا بكر وعمر قالوا له امسيت مولى كل مؤمن
ومؤمنة .

(٢) انظر - الدر المنثور - والخطيب البغدادي وابن عساكر وما جمعه
الطبري ، وابن عقدة من طرق حديث الفدير ، والثعلبي وابن المازلي ،
والحافظ الجزري الشافعي وغيرهم .

وولايته اكمال الدين واتمام النعمة ورضى الله بالاسلام ديننا للامة .

فلو كان الامر بعد الرسول لملي عليهما وآلهما السلام ، لكان الناس كلهم شيعة علي بعد هذه البيعة وبعد تلك الآيات النازلة والروايات الواردة في فضله ، ولما ان حالت الحوائل دون انتهاء الخلافة اليه وفوجيء الناس بأمر له يحتسبوه ، فما عثم الامر الا وابو بكر خليفة ، كيف نتتظر من الناس اتباع السلطان ان يقوا على الولاء والتشييع لاهل البيت ، أجل غير فئة تعد بالاصابع لم يغير ذلك الزوال المفاجيء ثباتها على الولاء والامامة ، فانقبع التشيع بانقباع ابي الحسن في يته ، وما كان انتشاره بعدئذ في البلاد العريضة الا كديب النمل على الصفا من دون حس أو جلبة ، فلم تبق قبيلة او بلد الا والقي التشيع بجرائه فيها وهو هاديء ، وديع .

الجاهرة بالتسيع :

لا يرى الشيعة خلافة الهية اغير علي وبنيه عليهم السلام فمن ثم لا تنفح السلطات بانتشاره ، ولا ترى أن ينتشق النسيم الطلق فهي تخنقه ما استطاعت ، لان بظهوره وقوته الخوف على عروشهم .

أشغلت الدنيا عثمان وبنى أمية عن الحيلولة دون ظهور التشيع فوجد انصاره فسحة للدعوة اليه ولتذكير الناس بيوم الغدير وفضائل المرتضى وأهل بيت النبوة عليهم السلام ، والقلوب يومئذ حاقدة على عثمان ورهطه باستنثاره بالقيء وتأمرهم واقطاعهم الضياع وإيثارهم

بالخمس والصفايا .

ومتى كان يتسنى لأمثال أبي ذر رضي الله عنه أن يذكر الناس معلناً بولاء المرتضى ويطوف على بيوت المدينة صائحاً : أدبوا أولادكم على حب علي بن أبي طالب ومن أبي فانظروا في شأن امه ، وعلى منواله ينسج جابر بن عبدالله الانصاري .

ومتى كان أبو ذر وغيره يظيقون انكار المنكر والفساد في الارض ، فكان ذلك منه عاملاً في تفسير أبي ذر الى الشام ، فدأب في الشام على سيرته ولم يشنه الوعد ولا النعيد عن خطته ، فكان لصراخه في الشام أثر محمود وخشي معاوية ان تنقلب عليهم الشام وتذهب أمانيه العذاب سدى ، ان استمر أبو ذر على هتافه ، فأعاده الى المدينة على أخشن مركب محددين به السير وهو شيخ ضعيف القوى ، فتأثر لحم فضذه . فلما لم يجد عثمان حيلة في سكوته من تبعيد أو اغراء بالمال أو تفرير وتأنيب . سفره الى الربرة - داره قبل الاسلام - حتى مات فيها جوعاً^(١).

الله اكبر ماذا يفعله قول الحق بالمرء وماذا يلاقيه من جراء الامر المعروف والردع عن المنكر ، ولا بدع فان من يريد ان لا تأخذه في الله نومة لالم وطن نفسه على احتمال المكاره والتكليف والتعذيب ، وذلك في ذات الله قليل ، حقاً انه لقليل فقد لاقى رسول الله (ص) قبله ما هو

(١) ذكر حال أبي ذر وما لاقاه جميع المؤرخين وان شئت ان تقف على شيء منه فدونك شرح النهج «٢: ٣٧٦» .

أنكى وأشد والحسين بعده ما هو أوجع وأفجع ، وهكذا كل من أراد
احقاق الحق وإبطال الباطل ، وما خلد ذكرى أولئك الأبطال الا تلك
التضحية الغالية ، وانهم لنا أحسن قدوة ومثال ، لا سيما في هذا الوقت
الذي انتشرت فيه الموبقات والضلالة ، ولكن اين العاملون .

فكان التجاهر بالتشيع ايام عثمان ، ولم يطق ان يحقه بتفسير
أبي ذر وبعقاب عمار وكسر اضلاعه ولهما لمثال في الناس ، وكيف يزال
وقد ثبتت قدمه راسخة ، لا سيما في المدينة ومصر والكوفة .

خلافة امير المؤمنين والتشيع (*)

لما انكر الناس أعمال عثمان وحرضت عليه عائشة وطلحة والزبير وعمر بن العاص وغيرهم ، ولم يرضخ لما طلبه منه الناس لم يكفوا عنه بل اجترأوا على قتله ، وبعد أن قتلوه طلبوا أمير المؤمنين للبيعة - ومن لهم كأبي الحسن راع ومصلح - فامتنع عليهم ، وقال لهم : انا وزير خير لكم مني أمير ، لانه خير بالناس ونواياهم ، وتركز حب الدنيا في نفوسهم ، وطموح فئة للخلافة ، فكيف تهدأ الحال وتلك الخواطر معتلجة في النفوس ، فلم ينفع دفعه للناس عما يريدون فاثألوا عليه كعرف الفرس يهتفون به لا يريدون عنه بدلا ولا تحويلا وبعد اللجاجة لم يجد بدأ من الاجابة ، فبايعه الناس وبيعته يوم الغدير طوق الأعناق .

وكان الزبير وطلحة يطعمان بالخلافة وما كان تحريضهما وعائشة

(*) كانت بيعته عام ٣٥ ، وولادته بمكة في الكعبة يوم الجمعة لثلاث عشرة خلت من رجب سنة ثلاثين من عام الفيل بعد ولادة النبي بثلاثين عاما ، وضربه ابن ملجم ليلة التاسعة عشرة من شهر رمضان ، وقبض ليلة احدى وعشرين منه عام اربعين للهجرة ، فكان عمره الشريف ثلاثا وستين عاما وشهرين واباما .

على عثمان الا لذلك الامل الذي يعتقدان بلوغه ، ان قتل عثمان ،
ويحسان ان الناس لا تعدل عن أحدهما ، غير ان المهم لديهما التوفيق
بين رغائبهما ، وان عائشة لمن تدعو فان لديها فصل الخصام ونيل
الأرب ، وحين اثال الناس على ابي الحسن شعرا بالخيلة ، ومن يستطيع
ان يقف دون هوى الرأي العام ساعة ثورته ، وهما يعرفان وعائشة من
هو ابو الحسن في صلابة عوده في دينه ، واني لهما بالعطاء كيلا بلا
حساب ، وبالجاء والامرة والزعامة في ايامه (١) ولو كان في وسعهم لحالوا
دون اثيال الناس عليه ، وعائشة لم تكن حاضرة البلد لتعين على صرف
الناس عنه لانها المطاعة في الاس ، فبايع طلحة والزبير حين لم يجدا
مناصاً عن البيعة .

فلما تم الامر للمرتضى نكت هؤلاء ، وقسط آخرون ، ومرقت
اخرى ، واعتزلت رابعة ، ولكن ابا الحسن لا يثنيه عن عزمه اجتماع
الناس عليه ، فصرخ بالحق حين وجد أعواناً ، ويكفيه من الامة ان تجيب
لندائه طائفة منهم يصلحهم ويصلح بهم .

اهتزت الشيعة انسا حين آب الحق الى وجاره ، وما أحياها
ساعة عرفوا فيها انفسهم انهم شيعة ، وارتفع كابوس الضغط عنهم ،
واتشبقوا نسيم الحرية في القول والعمل ، غير انها ايام قصيرة قضوها
بالحرب والصراع ، وان راق لهم أن يقدموا انفسهم قرايين للدين ،

(١) انظر شرح النجاشي (٦: ٣) و (٢: ٢٩٩) والطبري (١٥٣: ٥ و ١٨٢) يعلمانك
عن نوايا القوم في ذلك الخروج على ابي الحسن ، وما كان لهم فيه من
مطمع ومغزى .

ولاعلاء كلمة الحق والعدل .

ابن الفرس من حروب المرتضى ؟

كانت لابي الحسن ايام خلافته حروب ثلاثة ، اولاهن « حرب الجبل » في البصرة ، وسميت حرب الجبل لان عائشة كانت يومذاك على جبل ، وحملها الخروج من بيتها الذي امرها الله تعالى ان ترق فيه بقوله : « وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية » طلحة والزبير وابنه عبدالله ومروان بن الحكم ، وصادف ذلك هوى في نفسها لانحرافها عن علي منذ عهد الرسول ، وكان لكل من هؤلاء الاربعة أمنية واراد ان يجعل من عائشة ذريعة للوصول اليها ، وهؤلاء هم الذين سماهم الرسول (ص) الناكثين ، لانهم بايعوا علياً طائعين ثم نكثوا بيعته ، وخرجوا الى البصرة امامهم عائشة ، والبصرة يومئذ موافقة لعلي فاغروها وحملوها على الخلاف ، فسار اليهم ابو الحسن بالمهاجرين والانصار وبأهل الكوفة فأوقع بهم بعد الانذار والاعذار ، وكان جيشه كله عرباً أقحاحا ، بين عدنانية وقحطانية ، أفكانت قريش من الفرس أم الاوس والخزرج ، أم مذحج أم همدان أم طي أم كندة أم تميم أم مضر أم اشباهاها من القبائل، وهل كان زعماء جيشه غير رؤساء هذه القبائل ، آكان عمار فارساً أم هاشم المرقال أم مالك الأشتر أم صعصعة بن صولجان أم أخوه زيد أم قيس بن سعد بن عبادة أم ابن عباس أم محمد بن ابي بكر أم حجر أم عدي بن حاتم أم أضراهم من أولئك القواد .

وبهذا الجند وأولئك الزعماء والقواد فتح امير المؤمنين البصرة ، وبهم حارب « القاسطين » معاوية وجنوده يوم « صفين » ، وبهم قضى

على « المارقين » الخوارج يوم النهروان ، ورسول الله صلى الله عليه وآله هو الذي سُمي أمل الجبل الناكثين ، ومعاوية واتباعه القاسطين ، والخوارج المارقين ، والحديث عنه في هذا الشأن جم كثير (١) .

فأين الفرس في ذلك الجيش وأولئك القواد ليكون الحجر الأساس للتشيع ، ولماذا صار الشيعة فرساً لأن التشيع دخل فارساً ولم يكن سواء تركياً أو هندياً لأن الترك والهنود اعتقوا مبادئه ، بل كان سواء أجدر باتسابه إلى الفارسية ، لأن أبا حنيفة المذهب الأعظم لأهل السنة وهو فارسي قبل أن يعم التشيع الفرس ، ولو استقرت أرباب الصحاح الستة لعرفت أنهم جميعاً من غير العرب ، وهذه الصحاح أسس الفقه وغيره لأهل السنة ، بل وابن افت عن أهل التفسير أمثال النيشابوري والسيوطي والزمخشري والرازي وغيرهم ، أنا لا أقصد النيل من السنة بما أشير إليه من ارتكاز مذهبهم على الإعجام فإنه لا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى — وإن أكرمكم عند الله أتقاكم — ولكن لأذب عن الشيعة بما جمعه بعض كتابها وصمة عليهم .

الشيعة ومعاوية :

ما انتقضت على الشيعة تلك الأيام الغضة الجميلة ، المشرقة بنور الحق ، حتى فاجأهم عصر الظلام والظلمة عصر معاوية ، فما رأت الشيعة فيه إلا الجور والاعتساف والاضطهاد ، فكأنما تأمر ليقضي عليهم ،

(١) انظر المستدرک للحاکم ، وکنز العمال فی فضائل علی علیه السلام (١٥٨:٦ و ٣٩١) وجعله ابن أبي الحديد في الشرح (٢: ٣٩٠) من المتفق عليه بين الناس كافة .

وكانما تشيعوا ليستقبلوا بنحورهم سهام جوره ، فاضطر أبو محمد الحسن عليه السلام لمواذعة معاوية حين خذلته الناس ، يقول الباقر عليه السلام كما في شرح النهج « ١٥:٣ » : « ما لقينا من ظلم قريش ايانا وتظاهرهم علينا ، وما لقي شيعتنا ومحبونا من الناس ، ان رسول الله صلى الله عليه وآله قبض وقد اخبر الناس فتالأت علينا قريش حتى أخرجت الامر عن معدنه واحتجبت على الانصار بحقنا وحجتنا ، ثم تداولتها قريش واحداً بعد آخر حتى رجعت الينا فنكثت بيعتنا ونصبت الحرب لنا ، ولم يزل صاحب الامر في صعود كروود حتى قتل فبويع الحسن سلام الله عليه ، وعوهد ثم غدر به وأسلم ، ووئب عليه اهل العراق حتى طعن بخنجر في جنبه ونهب عسكره ، وعولجت خلاخيل امهات اولاده ، فوادع معاوية وحقق دمه ودماء اهل بيته ، وهم قليل حق قليل » .

وحين وادعه أبو محمد عليه السلام اشترط عليه شروطاً كثيرة منها ان يكف عن سباب من قام الاسلام بحسامه ، وتأسست بقوائمه قواعد الحكم لمعاوية وغيره ، وان لا ينال شيعته بسوء ، فلما وصل معاوية النخيلة أو دخل الكوفة واعتلى المنبر قال : ألا اني قد منيت الحسن بن علي شروطاً وكلها تحت قدمي هاتين ^(١) يقول أبو الفرج في المقاتل صلى معاوية الجمعة بالنخيلة ثم خطب فقال : اني ما قاتلتكم لتصلوا ولا لتصوموا ولا لتحجوا ولا لتزكوا انكم لتفعلون ذلك ، انما

(١) الإمامة والسياسة لابن قتيبة ص ١٣٦ ، وشرح النهج (٦:٤) والطبري في حوادث عام ٤١ (٩٣:٦) وتاريخ العبري ص ١٨٦ الى كثير سواها .

قالتكم لأتأمر عليكم وقد اعطاني الله ذلك واتم كارهون ، قال شريك في حديثه : هذا هو التهلك .

ان أبا محمد عليه السلام ليعلم ان معاوية لا يفي بشيء من الشروط ؛ ولكن ما اشترط عليه الا ليتجلى للناس غدره ونكته بالعهود .

فكأنما صالحه على ان يجتهد في سب المرتضى وتتبع شيعته ما استطاع ، وما اكتفى بسبه بنفسه حتى كتب الى عماله ان يسبوه على المنابر ودبر كل صلاة ، ولما عتب على ذلك قال : لا والله حتى يربو عليه الصغير ويهرم الكبير ؛ فما زال سب أمير المؤمنين سنة في دولة بني أمية الى ان انقرضت ، سوى أيام الخليفة ابن عبد العزيز في بعض البلاد ، وزاد معاوية على السب أن كتب لعماله برئت الذمة ممن روى حديثاً في فضل ابي تراب (١) .

وما زال متبعاً أثر شيعته حتى اتهم كل حرمة وارتكب كل محرم ، يقول المدائني كما في شرح النهج « ١٥:٣ » : وكان أشد الناس بلاء أهل الكوفة لكثرة من فيها من شيعة علي عليه السلام فاستعمل عليهم زياد بن ابيه وضم اليه البصرة ، فكان يتبع الشيعة وهو بهم عارف ، لانه كان منهم أيام علي عليه السلام ، فقتلهم تحت كل حجر ومدر ، وأخافهم وقطع الايدي والارجل وسل العيون ، وصلبهم على جذوع النخل ،

(١) انظر شرح النهج (١٥:٣) نقلاً عن المدائني وابن عرفة المعروف بنفطويه .

وطردهم وشردهم عن العراق فلم يبق بها معروف منهم .

هذه بعض سيرة معاوية مع الشيعة فكان لا يجهر أحد بالولاء لابي الحسن ولآل محمد الأطهار الا حمل خشبة الصلب على عاتقه وسنّ الحسام لعنقه بيده . وما حيلة البعض منهم وهو جهير بالتشيع معروف فيه لا يستطيع كتمه ولا دفعه : أمثال حجر بن عدي واصحابه ، وعمرو بن الحقيق الخزاعي وأضرابه .

وما وقف معاوية عند هذا الحد من شقائه حتى أراد أن يقتل امام الشيعة أبا محمد الحسن عليه السلام فدرس اليه السم على يدي زوجته جعدة بنت الأشعث فنال بذلك منه ما أراد (١) .

وحسب معاوية أن بمطاردة الشيعة والقضاء عليهم والقتل لامامهم تغالب القدر فيمحو ذكر أهل البيت ويقضي على شريعة الرسول (ص) خصمه الألد ، ولكن « ياأبى الله الا ان يتم نوره » فانه بالرغم من تلك

(١) انظر تاريخ ابي الفداء (١٨٣:١) والاستيعاب لابن عبد البر ، ومروج الذهب (٣٦:٢) ومقاتل الطالبين والشرح (٤٠٤ و ٧ و ٤١٨) الى غير هؤلاء وما اكتفى بالسم وحده بل خر ساجدا لما بلغه موت الحسن عليه السلام ، كما ذكر ذلك الطبري « اندميري وابو الفداء وابن قتيبة وابن عبد ربه ، وغيرهم ، ويا للعجب مما جناد معاوية كانه لم يتوصل الى الملك الا للقضاء على الشريعة وأربابها ، وان الاعجب منه ان ترى له انصارا ومدافعين حتى اليوم . وكانت ولادة الحسن في النصف من شهر رمضان لسنتين مضتا للهجرة او ثلاث وموته في السابع من صفر عام ٥٠ للهجرة .

الجهود العظيمة التي كانت لمعاوية ومن جرى على سيرته في حرب أهل البيت ، كان شأن أهل البيت لا يزداد الا رفعة وسناء كما تراه اليوم ، فان أيام معاوية في سلطانه بلغت عشرين عاما وقضاها مجداً بالقضاء على أهل البيت وشأركم الرفيع حتى خيل لمن لا يعرف عواقب الامور ان رعاة الدين لم يبق منها نافخ ضربة ، وان المنكر قد تغلبت رجاله حتى ثم يبق من رجال المعروف أحد يعرف ، ولكن ما مضت الايام الا وانهار كل ما بناه معاوية وأسس غيرِه وشاده اعقابِه ، وعلا الحق مرتفعاً في حجبته وآثاره ، والحق يعلو ولو بعد حين .

وهذا أمر بارز للعيان ينتبه اليه أهل البصائر في كل أوان وقد أخبروا عنه أهل العصور الاول ، يقول الشعبي لولده « وهو المتهم بالانحراف عن علي عليه السلام » : يا بني ما بنى الدين شيئاً فهدمته الدنيا ، وما بنت الدنيا شيئاً الا وهدمه الدين ، انظر الى علي وأولاده فان بني أمية لم يزالوا يجهدون في كتم فضائلهم واخفاء أمرهم وكأننا يأخذون بضعهم الى السماء ، وما زالوا يبذلون مساعيهم في نشر فضائل اسلافهم وكأننا ينشرون منهم جيفة .

ويقول عبدالله بن عروة بن الزبير لابنه : يا بني عليك بالدين فان الدنيا ما بنت شيئاً الا هدمه الدين ، واذا بنى الدين شيئاً لم تستطع الدنيا هدمه ، ألا ترى علي بن ابي طالب وما يقول فيه خطباء بني أمية من ذمه وعييه وغيبته والله لكأنما يأخذون بناصيته الى السماء ، ألا

نراهم كيف يندبون موتاهم ويرثيهم شعراؤهم والله لكانما يندبون
جيف الحمر (١) .

ولا غرابة فان الله لا يخزي أولياءه وقد ضحوا بنفوسهم وتقيسهم
في ذاته ، وكيف ينصر أعداءه وهم حرب له ولاولياؤه « ان الله مع الذين
اتقوا والذين هم محسنون » - النحل : ١٢٩ .

(١) انظر شرح النهج (٢: ٤١٤) .

نهضة الحسين عليه السلام (*)

ان تلك الافاعيل التي كانت لمعاوية وعتاة مردوا على النفاق ، وهاتيك التدابير التي حسبوا انها تقضي على روح الشريعة ومقام أهل البيت ، وآخر سهم في كنانة معاوية تأمير ابنه يزيد ، لا بد لها من نهضة تكشف للامة الاسلامية عتوها وخروجها عن الدين وعلى الدين ، ولما بلغ السيل الزبى والحزام الطبين حان الوقت للامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، واعلام الناس جهرة بضلال بني أمية وأشياهم وحربهم للشريعة ، ومن لهذا الشأن العظيم والامر لا يتم بدون تضحية كبرى يطبق ذكرها الآفاق وتبقى خالدة عمر الدهر لا تنسيها الحوادث ، ولا تماثلها الوقائع ليقضي مفعولها على تلك البدع والمنكرات ، غير ابي عبدالله الحسين عليه السلام .

نهض ابو عبدالله نهضة فضح بها أعمال أمية ونوايا القوم مع الدين والناس ، وأظهر للعالم كله ان دين الحق الذي صدع به جده

(*) ولد عليه السلام في الثالث من شعبان بعد ثلاث سنين من الهجرة ، وقتل في العاشر من المحرم عام ٦١ هـ .

رسول الله صلى الله عليه وآله هو ما يريد الدفاع عنه ويطلب احياءه ولو باراقة دمه الزاكي ، وان يزيد ومن سبقه هم المجدون في اماته بالاعمال والاقوال .

فمن يوم نهضته الرشيدة امتاز الحق من الباطل ، وعرفت شيعة آل محمد من اشياح بني أمية ، وما زالت تتجدد نهضته الكريمة يوما بعد آخر ، وتتجلى اسرارها الزاكية لذوي الابصار والبصائر ، فان موقفه ذلك اليوم وتضحيته بنفسه وتنفوس تلك الصفوة الطاهرة من آل ابي طالب ، والنخبة المنتجة من أنصاره ، وسوق الامويين لبنات الرسالة ، وعقائل هاشم كالسبي المجلوب : بعد السلب والضرب ، هو الذي أحى الحق بعد الدثور ، وأظهر الدين بعد الأفول ، وأعلن للعالم ان معاوية وابنه يزيد هما اللذان ضلا وأضلا العباد ، وأفسدا الناس والبلاد ، فصار التشيع لآل محمد (ص) يمضي في سبيله يجتاز العقبات التي وضعت أمامه ، ويقطع الاسلاك الشائكة التي نسجت في طريقه .

اسرار شهادته :

ان المتبع للأسباب التي حدثت بالكثير من الناس على التمسك بالثقلين ، والاهتداء بنور آل البيت يجد القسم الكبير منها ناشئاً عن ظهور مظلومية الحسين عليه السلام ، وارتكاب اعدائه منه ما لا يسوغه دين أو مروءة أو غيرة ، فلو انهم كانوا أهل دين لما عارضوه في دعوته ، فضلا عن ان يرتكبوا منه فظيخ الاعمال التي يندى منها وجه الحق والشرف والانسانية ، لان الواقف على أسباب نهضته يعلم ان الذي حدا به على تلك النهضة هو احياء شريعة جده الرسول (ص)

من الامر بالمعروف والنهي عن البدع والمنكرات التي غرت الناس لعدم الزاجر عنها ، بل لوجود الامر بها الحامل عليها ، فما أصدق القائل : - ان الاسلام علوي والتشيع حسيني - ، فان سيف أمير المؤمنين عليه السلام الذي ضرب به خراطيم الناس حتى قالوا : « لا اله الا الله محمد رسول الله » هو الذي نشرت به رايات النصر ، ورفعت به اعلام الفتح ، واخراج الناس من ظلمات الكفر الى نور الايمان ، وكان علي عليه السلام في كل حرب حضرها لرسول الله (ص) هو الفاتك الفاتح .

كما انه لولا قيام الحسين بتلك التضحية الكريمة لكان الدين كله أموياً بسمي ملوك امية ، وما هو اذ ذاك الا فساد في الارض وارتكاب لكل منكر وهتك للحرمة وفسق بالاعراض وسفك للدماء ونهب للاموال ، الى غير هذا مما جاء الدين لاستئصال شأفته وقلع جرثومته ، وتطهير جسم المجتمع من أمراضه الفتاكة ، وهذا ابو عثمان الجاحظ يقول : وتفخر هاشم على بني أمية بأنهم لم يهدموا الكعبة ، ولم يحولوا القبلة ، ولم يجعلوا الرسول دون الخليفة ، ولم يختموا في أعناق الصحابة ، ولم يغيروا أوقات الصلاة ، ولم ينقشوا أكف المسلمين ، ولم يأكلوا الطعام ويشربوا على منبر رسول الله صلى الله عليه وآله ، ولم ينهبوا الحرم ، ولم يطأوا المسلمات في دار الاسلام بالنسب (١) .

وهذا بعض ما ذكره ابو عثمان وما يذكره ارباب التأريخ من

(١) شرح النهج الحديدي (٢: ١٤٢٩) .

اعمالهم ، ولو استقامت تلك الاعمال من دون نكر يطهرها من على وجه الارض لأصبحت عرفاً بين الناس ، ومتى تعود الناس الى العمل بالشرعة وقد استقبلوا هذه البدع والموبقات ترتكب جبراً ، ولا يخشى الله في اقترافها اعلاناً وسراً .

فنهضة الحسين هي التي أبانت ضلال القوم وجراتهم على الشرعة ، وانتهاكهم لحرمت الدين ، وخروجهم عنه بل عليه أقوالاً واعمالاً ، فكان يزوغ بدر آل البيت بعد أن أفل أو كاد من اسرار شهادته التي ما زال الكثير منها مجهولاً ، وما تجلى الا شطر منها حتى كاد أن يلمسها بيده حتى الغربي ، وعسى أن يكشف لنا المستقبل شطراً آخر محجوباً حتى اليوم عن البصائر والابصار .

نهضته وانصار امية :

ان الذي يرشدك الى ان شجرة التشيع كان نموها وافروعها مما استقته من تلك الدماء الطاهرة ، هو ان انصار الامويين تكاد أن تنقطع قلوبهم غيظاً من هاتيك النهضة الحسينية ، وما زالوا ينسجون الحجب بشتى الاساليب فيضعونها على شمس تلك التضحية ، زعماً منهم ان عين الشمس تحجب بالغربال ، وهيمات الذي دبروه من تمويه وخداع ، فان أنوار تلك الشهادة قد استضاء منها الافق الاسلامي ، ومزقت ظلام تلك الاضاليل الامورية ، ونبتت الحواس الى الفوائد الملموسة من ذلك القربان ، وخسران امية في ما جنته ، وان هزتهم نشوة الظفر اياماً معدودة ، وما زال انصار امية مجدين في كتمان الحق ظناً منهم ان الباطل يعملو بالأراجيف وتستريح عيوبه

نسائج الاوهام وأسلالك الهباء ، ولا يفضحه قمر الحق الطالع ، وما دعاهم الى بخس الحق لتلك النهضة الشريرة الا ما شاهدوه ولمسوه لها من الآثار وهي انتشار التشيع ونموه حيناً بعد آخر ، واقتضاح سلفهم بما جنود على انفسهم ، واكتسبته ايديهم ، وكفى باقتضاحهم اعترافهم بالنقصية ، فهذا عبيد الله بن زياد طالب عمرو بن سعد بالكتاب الذي كتبه له في قتل الحسين ، فقال : مضيت لأمرك وضاع الكتاب ، قال لتجئن به . قال : ضاع . قال : والله لتجئن به ، قال : ترك والله يقرأ على عجائز قريش اعتذاراً اليهن بالمدينة ، اما والله لقد نصحتك في حسين نصيحة لو نصحتها ابي سعد بن ابي وقاص كنت قد أدبت حقه ، قال عثمان بن زياد أخو عبيد الله : صدق والله وددت انه ليس من بني زياد رجل الا وفي أنفه خزيمة (١) الى يوم القيامة وان حسيناً لم يقتل ، قال : فوالله ما انكر عليه ذلك عبيد الله (٢) .

وأنى لهم اليوم بستر تلك التضحية وقد ملأت البلاد طولاً وعرضاً ذكراها والاشادة بها على المنابر ، وهذه الصحف والكتب ما زالت تندب ذلك القربان وتبكي تلك الفاجعة الموحشة ، في كل زمان ومكان .

ولماذا تذهب يميناً وشمالاً وهذه عاصمة أمية - الشام - التي اتخذت يوم قتل الحسين عيداً واستقبلت الرؤوس والسبي بالدفوف

(١) احسب انه كناية عن الذل .

(٢) انظر الطبري (٢٦٨:٦) في حوادث عام ٦١ ، وابن الاثير (٤:٤٠٤) في حوادث هذا العام .

والطبول وبقيت أياما وعليها منشورة معالم الزينة والفرح أصبحت والمآتم تقام فيها فادبة للحسين باكية عليه لاعة من اجترح منه ذلك الذنب العظيم ، وهذا اسم الحسين مكتوب على مسجدها الأعظم وقد وضع ثوب السواد شعار الحزن على موضع صلب الرأس من ذلك المسجد ، وهاتيك القبور من أهل البيت وما أكثرها في ذلك البلد — دمشق — معمورة بالقباب وبالزائرين ، وقد فرشت بأنفس السجاد وأضيئت بأجمل المصاييح ، وابن قبر معاوية ويزيد من عاصمتهم الشام وأين الزائر لهما من أشياءهم ومن سائر الناس .

هذا هو شأن الحق واهله لا تميته الايام ولا يظفر به الباطل وأشياعه ، ولا ينخدع ببهجة الدنيا واربابها الا من نسي الله فانساه ذكره ، فاني لأمية وانصارها ان تطاول الحق فتمحي شخصه الكريم من الوجود .

وثقة الطف عند أهل البيت :

كان دأب أهل البيت بعد حادثة كربلاء نشر ما حل بقتلى الطف ، وبما جرى على النسوة والصبية من قزع ودهشة و سلب وضرب وسبي ، فان زين العابدين عليه السلام قضى سني حياته كلها (١) بالبكاء على أبيه ، فانه ما قدم له طعام أو شراب الا ومزجه بدموع عينيه ، وعلى هذا المنوال نسج الأئمة من أولاده ، بل ما زالوا يعقدون مآتم الغزاء للبكاء

(١) اشهر الاقوال انه قتل بالسم في محرم من عام ٩٥ فتكون حياته بعد أبيه خمسا وثلاثين سنة ، كما ان المشهور ان عمره الشريف يوم قتل أبيه اثنان وعشرون عاما .

واستماع شعر الرثاء ، ولربما ضربوا الاستار وجعلوا خلفها بنات الرسالة
ليستمن شجي المراثي فيبكين على صرعى الطف وسبي العقائل بل كان
شعارهم حث المؤمنين على نصب مآتم الحزن للبكاء على ذلك الحدث
الجلل ، وعلى زيارته ولو على الخشب اشارة منهم الى الصلب ، وقد لبي
المؤمنون تلك الدعوة فما زالت مآتهم قائمة ، وزيارتهم دائمة ، ولقد
لاقوا من أجل ذلك فنون الأذى والتشكيل ايام بني امية وشطرا من دولة
بني العباس خصوصا في عهد المتوكل ، حتى أدركوا الامل فصارت المآتم
تقام علناً والزيارة تفعل جهره الى ان بلغت الى ما تشاهده اليوم .

وما زال أئمة أهل البيت يأمرّون بنشر الدعوة الحسينية بكل
وسائل النشر ، وقد سبقهم الى ذلك جدهم المصطفى صلى الله عليه وآله
فقد بكى ولده الحسين عليه السلام وحض على البكاء عليه ، وحث
على نصرته عند نهوضه وعلى زيارته بعد قتله ، والحين بمد في الاحياء
وسمع أنس بن الحارث ان نبيه رسول الله صلى الله عليه وآله يقول :
ان ابني هذا يعني الحسين عليه السلام يقتل بأرض يقال لها كربلاء فمن
شهد ذلك منكم فلينصره فخرج أنس الى كربلاء فقتل مع الحسين
عليه السلام (١) ، وقال ابن عباس : أوحى الله تعالى الى محمد صلى
الله عليه وآله اني قتلت يحيى بن زكريا سبعين ألفاً واني قاتل بابن
ابنتك سبعين ألفاً (٢) والاحاديث عنه في هذا الشأن كثيرة (٣) .

(١) انظر في ذلك ترجمته من الاستيعاب والاصابة .

(٢) مستدرک الحاكم (١٧٦:٣) .

(٣) انظر العقد الفريد (٢:١٢١٩) والصواعق ص ١١٥ وكنز العمال (٥:٢٢٣٠) وكثيراً سواها من كتب الحديث والفضائل والتاريخ .

أراك على علم بأسرار تلك الاوامر واقامة هاتيك الشعائر، فانهم حاولوا بتلك وهذه لفت الانظار الى المصائب التي جرت على قتل الظلم، وصرع الجور ، وبذلك اعلاء كلمة الشهادتين ، وتنفيذ احكام الشريعة ، فانه ما ضحى بنفسه ونفيسه الا لاجل ذلك ، وأحسبك خبيراً بنجاح تلك التضحية ومنه هاتيك الدعوة منهم .

ولو لم يكن الا انعطاف الناس على ما فجع به ذلك القتل . وبعضهم لمن اجترأ عليه بذلك الفعل الأشنع لكان أجراً يستحقه الاشفاق على المظلوم وان كان من غير أبناء جلدته ودينه ، والشأن للظالم وان كان منه قبيلة ودينا ، ومن ثم تجدد الامم وان لم تكن مسلمة تمنعطف على تلك الضحية وتقدر تلك البسالة والاقدام من سيد الشهداء ، وتعد الجرأة على قتله وهو بتلك الحال شناعة وخزياً لا يفسل عاره تطاول السنين والاعوام .

فنجاح هاتيك الشهادة ليس بكثرة الاولياء من المسلمين للحسين (ع) وتكثر الشيعة لاهل البيت في كل بلاد خيم عليها الاسلام فعسب ، بل بالتقدير من العالم كله الذي أطلع على تلك الحادثة لذلك الأبي الباسل الذي صرعه سيف الظلم والعدوان ، فان التاريخ لم يقرئهم والعيان لم يرههم حرباً تقابل فيها الحق والباطل فتغلب الباطل وانتقم من الحق انتقاماً تستكره الوحوش الكواسر والامم الجاهلية التي لم تعرف الدين او العاطفة او النظام ، فكيف بأمة تنتسب الى دين الرحمة والعطف دين العدل والحق ، وكان الانتقام نفسه ممن يدعوه الى العمل بذلك الدين واحكامه وهم بعد يزعمون انهم مستظلون

برواق ذلك الدين ، ويعترفون بان ذلك القليل داعية الحق وابن صاحب الشريعة .

الشيعة وابن زياد :

ولما دخل عبيد الله بن زياد الكوفة وظفر بمسلم بن عقيل رسول الحسين وداعيته اخذ يقتل من يظن ولاءه لاميير المؤمنين عليه السلام ، ويحبس من يتهمة به ، حتى ملا السجون منهم خشية ان يتسللوا لنصرة الحسين عليه السلام ، ومن ثم تجد قلة في أنصاره مع كثرة الشيعة بالكوفة ولقد كان في حبسه اثنا عشر ألفاً كما قيل ، وما أكثر الوجوه والزعماء فيهم ، أمثال المختار وسليمان بن صرد الخزاعي والمسيب بن نجبة ورفاعة ابن شداد وابراهيم بن مالك !الأكثر .

وبعد أن خرجوا من حبسه نهض منهم أربعة آلاف يرأسهم سليمان ابن صرد وجاءوا لقبر الحسين عليه السلام فنعوه وبكوه واشتدوا لحرب الامويين حتى فني أكثرهم ولم يحجزهم عن المقاومة تفاني اكثرهم حتى ظهر المختار بالكوفة فالتحقوا به .

وصلب ابن زياد جماعة من الشيعة كان في طليعتهم العبد الصالح ميثم التمار (١) وقد أمر به فقطعت يداه ورجلاه ، وبقي وهو بتلك الحال يحدث الناس بفضائل أمير المؤمنين عليه السلام كأنه خطيب على أعواد فأمر به فاستلوا لسانه وقطعوه ، ثم بقروا بطنه فمات رحمة الله

(١) دونت أحواله وعلومه في رسالة أخرجتها مطابع النجف .

عليه ، وهذا الفعل القاسي الفظيع نذر ما ارتكبه ابن زياد من الشيعة ، ولو لم يكن له الا قارعة الطف وقتل الحسين ورهطه وصحبه لكفى به حدثا تهتز له السموات والارضون عظما وجزعا .

يقول الباقر عليه السلام ، كما في شرح النهج « ١٥:٣ » : ثم لم نزل أهل البيت نستذل ونستضام وتقصى ونمتن ونحرم ونقتل ونخاف ولا نأمن على دمائنا ودماء أوليائنا ، الى ان قال عليه السلام وكان عظم ذلك وكبره زمن معاوية بعد موت الحسن عليه السلام فقتلت شيعتنا بكل بلدة ، وقطعت الايدي والارجل على الظنية ، وكان من يذكر بحبنا والانتقطاع الينا سجن أو نهب ماله او هدمت داره ، ثم لم يزل البلاء يشتد ويزداد الى زمان عبيد الله بن زياد قاتل الحسين عليه السلام .

فهذا الباقر عليه السلام - وهو الصادق الامين - كيف يحدثنا بشجي اللحن عما جرى عليهم وعلى شيعتهم من المحن وعظيم البلاء أيام ابن زياد ومن قبله كما سيحدثنا عما جرى عليهم زمن من بعده ، والتاريخ أصدق شاهد لحديثه .

الشيعة أيام المختار :

لما عاجل الهلاك يزيد وتضعضت من بعده امانة الامويين اياما ، بقيت الشيعة في الكوفة تتطلب زعيما يلم شملها ، ويشفي غيظ صدورهم ، فما لبثوا أن وثب بهم المختار وثبة الاسد الغضبان بعد الربض الطويل ، فالتفت الشيعة حوله ، وساروا تحت ركابه ، وجعل على الجند

ابراهيم بن مالك الأشر فأوقع بعسكر الشام ومزقه شر ممزق ، وقتل قائده ابن زياد ، وتلك أمنية أهل البيت والشيعة عامة ، وبعث برأسه الى زين العابدين فسجد لله شكراً ، وعند ذاك خلعن الهاشميات ثياب الحزن على الحسين عليه السلام .

ولما انخزل جيش الشام قويت شوكة المختار والشيعة وصار يستأصل قتلة الحسين عليه السلام وما ابقى أحداً منهم يعرف الا ان يكون قد هرب من بين يديه ، فمن ثم تحامل عليه من ملك قلبه حب الاموين وقتله السبط الشهيد فصار يدنس غايته النزيهة التي وثب من اجلها وهي الطلب بدم سيد الشهداء ، فوصموه تارة بأنه اراد الواقعة بالعروبة فكأنه لم يكن من العرب ، فوجد الفرصة للانتقام من الاسلام والعرب ، واخرى انه تطلب بتلك النهضة الزعامة ، ولا ادري لماذا استقصى اولئك القتلة وما اكتفى بقتل شطر منهم وتأمين الباقين لينضموا الى لوائه ، هذه هي سياسة الملك والامرة فان الاستقصاء يملأ قلوب واتريه حقدا عليه ، فيحملهم على الوثبة عليه عند الفرصة . ان طالب الرئاسة مثل معاوية الذي موه نهضته في حربه لاميير المؤمنين بالطلب لدم عثمان ، ولما آل الامر اليه لم يتعرض أحدا من قاتليه بسوء فأغضى اغضاء متجاهل بهم فكأنما لم تكن تلك الحرب الضروس من أجل الطلب بدم عثمان ، حتى طالبت ابنة عثمان بالانتقام فاعتذر .

ولو كان المختار غير صحيح القصد في وثبته لما روى الكثير من المؤرخين نهضته — وشعارها الطلب بالثأر — فهذا ابن عبد ربه في المعقد الفريد « ٢٣٠:٢ » يقول : ثم ان المختار لما قتل ابن مرجانة

وعمر بن سعد جعل يتبع قتلة الحسين بن علي ومن خذله فقتلهم اجمعين ،
وأمر الحسينية وهم الشيعة ان يطوفوا في أزقة المدينة - الكوفة -
بالليل ويقولوا : يا لثارات الحسين .

وقال ابو الفداء في حوادث عام ٦٦ « ١٩٤:١ » وفي هذه السنة
خرج المختار بالكوفة طالباً بشأر الحسين واجتمع اليه جمع كبير
واستولى على الكوفة وبايع الناس بها على كتاب الله وسنة
رسوله (ص) والطلب بدم أهل البيت ، وتجرد المختار لقتال قتلة
الحسين .

وبمثل هذا ذكر الكثير من أرباب التاريخ سبب قيامه ، ولعل هذه
الغاية الشريفة من نهوضه بغضه لكثير من الاول ففسدوا الاحاديث في
قدحه ، ونسبوا له كل شناعة في الرأي والمذهب .

وما ذنب المختار الا انه طهر الارض من فئة حاربت الله
والرسول والاسلام بحربها للسبط الشهيد وجراتها على اوراق دمه ،
واتقم لاهل البيت ، فكيف يهون عليهم ان ينتقم لاهل البيت ، سبحانك
اللهم وغفرانك أهذا النصف والعدل من الانسان .

الشيعة ايام السجاد عليه السلام (*)

ظهر ابن الزبير بمكة واستتب له الامر في الجزيرة تسع سنين ، فاشتغل الامويون بابن الزبير وابن الزبير بالامويين ، وزين العابدين في عزلة عن هذا التطاحن الديني ، وانصرف شطر من الناس الى العلم وشرط الى السياسة ، واصبح لكل من أمري السياسة والعلم شأن في البلاد ، وتكاد أن تنفصل كل طائفة عن الاخرى ، وابتدأ في هذا العهد ارتكاز العلم على القواعد والاصول ، وابتدأت المناظرات والمحاججات ، والمذاهب والطرائق ، وكان في هذا العصر الفقهاء السبعة في المدينة ، الذين يرجع الناس اليهم في الفقه وكانوا يفتون على آراء أهل السنة وأصولهم ، فكان في هؤلاء شيمان هما القاسم بن محمد بن ابي بكر وكان من حوارى زين العابدين ، وسعيد بن المسيب وقد رياه أمير المؤمنين عليه السلام ، وكانا في الظاهر على رأي أهل السنة ، ومن ثم تعرف ان التقية كانت دريئة الشيعة قبل عهد الصادق عليه السلام .

(*) ولد في الخامس من شعبان عام ٣٨ هـ وقبض بسم الوليد بن عبد الملك بالمدينة في محرم من عام ٩٥ ودفن بالبقيع مع عمه الحسن عليهما السلام .

وكانت الشيعة ترجع الى زين العابدين في ذلك الانزال والوحدة ونصبه للئاتم الدائم على ايه (ع) ، وتلك هي السياسة الالمية التي اختطها ابو محمد عليه السلام لنفسه خدمة للشيعة ، فان الناس أشغلها التضارب على الملك فوجدها فرصة لابداء مظلومية سيد الشهداء ، فكان بكاءه المستمر على شهيد الظلم اكبر ذريعة لاحقاق الحق وابطال شعائر دول الجور ، وانصرافه عن السياسة وأهلها تهزه لتوارد الناس عليه دون ان يؤخذوا بذاك .

أذهلت حادثة الطف الناس كلهم وما كان يحسبون ان تلك الفئة الغاشمة الاموية يبلغ بها العتو الى ما كان ، ولاء الناس في الطاعة لهم والارتكاب من آل الرسول (ص) الى ما وقع ، فندم شطر من أولئك المحاربين وطلبوا من زين العابدين النهوض بهم الى الانتقام من بني أمية فأبى عليهم اشد الالباء ، وأسف من تخلف من الشيعة عن الالتحاق بالحسين وعن القتل بين يديه وما علموا ان الناس يبلغون منهم ذلك الفعل الأشنع ، وأصبحوا على حزن عميق بين نادم وآسف ، وهذا أحد العوامل على انتفاض الناس على يزيد ووقوع حادثة الحرة ، فان كارثة كربلاء لم تق هوى لأكثر الناس في آل ابي سفيان ، هذا فوق ما كان عليه يزيد من الخلاعة والتهتك والطيش .

فالشيعية بالعراقين والحرمين في هذه الفترة هادئة الاعصاب لم يتفرغ ابن الزبير لمقاومتهم حتى بعد استيلاء مصعب على الكوفة وقتل المختار وان كانت نزعة ابن الزبير شنان أهل البيت ومحاربتهم في خطه وخطبه .

ما مضت تلك الليالات القصيرة التي استقل فيها آل الزبير بالجزيرة
 الا وعاد الحكم لآل مروان من بني امية بعد ان قضوا على آل الزبير ،
 ولما بسط عبد الملك نفوذه على البلاد وقامت دعائم سلطانه اتفت الى
 أهل البيت وشيعتهم ، ولم تطب نفسه لان يكونوا على تلك العزلة
 والوداعة ، وكان سيد آل البيت وامام الشيعة يومئذ زين العابدين فحملة
 الى الشام ليفض من مقامه ، وينقص من قدره ، ولكن لم يزدد الامام
 بذلك الا عزاً وكرامة لما ظهرت له من الفضائل والمعارف ، وكانت الكوفة
 معرس دوحة التشيع فحاول ان يجتثها من على الارض ، وأي ساعد أقوى
 من ساعد الحجاج وله قلب تعبد من حديد لا يعرف الرقة واللين ، وأي
 رجل أبيع لدينه بالثمن الاوكس — لو كان ثمة دين — من الحجاج ،
 وان فعله بالبيت الحرام ليسلم قصر الملك لعبد الملك أخسر صفقة .

وهنا يخبرنا الباقر عليه السلام عن عيان ومشاهدة عما كان من
 الحجاج مع الشيعة ، كما يحكيه شارح النهج « ١٥:٣ » يقول عليه
 السلام : ثم جاء الحجاج فقتلهم — يعني الشيعة — كل قتلة ، وأخذهم
 بكل ظنة وتهمة ، حتى ان الرجل ليقال له زنديق أو كافر أحب اليه من
 أن يقال له شيعة علي عليه السلام .

ويقول المدائني كما في الشرح « ١٥:٣ » : وولي عبد الملك بن
 مروان فاشتد على الشيعة وولى عليهم الحجاج بن يوسف فتقرب الناس
 اليه يبغض علي عليه السلام وموالاة أعدائه وموالاة من يدعي قوم من
 الناس انهم ايضا أعداؤه ، فأكثروا في الرواية في فضلهم وسوابقهم

ومناقبتهم واكثروا من الفض من علي عليه السلام وعييه والظعن
فيه والشنآن له .

وماذا يذكر الكاتب عن الحجاج وأعماله فلقد سود صحائف من
التاريخ لا تنسى عمر الدهر ونزبىء بأقلامنا عن ذكرها وكيف ننشر
تلك الفضائح على صحائف ييض تريد الفضيلة بما ترويه وتسطره ، ولو
كانت أعماله القاسية مجهولة ولو لبعض الناس لآثرنا للفضيلة استطراد
شطر منها رجاء ان ينتهجها من له امرة وسلطان عندما يعرف ان المرء
حديث بعده وان التاريخ يحفظ عليه الجميل والقيبح ، ولكن الناس
كلهم يعلمون ما ارتكبه ذاك الفظ الغليظ من الكعبة وممن اتخذ
الكعبة قبلة دون ان يميز بين شيعي أو سني أو حروري ، وبين حجازي
أو عراقي أو تهامي .

الشيعة ايام الباقر عليه السلام (١)

ما وجد الشيعة زمن محمد الباقر عليه السلام تضيقاً شديداً من بني أمية كما وجدوه فيما سبق على عصره ، فكانوا يشدون الرحال اليه للارتشاف من مناهل معارفه وعلموه ، وفي ايامه كثرت الرواة والرواية عنه ، وكانت الرواية عنه أكثر من آباءه السابقين عليهم السلام فانتشر الحديث الباقرى في كل قطر ، حتى ان جابر الجعفي وهو من ثقات رواة وأعظم نقلة الحديث ، روى سبعين ألف حديث عنه فحسب ، وكان من حملة عاوم أهل البيت ، وعلمهم صعب مستصعب لا يحتمله الا نبي أو ملك مقرب أو مؤمن امتحن الله قلبه للايمان كما في نص الحديث عنهم يقول جابر كما في الحديث عنه : عندي خمسون ألف حديث ما حدثت منها شيئاً كلها عن النبي (ص) من طريق أهل البيت ، وروى ايضاً محمد بن مسلم عن الباقر خاصة ثلاثين ألف حديث ، فما أعظمكم من رجال كيف كانت أوعيتكم صالحة لتحمل تلك المقادير

(١) ولد عليه السلام بالمدينة عام ٥٧ هـ وكان بالطف وهو ابن أربع وقبض بسم هشام بن الحكم علي يد عامله بالمدينة في السابع من ذي الحجة عام ١١٤ ، أو ١١٧ ودفن بالبقيع مع عمه وأبيه عليهم السلام .

العنيفة من أهل البيت ذلك العلم الصعب المستصعب ، ولا بدع فان
الناس معادن .

ونبغ في زمنه من رجال الحديث علماء كان المعول على حديثهم
بعد حين وكانوا المقدمين عند الامام الصادق عليه السلام ، يعطف
عليهم ويرفق بهم وجاءت عنه فيهم مدائح جلية أمثال جابر ومحمد
ابن مسلم وزرارة وحران ابني أعين وابن أبي يعفور ويزيد العجلي
وسدير الصيرفي والأعشى وأبي بصير ومعروف بن خربوذ وكثير
سواهم ، كما نبغ فطاحل من الشعراء بقيت آثارهم خالدة حتى اليوم
أمثال الكمي .

الشيعة ايام الصادق عليه السلام (*)

مني الامام الصادق عليه السلام بمعاصرة الدولتين المروانية والعباسية ، وشاهد منهما معاً ضروب الاذى والتضييق ، فكم أزعجوه من دار الهجرة يحمل الى فرعون أيامه من دون جرم سوى انه صاحب الخلافة والامامة حقاً ، فحمل مرة الى الشام مع ابيه الباقر عليه السلام ايام بني مروان ، والى العراق عدة مرات في عهد بني العباس ، بناء عمه ، مرة في عهد السفاح الى الحيرة ، ومرات في عهد المنصور الى الحيرة والى الكوفة والى بغداد .

وأحسن أيام مرت على الشيعة في عصره في الفترة التي امتزجت من أخريات دولة بني مروان وأوليات دولة بني العباس ، في اشتغال أولئك بقتل بعضهم لبعض وابتئاض البلاد عليهم ، وهؤلاء بالحرب مع المروانيين مرة بتطهير البلاد منهم واستتباب الامن أخرى ، فاتهم الشيعة

(*) وإن عليه السلام بالمدينة عام ٨٠ أو ٨٢ من الهجرة ، وقبض بالمدينة بسم المنصور على يد عامله على المدينة في الخامس والعشرين من شوال ، وقيل في رجب من عام ١٤٨ هـ وقد ساعدني التوفيق فكتبت في احواله كتاباً أخرجه مطابع النجف بجزيئه .

هذه الفرصة - والوقت فرص - للارتواء من مناهل علمه وعرفانه ، فشدوا الرحال اليه من كل حذب وصوب لآخذ أحكام الدين والمعارف عنه ، فروي الحديث عنه في كل علم وفن ، كما تشهد به كتب الشيعة ، ولم تقتصر الرواية عنه على الشيعة فحسب ، بل روت عنه سائر الفرق كما تفصح بذلك كتب الحديث والرجال من الشيعة وغيرهم ، وقد احصى ابن عقدة والشيخ الطوسي طاب ثراه في كتاب رجاله ، والمحقق رحمه الله في المعتبر ، وغيرهم من روى عنه من الشيعة ومن غيرهم ، فكانوا أربعة آلاف ، وكان اكثر الاصول الاربعمئة مروية عنه ، وهذه الاصول هي الاساس لكتب الحديث الاربعة : الكافي لثقة الاسلام الكليني (١) ومن لا يحضره الفقيه للشيخ الصدوق (٢) والتهذيب والاستبصار لشيخ الطائفة الطوسي طيب الله مراقدهم (٣) .

وصارت الشيعة في غضون هذه الفترة تشتر الحديث ، وتجهر بولاء أهل البيت عليهم السلام ، وربما عددهم في مختلف الجهات على مئات الالوف ، ولما قامت دعائم السلطان للمنصور وعرف كثرة الشيعة في

(١) قبض محمد بن يعقوب الكليني عام ٢٢٨ او ٢٢٩ في شعبان عام تناثر النجوم وهي سنة وفاة علي بن محمد السمري رضي الله عنه الذي انتظمت السفارة بموته ووقعت القيبة الكبرى وكتابه الكافي من أهم كتب الشيعة .

(٢) هو محمد بن علي بن بابويه القمي نزيل الري ، ورد بغداد عام ٣٥٥ وسمع منه شيوخ الطائفة وهو حدث السن وله ثلثمائة مؤلف مات بالري رحمه الله عام ٣٨١ هـ .

(٣) هو محمد بن الحسن بن علي الطوسي ولد في شهر رمضان عام ٣٨٥ وقدم العراق عام ٤٠٨ وانتقل الى النجف عام ٤٤٨ ومات فيها ليلة الاثنين ٢٢ من المحرم عام ٣٦٠ ودفن في داره وهي اليوم مسجد وله مؤلفات كثيرة وكالها مهمة جليلة .

الافاق ، وتجاهرهم بالولاء لآل محمد عليه وعليهم السلام ضيق على مصدر معارفهم وامام عصرهم - الصادق - عليه السلام ، حين علم انه يعصر عليه استئصال الشيعة اكثرتهم وانتشارهم في البلاد ، فأراد ان يقطع الاصل ، وبه يكون جفاف الفرع ، فكم حمله الى العراق وأوقفه بين يديه ، يريد بذلك استقصاه امام الناس ، وكم خاطبه بما يقصر القلم عن سطره ، وما كفاه ما ارتكبه منه من تلك الأذايا والمكارة والمواقف التي يهنز لها العرش عظما ، دون ان دس اليه السم على يد عامله على المدينة ، فمات ، ورحي فداه قتيلا بسم المنصور (١) .

وما اقتصر المنصور في فطيع أعماله على ما اجتريحه من سيد العلويين - الصادق - بل سن الشفرة للعلويين كافة ، فصنع " أرض الهاشمية من دمائهم الطاهرة ، وأكثر الفجائع في بغداد من اهلاك تلك الفتية الفتية ، فخافته الشيعة فانكمشت في بيوتها ، وتستررت بالتقية خشية من صارم عقابه ، أترأه يكف عن علوي بعد أن اجتراً على سيدهم ، أو يعف عن شيعي بعد أن قضى على امامهم .

(١) اتفقت الشيعة على ذلك وذكر ذلك كثير من مؤلفي السنة : انظر " اسعاف الراغبين " و - نور الابصار - و - تذكرة الخواص - و - انصواع المحرقة - وغيرها .

(٢) الظاهر فقتى ولعلها خطأ مطبعي او حال النسخ .

الشيعة ايام الكاظم عليه السلام (١)

فضى الامام موسى الكاظم عليه السلام ايام امامته (١) بين سجنين ، سجن داره بعيداً عن الناس خوفاً من بني العباس ، وسجن بني العباس الشديد انظلمة والظلم ، حتى ان الراوي اذا روى الحديث عنه لا يسنده اليه بصريح اسمه ، بل بكناء مرة كابي ابراهيم وابي الحسين ، وبالقاب اخرى كالعبد الصالح والعالم وأمثالهما ، وبالإشارة اليه تارة كقوله عن الرجل ، اذ قلما تجد اسمه الشريف صريحاً في حديث ، لشدة التقية في أيامه ، ولكثرة التضييق عليه ممن عاصروه من العباسيين كالمَنصور والمهدي وانهادي ، وما تربع الرشيد على دست الملك الا وزجه في اطباق السجون ، وبقي سلام الله عليه يحمل الى السجن مرة ويطلق منه مرة اخرى أربع عشرة سنة وهي مدة ايامه مع الرشيد .

وبهذه الاعمال القاسية أزهبوا الطوية وأخافوا الشيعة ، وكانت تطمح عيون الجميع الى امامهم السجن ، ولم يجد عليه السلام منجى

(٣) ولد عام ١٢٨ ، او ١٢٩ ، وقبض لخمس خلون او بقين من رجب عام ١٨٣ ودفن بمقابر قريش حيث قبره اليوم .

(١) جاءته الامامة عام وفاة ابيه سنة ١٤٨ فكانت ايام امامته خمساً وثلاثين سنة .

للتابعين ، وخلاصا للشيعة ، أصوب من استسلامه للحكم العباسي القاسي ، وما كفى الرشيد ما ارتكبه من الامام حتى دس اليه السم وهو في حبس السندي بن شاهر ، فمات روجي فداه في السجن قتيل الجور والاعتساف .

وذو الملح على الجرح انه لم يسمح لأوليائه بتشيعه ، بل أمر فحمله الحمالون فوضعه على الجسر ، ونكأ القرحة بالنداء عليه : هذا امام الرفض . تلك أعمال لا تطفىء من العباسيين لهب الحسد ، ولا تنقص من شأن الامام ، وانما تكشف لنا عن قسوتهم ساعة الانتقام ، وذهولهم عن سياسة الاقليات ، وغفلتهم عن شحن القلوب عليهم حقداً وغيظاً ، والنار تقدح بالزناد ، وما كانت النار خامدة وانما الجمر تحت الرماد ، على ان الامام لا ذنب له عندهم سوى انه صاحب المقام حقاً .

ولما شابه سليمان بن جعفر عم الرشيد ما يصنع السندي بجنابة الامام أمر فأخذوها من أيدي الشرطة ووضعها في الجانب الغربي ، وأمر مناديه : فنادى بالناس لحضور الجنابة وتشيعها ، واكثر الشيعة في بغداد تقيم في الجانب الغربي وكانت محلة الكرخ على سعتها كلها شيعة ، فهرع الناس فحصلوه على الاعناق حتى أوصلوه الى تربته الطاهرة من مقابر قريش ، وكانت قلوب الشيعة تغلي كالمراجل غيظاً على ما يصنعه الرشيد ولولا ما كان من سليمان لاوشكت الفتنة ان تقع وان يأخذوا الجنابة قهراً الا ان يكون الرشيد أميناً بضغطه وشدته من وثبة الشيعة حتى وان كثر الضغط والضرب عليهم ، ولعل اتباع سليمان الى

الخطر حمله على ذلك الصنع حتى مشى حافياً حاسراً خلف جنازة الامام ،
فان في ذلك ابراداً للفعل واطفاء للهب واخمادا للثائرة لو جاز اشتعالها ،
أو لعل الرشيد أوعز اليه سرا ان يعمل ذلك بعدما يقضي اربه ،
وعسى ان يكون فعل سليمان غيرة على ابن عمه واستياء من
ذلك الفعل الأشنع .

ان كثرة الشيعة ذلك اليوم في بغداد وسواها من بلاد العراق
لجديرة بأن تقف حاجزا دون ارهاق السلطات لهم وانزال سوء بهم
متواليا ، ولكن هل كانت تلك الضربات المتتالية على رؤوسهم وشدة
الضغط عليهم أذهبت بقواهم ، أو لان التقية حملتهم على الاستسلام
للقسوة ، أو لان عددهم بلا عدة ، أو لان الامام لا يرضى لهم الثورة
لعلمه بانها لا تصل بهم الى الغاية ، أو لانهم بغير سائس وزعيم ينهض
بهم فيقتحم بهم الاهوال ؟ أحسب أن خلوهم من الرئيس الناهض هو
الذي أسلمهم الى ذلك الخضوع ، ومن ثم تجد العراقيين والحرمين
واليمن قد تمردت على الحكم العباسي أيام المأمون عندما وجد الناس
زعماء من العلويين يشبون بهم في وجوه بني العباس ، ويحلون عن
عواتقهم نير ذلك الاستعباد .

الشيعية ايام الرضا عليه السلام (*)

ان السياسة الآلهية للأئمة الاطهار عليهم السلام مع العباسيين
نضت بمسائلهم ، والتصر على احكامهم الجائرة ، لغاية اذاعة الحق
ولا يتسنى ذلك الا اسراراً دون ان تشعر بذلك السلطات ، ولا رحمة
لهم عند بني العباس لو شعروا منهم بتلك الدعوة .

ولولا تلك المسألة لقضي عليهم وعلى شيعتهم قبل ان تظهر
منزلتهم وكراماتهم من فضائل وعلوم ومعارف ، تلك التي نهت ذوي
البصائر الى انهم خزان علم الرسالة ، وأهل بيت النبوة .

وبهذه السياسة الآلهية ، وتلك الكرامات الباهرة ، كثر أولياء
أهل البيت ، وبذلك المسألة حققت دماؤهم بعض الشيء كما حفظت نفوس
شيعتهم قدر الامكان .

انبسط التشيع على البلاد ، وطمح كثير من الطالبيين للنهضة بل

(*) ولد عليه السلام بالمدينة عام ١٥٣ - او ١٠٨ ، وقبض بطوس في السابع
عشر من صفر عام ٢٠٣ قتيلاً بسم المأمون ، ودفن فيها حيث قبره
اليوم يقصد من كل حذب وصوب .

وتب محمد بن ابراهيم من أولاد الحسن عليه السلام بالكوفة واستفحل امره حتى دعي له بالبصرة ومكة ، و ابراهيم بن موسى ابن جعفر عليهما السلام باليمن واستولى على اليمن كله ، وكان في مكة الحسين بن الحسن الأفطس ، وبعد موت محمد بن ابراهيم وداعيتهم ابي الرايا بالكوفة بايع الحسين محمد بن جعفر الصادق عليه السلام وسماه أمير المؤمنين ، بل لا تجد قطراً الا وفيه علوي يمني نفسه أو يئنه الناس بالوثبة .

بل امتدت جذور التشيع حتى الى البلاط الملكي فكان الفضل بن سهل ذو الرياستين وزير المأمون شيعياً وطاهر بن الحسين الخزاعي قائد المأمون الذي فتح له بغداد وقتل أخاه الامين شيعياً ، وكثير سواهما ، حتى ان المأمون خشي عاقبة هذين فقتل الفضل وولى طاهرا اماره هرات ، وفعل ذلك مع أولاد طاهر فانهم بعد القيادة يوليهم اماره هرات ، وكانت الطاهرية كلها تشيع كما يقول ابن الاثير « ٤٠:٧ » في حوادث عام ٢٥٠ ، وقال في حرب سليمان بن عبد الله الطاهري مع الحسن بن زيد الناهض بطبرستان : (تأثم سليمان من قتاله لشدة في التشيع) .

وبلغ من شأن طاهر ان كان له حرم ببغداد يأمن من دخله وان يخاطب دعبل المأمون من أجل ما كان لطاهر من الفتح بقوله :

اني من القوم الذين سيوفهم

قتلت اخاك وشرفتك بمقعد

فكيف لا يخافه المأمون .

ان المأمون من رجال الدهاء والسياسة فلما رأى انتشار التشيع في الآفاق ووثبات العلويين في اطراف البلاد ، وسريان التشيع الى بلاطه خشي من عقبى هذه النزعة العلوية على سلطانه ، فرأى ان يكيد لهذه التوثبات التي ظهر بها بعض العلويين ، والكامنة في نفوس الآخرين .

ان الرضا عليه السلام ذلك اليوم امام الشيعة وسيد آل ابي طالب بعث اليه يستقدمه وأظهر انه يريد ان يتنازل له عن العرش ، وجعل الامر له في الحل والترحال واختيار الطريق ، فجاء على طريق البصرة فالاهواز فيشأبور ، وجعل طريقه عدة شهور ، ظهرت له في خلالها الكرامات الدالة على امامته ، وكانت له من الآثار ما بعضها مائل الى اليوم .

فلما دخل خراسان واجتمع به المأمون اظهر المأمون للامام انه يريد ان يتنازل له عن الخلافة لانه وجده أحق بها لفضله ، فقال له الامام : ان كانت الخلافة حقاً لك من الله فليس لك ان تخلعها عنك وتوليها غيرك وان لم تكن لك فكيف تهب ما ليس لك ، فقال اذن تقبل ولاية العهد ، فأبى عليه الامام أشد الاباء ، فقال له المأمون: ما استقدمناك باختيارك فلا نعهد اليك باختيارك ، فوالله ان لم تفعل ضربت عنقك ، فلم يجد الامام بداً من الاستسلام ، غير انه اشترط على المأمون ان لا يتدخل في شؤون الدولة ابداً ، فقبل المأمون منه ذلك ، وأمر فبايع الناس الرضا عليه السلام بولاية العهد ، وضرب السكة باسمه واجرى المراسيم الباهرة ، ووفدت الشعراء للتهنئة

وأجزل لهم العطاء ، وكتب الى البلاد كلها بأخذ البيعة بالولاية للرضا عليه السلام (١) .

نجح المأمون بهذا التدبير من العهد للرضا (ع) فهدأت بذلك نفوس الشيعة ومنت أنفسها بأن الامر سيمود لوليه امام الامة ، وقرت شقشة العلويين ، واطمأت قلوب أوليائهم من القواد والوزراء غير أهل الرأي والسياسة .

ان الامام الرضا أخبر المأمون بما يكيده بهذه البيعة فاغتاظ لذلك المأمون وقال : ما زلت تقابلني بما أكره . ان القطن من أرباب السياسة لا تخفى عليه تلك المكيدة ذلك اليوم فكيف بالرضا ، ولكن ذلك التدبير يجهل مغزاه سواد الناس ، واذا هدأت فورتهم فيمن ينهض الزعيم الثائر .

ولما بلغ الخبر العباسيين ببغداد ساءهم فعل المأمون وجعلوا ما يرمي اليه فاجتمعوا على خلعه والبيعة لعمه ابراهيم بن المهدي الشهير بالغناء ، وعندما بلغ ما أراده المأمون من الكيد وسم الرضا كتب الى بني العباس ببغداد : ان الذي أنكرتموه من أمر علي بن موسى قد زال وان الرجل قد مات .

وكان المأمون يحضر للرضا عليه السلام العلماء ليناظروه ، وهكذا

(١) كان ذلك في عام قدومه من المدينة وهو عام ٢٠١ ووجهه بابنته ام حبيبة في عام ٢٠٢ وقتله بالسهم في الشهر الثاني من عام ٢٠٣ .

كان يعمل مع ابنه الجواد عليه السلام ، يظهر بذلك انه يريد ان يعلم الناس ما لهما من فضل ، ولكنه يدس السم في العسل ، لانه كان يرجو أن يعثرا ولو مرة في جواب مسألة يجعله ذريعة للحط من كرامتهما وانقاصهما امام الناس والشيعة ، وبذلك يرجو ان ينصرفوا عن ولائهما والحب لهما : الا انها كانا لا يزدادان الا سناء ومكانة وظهر للناس انهما معذذ العلم وأهل الخلافة وغصنان من شجرة النبوة الباسقة .

كان المأمون يريد ان ينقص الرضا بتلك المناظرات ويحط من قدره بولاية العهد ويرى الناس ان الدنيا زاهدة فيه وانه لو كان زاهداً فيها لما قبل العهد بالولاية فصار الامر على خلاف ما يحتسبه المأمون فان المحاججات رفعت شأو الرضا العلمي وتطلع الناس لليوم الذي يستلم فيه مقاليد الامور .

نجح المأمون في تدييره السابق وفشل في تدييره اللاحق ، وخشي ان يستفحل الامر ويصبح أكثر الناس شيعة للرضا فيكون ملكه عرضة للخطر فاحتال عليه بالسم ودسه اليه في غيب فقضى عليه سيما بطوس ودفن بها في قبة هرون أمام قبره فاندرس قبر هرون وظهر قبر الرضا وصار مقصداً لزوار الشيعة من أطراف البلاد وشاسع المصار .

وفي عهد الرضا نشطت الشيعة وجاهروا بالولاء وعلت كلمتهم ، لا سيما أن المأمون كان جهيراً به يجمع أرباب الكلام وينظرهم في خلافة امير المؤمنين ، ويقطع حججهم بصارم براهينه : ولكنه بعد ان سم الرضا وهدأت أجراس العلوية والشيعة أوصد ذلك الباب كأن لم يكن ذلك الحجاج وتلك الحجج .

الشيعة ايام الجواد عليه السلام (١)

مات ابو الحسن الرضا عليه السلام وابو جعفر الجواد عليه السلام ابن سبع فتهافتت الشيعة عليه يستقون من سائغ نميره شأنهم مع آبائهم وما حال صغر السن دون ارتشافهم من غامر عليه ، لان الامامة الالهية لا فرق فيها بين ابن سبع او سبعين ما دامت متابعتها تستمد من العلام جل شأنه ، كما هو شأن النبوة ، فهذا عيسى كلم الناس وهو في المهد ، وهذا يحيى اخذ الكتاب بقوة وآتاه الله الحكم وهو صبي .

ان المأمون لا يجهل ذلك الشأن من الامام ولا رأي الشيعة فيه فاقتضت سياسته ان يرفع مكانة ابي جعفر عليه السلام ويعظم شأنه ، كما تظاهر قبل هذا مع ابيه ابي الحسن عليه السلام فاستدعاه من المدينة مكرما الى بغداد وأظهر له من العناية ما استفز بني العباس حتى خافوا ان يعهد اليه كما عهد الى ابيه من قبل ، ولكنهم جهلوا ما يقصده وراء ذلك الاكرام : وجهلوا ان السياسة ألوان وان لكل

(١) كانت ولادته في العاشر من رجب عام ١٩٥ كما قبل ؛ وتمنح مسجوما في ذي القعدة أو ذي الحجة من عام ٢٢٠ فيكون عمره يوم وفاته ٢٥ عاما ودفن الى جنب جده الكاظم عليهما السلام .

عهد عملا واونا ، فاستمروا في ملامته واستمر في كيدته حتى زوجه
بابنته ام الفضل وهي التي قتلتها بالسهم بإشارة من المعتصم ، فكانه
ادخرها للجواد لمثل هذا اليوم .

كثر الحاح بني العباس على المأمون على ان يصرفوه عن تزويجه
بابنته وعن رفع مقامه وهو لا يعبأ بهم فقالوا : دعه حتى يتأدب فانه
صبي فأحضر له العلماء والفقهاء لينظروا فيظهر له من الفضل ما يقطع
ألسنتهم ، فكان من الجواد مع يحيى بن اكرم ما هو مسطور في كتب
التاريخ والحديث والفضائل ، وما هو قاطع للحجة ولذارب الألسنة
من بني العباس ، وما بلغ ابو جعفر ذلك اليوم العاشرة .

ولا أدري كيف بلغ الجهل ببني العباس الى ذلك الحد ، فقد سبق
من المأمون مع الرضا عليه السلام ومنهم في لومه ما دل على نجاحه
في سياسته وكيدته ، وخطأهم في تأنيبه ، فكيف عادوا الى تفنيده حين
عاد الى اظهار الاعزاز لابي جعفر عليه السلام ، ولا ادري كيف لم ينتبهوا
الى مراميه في أعماله ولها أمثال سابقة ، وكيف يأملون ان يكشف لهم عن
نواياه في فعله ، والسياسة ان ظهرت للعيان استغزت من يراد
به الكيد ، ونهت مشاعره ، واذا أخذ الحيلة لنفسه كيف تعمل
فيه تلك المكيدة ، واذا ظهر العلوية والشيعة القصد من مراميه
في اجلاله لابي جعفر عليه السلام لم يحتفلوا بما يصنع فلا يشبّطهم عن
الوثبة في وجهه .

عاد الجواد عليه السلام الى المدينة وبقي بها مقصداً لأوليائه الى
ان اعتلى المعتصم منصة الحكم عام ٢١٨ ، فاستدعى الجواد ومعه زوجته
أم الفضل وقد علم بانحرافها عن ابي جعفر فارادها ذريعة لفنود

تدبيره في ابي جعفر ، ولم يكن المعتصم شقيق المأمون في دهائه ولا رضيع لبانه في سياسته ، ومن ثم انتفضت عليه كثير من البلاد وخلصوا ربة الطاعة واسقلوا بالامر ، فكان لقرب غوره يضيق على الجواد مرة ، ويوسع عليه اخرى ، ويجسه مرة ويطلقه تارة .

وكان يجمع له العلماء ليحاججوه زعماً منه ان يجد له زلة يؤاخذة فيها أو يسقط مقامه بها ، وزور عليه مرة كتباً تتضمن الدعوة لبيته ، فلا يكون مغبة ذلك الا اعلاء شأن ابي جعفر واطهار الكرامة والفضل له ، فكان المعتصم لا يزداد لذلك الا حنقاً وغيظاً ، ولا يقوى على كتمان ما يسره من الحسد والحقد ، فحبسه مرة وما اخرجه من السجن حتى دبر الامر في قتله ، وذلك ان قدم لزوجته ابنة المأمون سماً وحملها على ان تدفعه للامام فأجابته الى ما أراد ، فمات قتيلاً بسم المعتصم ، وعندما شاهدت أثر السم قد بان في بدن الامام تركه وحيداً في الدار ، حتى قضى نحبه ، واحتشدت الشيعة على الدار واستخرجوا جنازته والسيوف على عواتقهم وقد تعاقدوا على الموت لان المعتصم حاول ان يمنعهم عن تشييعه .

وتعرف من مثل هذه الحادثة كثرة الشيعة ذلك اليوم في بغداد وقوتهم على المراس ، ومن كثرة الرواة منهم تعرف كثرة العلم فيهم ، ومن كثرة الحجاج والجدال لا سيما في الامامة تعرف قوة الحجة عندهم ، وقوة الكفاح عن المذهب ، واتضح أمرهم .

الشيعة زمن الهادي عليه السلام (١٠)

قضى الجواد نجبه والهادي ابن ست أو ثمان كما جاءت الامامة أباه وهو ابن سبع ، فكان مؤئل الشيعة ومرجعهم ومنهل وراة العلم ومرتع رواده ، فنهلوا من مشركته ، ورتعوا الخصب من ربيعه ، كما كان حالهم مع آبائه الغر . وهذا أمر يسترعي الاتباه ، ويستلفت الانظار ، أيحسن ابن هذه السن من الناس القراءة والكتابة دون ان يكون له شيء من معرفة أو علم ، فكيف يكون جامعة العلوم لا يسأل عن شيء إلا والجواب لديه حاضر : ولا يتدبى في البيان عن مسألة إلا وأبهر العقول فيما يبيديه . أيجوز هذا في غير من ألهمه الله العلم والعرفان ، ولو كان على غير تلك الحال من العلم الآلهي لما انقادت اليه خاضعة شيوخ الفضل والعلم : وأخذت عنه أخذ مأموم عن امام ، ورأت فيه انه الحجة من الله والمعصوم عن الرجس والعالم بكل شيء ، ولو لم يكن كما رأوه وشاهدوه لكذبت الحوادث والامتحانات ذلك

(١٠) ولد بالمدينة في رجب أو ذي الحجة من عام ٢١٢ أو ٢١٤ ، وقبض مسموماً بسامراء في رجب أو جمادى الآخرة من عام ٢٥٤ ، ودفن في داره حيث قبره اليوم .

الرأي والعقيدة فيه .

بقي الهادي في المدينة والشيعنة نائرة اليه للتفقه في الدين واغتنام محاسن الاخلاق حتى سنة ٢٣٦ وكانت ناصية الحكم يومئذ بيد المتوكل وهو شديد البغض لعلي ولأهل بيته عليهم السلام وزاد في الطين بلة انه احيط بندماء قد اشتهروا بالنصب والبغض لعلي ، منهم علي ابن الجهم الشاعر الشامي من بني شامة وعمر بن فرخ الرخجي وأبو السمط من ولد مروان بن ابي حفصة من موالي بني أمية وعبد الله ابن محمد بن داود الهاشمي المعروف بابن اترجه ، وكانوا يخوفونه من العلويين ويشيرون عليه بأبعادهم والاعراض عنهم والاساءة اليهم، ثم حسنوا له الواقعة في أسلافهم الذين يعتقد الناس علو منزلتهم في الدين ، ولم يبرحوا به حتى ظهر منه ما هو معروف .

ومما ذكره ابن الاثير في حوادث عام ٢٣٦ « ١٨:٧ » وابن جرير « ٤٤:١١ » وصاحب فوات الوفيات، « ١٣٣:١ » فعله بقبر الحسين عليه السلام من الهدم والحرق والبذر والسقي ومنع الناس من زيارته الى غير ذلك مما هو مشهور عنه ، وقال صاحب الفوات : وكان معروفًا بالنصب فتألم المسلمون لذلك ، وكب أهل بغداد شتمه على الحيطان وهجاء دعبل وغيره . وفي ذلك يقول ابن السكيت وقيل هي للبسامي .

تا الله ان كانت أمية قد أتت

قتل ابن بنت نبيها مظلوما

فلقد أتته بنو أييه بمثلـه

فقداء لمرك قبره مهدوما

أسفوا على ألا يكونوا شاركوا

في قتله فتتبعوه رميما

وما اقتصر على فعله بقبر الحسين عليه السلام من الاساءة لاهل
البيت وأوليائهم ، بل جد في النيل من العلوية نسباً ومذهباً ،
واستقدم ابا الحسن الهادي عليه السلام من المدينة الى سامراء في
عام ٢٣٦ وأبقاه في سامراء يتعاهده بالاذى والسوء كما يتعاهد
المحب حبيبه بالتحف والطرف ، وقد وجد أعداء آل محمد انحراف
المتوكل عنهم ذريعة للاساءة الى ابي الحسن عليه السلام فسعوا به الى
المتوكل واخبروه ان في منزلة سلاحها وكتبا وغيرها من شيعة فوجه
اليه ليلاً من هجم عليه الدار على غرة فوجدوه في بيت وحده وعليه
مدرعة من شعر وعلى رأسه ملحفة من صوف ولا بساط في البيت
الا الرمل والحصى متوجهاً الى ربه يترنم بآيات من القرآن في الوعد
والوعيد ، فأخذ على ما وجد وحمل الى المتوكل (١) .

وما كان ذلك بأول سعي ولا أول هجوم على داره من المتوكل ،
وكلما أغراه اولئك النواصب خف به بغضه الى الاجابة لسعيهم وان وجد
كذب ما قالوه .

فكان المتوكل دائماً على ذلك الاذى وتلك الاساءة لأبي الحسن
من دون رحمة ولا هوادة الى ان قتله ابنه المنتصر انتقاماً لأمير المؤمنين
لما شاهده منه ومن الفتح بن خاقان وجلسائه من المس بكرامة المرتضى
والاستخفاف بحرمة .

(١) انظر تاريخ ابي الفداء « ٤٧:٢ » ومروج الذهب « ٢٦٥:٢ » .

وما زال الهادي مقيماً في سامراء الى ان مات مسموماً بها بسم
المعتز العباسي عام ٢٥٤ فكانت مدة اقامته فيها ١٨ عاماً يتجرع غصص
الآلام من بني العباس من ملك لا نعر وكان اكثر ايله سجين الدار
لا يصل اليه شيمته الا اختلاسا على كثرة الشيعة في هذا
العهد وكثرة احتياجهم الى رؤية الامام واخذ معالم الدين عنه ،
وكان جل استفاداتهم منه بتوسط رجال معدودين من قوامه يترددون عليه
وربما قصدوا الشيعة في بلادهم .

وفي هذا العصر كان صوت التشيع جهورياً ، وعلماءه تناضل
وتناظر ، وكثرت التأليف في كل علم ، واتسعت في الاخلاق
والكلام خاصة .

الشيعة ايام العسكري عليه السلام (١)

جاء الحسن العسكري عليه السلام من المدينة مع ابيه الهادي عليه السلام يوم استقدمه المتوكل ، وما زال مع ابيه الى ان التحق ابوه بالرفيق الاعلى ، وبقي هو مدة اقامته القصيرة في سامراء ، وقضى ايام حياته التي في سامراء في نكد وأذى ، فكان شريك ابيه الهادي فيما أصابه ، وانفرد بعد ابيه فيما قصده به العباسيون من سوء ، وكان حالهم معه من الالساء والغض من مقامه والتضييق عليه والسجن كحالهم مع ابيه ، دون ان يلاقي منهم فسحة او ارفاقا .

والشيعة في أيامه كحالها مع ابيه ، واصبحت - قم - في عهده وعهد ابيه من قبل عاصمة كبرى من عواصم العلم الشيعة ، وفيها من رواتهما ما لا عد له ، ومن المؤلفين في الحديث وفنون العلم جم غفير

وكان في سامراء وما جاورها من الشيعة عدد لا يستهان به ،

(١) ولد في ربيع الآخر عام ٢٢١ ، أو ٢٢٢ ، وقبض في سامراء لثمان خلون من ربيع الاول على الاشهر عام ٢٦٠ ودفن مع ابيه في دارهما فكانت ايام امامته ست سنين وعمره ٢٨ أو ٢٩ عاما فهو اصغر الائمة بعد الجواد عمرا .

وفي بغداد خلق كثير ، وكانت المدائن يومئذ عامرة ، وللتشييع فيها القدح الملقى ، وما زالت المواصلات بينهم وبين الامام متوالية ، ولعل سلمان الفارسي أول من وضع فيها حجر التشيع ، وبني عليه حذيفة ابن اليمان ، ولا تسئل عن الكوفة في ذلك اليوم بل وفيما قبله وما بعده ، فانها من اكبر مدن الشيعة في الولاء ، وسنبحت ان شاء الله تعالى عن كثير من البلاد التي دخلها التشيع ، ومن أين استقت ذلك المبدأ ودبت اليها تلك الروح .

وما زال العباسيون على حالهم مع الامام العسكري عليه السلام الى ان اغتاله المعتد العباسي بالسهم ، وما زال الشيعة على ذلك الشأن الى ان قبض الامام عليه السلام .

الشيعة في الفيبة الصفري :

كان مولد الامام المهدي عجل الله فرجه يوم الجمعة في النصف من شعبان عام ٢٥٥ (١) وكان الامام العسكري عليه السلام يخاف عليه

(١) ذكر ولادته عدة من اهل السنة انظر ابن خلكان في ترجمته ، وابن حجر في (الصواعق) ص ١٠٠ و ١١٤ ، ومحمد بن طلحة الشافعي في مطالب السؤل ص ٨٩ طبعة ايران ، وبنابيع المودة ، و « الفصول المهمة » لابن الصباغ المالكي في الفصل الثاني عشر ، و « كفاية الطالب » لمحمد بن يوسف الكنجي الشافعي مخطوط ، و « البيان في اخبار صاحب الزمان » لمحمد المذكور مطبوع ، وتذكرة الخواص لسبط ابن الجوزي ص ٢٠٤ و « البواقيت » لعبد الوهاب الشعراني في المبحث الخامس والستين وكتابه بمنزلة الشرح للفتوحات المكية لمحي الدين ابن عرب و « سبائك الذهب » ص ٧٦ للسويدي البغدادي و « عمدة =

ويحتفظ به ، ولا يسمح لكل أحد بمشاهدته ، وما رآه أيام أبيه
 إلا النزر من الشيعة ، وكيف لا يهمة المحافظة عليه وهو آخرهم وبه
 أحياء الشيعة وبه يملأ الله الأرض قسطا وعدلا ، وكيف لا يخشى عليه
 وبنو العباس يرتقبون ولادته ليقضوا عليه ، فكانت غيبته الصغرى
 من يوم مولده ، وهذا لا يخلف فيه اثنان من الشيعة ، وأشار
 إليه بعض أهل السنة أيضا مثل ابن الصباغ المالكي في كتابه « الفصول
 المهمة » في الفصل الحادي عشر في أخريات ترجمة الامام
 العسكري ، قال : « وخلف أبو محمد الحسن من الولد ابنه الحجة
 القائم المنتظر لدولة الحق ، وكان قد أخفى مولده وستر أمره لصعوبة
 الوقت وخوف السلطان وتطلبه للشيعة وجبهم والقبض عليهم » .

ولما قضى أبو محمد الحسن عليه السلام ، جدّ المعتمد العباسي في
 الغرور على الامام المهدي حتى حبس جوارى العسكري وجعل عليهن
 الرصد خشية ان يكون عند احداهن حمل من الامام ، فأخفاه الله
 عنه وعن اعدائه ليوم يريد به ان يطهر الأرض من الجور والظفيان
 والشرك ، ويستبدل عنها العدل والامن والايمان .

وبعد أبيه العسكري عليهما السلام جعل بينه وبين الشيعة سفراء
 أربعة وهم عثمان بن سعيد العمري وكان من وكلاء جده وإبيه ،

= الطالب» ص ١٨٦ وابن الاثير «٩٠:٧» وتاريخ ابي الفداء «٥٢:٢»
 الى كثير سواهم وقد ذكر العلامة المبرور الشيخ مرزا حسين النوري
 في كتابه « كشف الاستار » كثيرا من اهل السنة ممن ذكر ولادته
 وحجابه ووجوده ونقل عن بعضهم انه اجتمع به وروى عنه .

وابنه محمد ، وكان من وكلاء ابيه ايضا ، والحسين بن روح ، وعلي بن محمد السري (١) وتنتقل السفارة لاحدهم بعد موت الآخر . فكانت لمحمد بعد ابيه ، ثم للحسين بعد محمد ، ثم لعلي السري بعد الحسين ، وبعد موت السري عام ٣٢٩ انقطعت السفارة ، وكان مسكنهم جميعا ببغداد وبها مواضع قبورهم ، وهي اليوم معروفة وتزار ، وكان هؤلاء السفراء وسطاء بين الشيعة والامام لحمل اسئلتهم اليه وأخذ الجواب منه بتوقيعه اليهم ، والسفير هو استاذ التدريس في وقته ، يحمل الى وراد العلم علوم الامام الغائب ، ومن بعدهم انقطع الوصول اليه والاخذ عنه رأسا ، وانحصر أخذ الاحكام بالاجتهاد .

وكان للامام عليه السلام في هذه الغيبة الصغرى وكلاء كثيرون في بغداد وغيرها غير ان السفارة مختصة بهؤلاء الاربعة المعروفين بالنواب ، كما ادعى جماعة الوكالة والنيابة عنه جاء التوقيع منه بتكذيبهم والبراءة منهم ، انظر غيبة الشيخ الطوسي (ص ٢٥٨-٢٧٢) .

(١) كان عثمان بن سعيد من قوام العسكريين ووكلائهما ويلقب بالسمان كما يلقب بالعمرى وخرج التوقيع من الحجة بسفارته ولم تطل ايامه ، ثم خرج التوقيع بسفارة ابنه محمد وكان من قبل وكيله لابي محمد العسكري وكانت وفاته في اواخر جمادى الاولى عام ٣٠٤ او ٣٠٥ ثم خرج التوقيع ايام حياة محمد بسفارة الحسين بن بعده وهو من بني نوبخت وكانت وفاته في شعبان عام ٣٢٦ ، وفي ايام الحسين خرج التوقيع بسفارة السري من بعده ، ولما توفي السري ، عام ٣٢٩ لم يخرج التوقيع بسفارة احد بل ذكر الشيخ في كتاب الغيبة ص ٢٥٧ ان توقيعاً خرج على يد السري يعزي فيه الشيعة بموته ويذكر فيه انقطاع السفارة بعده ووقع الغيبة الكبرى .

وفي أيام الغيبة الصغرى كان التشيع كنور على علم لا سيما في العراق وإيران ، وكانت بغداد وقم مهبط طلاب العلم ، وفيها اساتذة الدراسة ورجال التأليف .

الشيعة في الغيبة الكبرى :

اتتهت الغيبة الصغرى بموت السمرى رضوان الله عليه عام ٣٣٩ ، وبعدها وقعت الغيبة الكبرى ، وعنها يخرج عجل الله فرجه وسهل مخرجه ، والفارق بين الغيبتين أن الصغرى توفق لمشاهدته والاجتماع به خواص مواليه ، وفي هذه الكبرى التي نحن فيها لا يتوفق لذلك الا خواص الخواص ، وفقنا الله تعالى لمشاهدة تلك الطلعة الرشيدة ، والفرقة الحميدة ، وجعلنا من انصاره واعوانه في غيبته وعند ظهوره ، انه سميع مجيب .

وما نريد ان نذكره عن الشيعة وأطوارها من بدء الغيبة الكبرى الى اليوم نأتي به في طي الذكر لمشاهير البلدان ، ولربما اشرنا الى شيء من تاريخ التشيع من قبل الغيبة عند ذكر القطر او البلد وكيف دخله التشيع ، لئلا يأتي الكلام مبتورا .

الشيعة في العراق

كانت لملي عليه السلام شيعة في العراق قبل أن تأتيه الخلافة منقادة ، وقبل ان يجعل الكوفة عاصمة خلافته ، لان الكوفة مصرها الجند الفاتح لكسرى ، والمستلب منه ملكه وبلاده ، ومن هنا تسمى الكوفة - كوفة الجند - والجند الفاتح جاء من الحجاز فهو يعلم من هو أمير المؤمنين قبل ان يتوطن العراق ، لا سيما وكان في امانة الجند والبلاد امثال ابن مسعود وعمار ، وفي هذا العهد تمصرت البصرة .

وعندما استقام امير المؤمنين في العراق بعد وقعة الجمل كان ذلك من أقوى الاسباب لنشر الولاء له فيه لا سيما الكوفة عاصمة خلافته، ومن ثم اجتهد معاوية وعماله آل مروان في استئصال التشيع منها لانها كانت مغرس نواته .

ونهضة الحسين عليه السلام هي اوثقت عرى التشيع في العراق والكوفة . ان الكوفة وان تكن هي قتلت الحسين عليه السلام الا انها هي التي انصرت له وثارت بدمه وقتلت قاتليه ، لان الشيعة كانوا في سجن ابن زياد وبعد اطلاقهم نهض بهم المختار ، ومهما جد

الامويون في اقتلاع جذور التشيع من العراق والكوفة كانت بالرغم من حيلهم وحولهم في ذلك تبسق تلك الجذور وتفرع شجرته .

ومهما اجتهدوا في جعل العراق أموياً كانت تلك الجهود فاشلة ، وكانت الروح السائدة عليه هاشمية وعلوية خاصة ، الا في البصرة في عهود قليلة ، ومن ثم اذا دهم الامويين في العراق غائلة هددوهم بجند الشام ، وما كانت لتنجح دعوة العباسيين في الكوفة والعراق لو لم يكن شعارهم الطلب بدم الحسين ودماء اهل البيت والدعوة للرضا من آل محمد عليه وعليهم السلام ، ولو كانت الدعوة صريحة لهم اكان الفضل ادنى اليها ، وما كانت لتتم البيعة لهم لو لم يفاجأ ابو سلمة الخلال بالبيعة للسفاح فغلبوه على امره دون مهلة وهو بطل الثورة والدعوة وما كان يحسب ان يضر العباسيون للامر حسواً في ارتقاء ، وصانعوه بعد البيعة أولاً لكي يتم لهم الامر فاستوزره السفاح ثم قضوا عليه عندما وجدوه علوي النزعة لا يتحول عن رأيه ، وعندما قضى العباسيون على الدولة الاموية حولوا همهم وهمومهم الى الروح العلوية في العراق والجزيرة ، فصاروا يسعون عليها بشتى الوسائل ، وأقواها للقضاء على العلويين انفسهم من لهم ذلك الولاء ، ومع تلك المكائد الجمة والحذر الشديد والفتك الذريع في العلوية كانت وثبات العلويين في العراق والجزيرة وايران متوالية والتشيع يسير المتشد خوف العقبات المعترضة في الطريق امامه هنا وهناك .

وحين رأى العباسيون ان التشيع يتسع نطاقه ولا تقضي عليه تلك المكائد والتدابير القاسية اضطر بعض ملوكهم الى مصانعة

العلويين والشيعة برفع القباب على ضرائح علي وبنيه في العراق ،
والسماح بشد الرحا لتلك المشاهد المقدسة للزيارة والجوار ، بل ربما
قصدها بعض ملوك العباسية زائراً ، واصبحت في ايامهم مشاهد أهل
البيت معمورة بالمجاورين والزائرين وصارت المآتم تقام لقتيل الصف
في عهدهم ، بل وفي عاصمة سلطانهم بغداد .

وساعد على نمو التشيع وانتشاره في العراق ان تكونت من الشيعة
فيه سلطنات ودول وامارات كسلطنة آل بويه ، وامارة بني مزيد
في الحلة والنيل ، وبني شاهين في البطائح ، وبني حمدان وآل
المسيب في الموصل ونصيبين ، وكدولة بعض المغول امثال محمد
خدا بنده وابنه ابي سعيد ، واما محمود غازان فقد قيل بتشيعه
وهناك امارات عليه الا انه لم يصارح به ، وكالدولة الجلائرية التي أسسها
الشيخ حسن الجلائري أحد قواد المغول وابن اخت محمود غازان
ومحمد خدا بنده ، وكانت بغداد عاصمة ملكه ، وكالدولة الصفوية
التي ناصرت التشيع ونشرته في البلاد بشتى الطرق ، فكأنما هي
دولة دينية تأسست لنشر مذهب اهل البيت ، وأيد مذهب التشيع
أيضا ان انعقدت عدة وزارات من رجاله ، فقد استوزر السفاح أول
ملوك بني العباس ابا سلمة الخلال الكوفي الهمداني داعية أهل البيت
وقتله على التشيع ، واستوزر المنصور بن محمد الاشعث الخزاعي ،
واستوزر المهدي ابا عبدالله يعقوب بن داود وحبه لتشيعة ، واستوزر
الرشد علي بن يقطين ، وجعفر بن الاشعث الخزاعي ، والمأمون :
الفضل بن سهل ذا الرياستين - لجمعه بين القلم والسيف - وقتله عندما احس
بيله الى الرضا عليه السلام ، واستوزر من بعده اخاه الحسن بن سهل ،

واستوزر المعتز والمهدي : ايا الفضل جعفر بن محمود الاسكافي ،
واستوزر المقدي : ابا شجاع ظهير الدين محمد بن الحسين الهمداني
وعزله لتشيعة ، واستوزر المستظهر : ابا المعالي هبة الدين بن محمد بن
المطلب وعزله لتشيعة ثم اعاده على ان لا يخرج من مذهب أهل السنة
ثم تغير عليه وعزله ، واستوزر الناصر والظاهر والمستنصر : مؤيد الدين
محمد بن عبد الكريم القمي من ذرية المقداد رضوان الله عليه ، واستوزر
المستعصم آخر ملوك بني العباس : ابا طالب محمد بن احمد العلقي
الاسدي واقره هولاء على الوزارة ، ولما مات رحمه الله استوزر :
ولده ابا الفضل عز الدين ، الى ما سوى هؤلاء .

واما الامارات والقيادات والكتابة والخزانة فما أكثرها ، أمثال
امارة آل قشمر وآل ابي فراس الشيباني وآل ديس كما اشرنا اليهم ،
وقيادة طاهر بن الحسين الخزاعي وقيادة اولاده كابنه عبدالله ،
ومحمد بن عبدالله وغيرهما ، وتوليهم امارة هرات ، وكان عبدالله
ابن سنان خازنا للنصور والمهدي والهادي والرشد ، وكان من
ثقفات الرواة لابي عبدالله الصادق عليه السلام ، الى ما
يعبر استقصاؤه .

وكفاك برهانا على ان التشيع كان ضاربا أطنا به على بسطة
العراق ما كان من نقابة الطالبين في بغداد ، فما أكثر ما كان
يتولاهم الشيعة ، أمثال الشريف الرضي وابيه وابنه وأخيه المرتضى ،
وقد تولوا المظالم ايضا ، وتولى الشريف الرضي وابوه ايضا امارة

الحاج ، كما تولاهما ثلاث عشرة حجة حسام الدين ابو فراس جعفر
ابن ابي فراس الشيباني .

وتولى آل طاووس نقابة الطالبين في العراق عامة ، تولاهما منهم
اسيدان العلمان رضي الدين وغيث الدين عبد الكريم (١) كما تولى
الاقواق في العراق وغيرها مما كان تحت حكم المغرل الخوارجا
نصير الملة والدين الطوسي طاب ثراه ، وعندما قبض عليها اقام ببغداد
وتصفح الاوقاف وأدر اخبار الفقهاء والمدرسين ، وقرر القواعد في
الموقف وأصلحها بعد اختلالها (٢) ومن بعده تولاهما ابنه احمد
فخر الدين . ولما وليها حذف الحصّة الديوانية في الوقوف ووفرت
على اربابها (٣) .

بل نسب التشيع الى بعض ملوك بني العباس أنفسهم كالأأمون
والمنتصر ولم يثبت ذلك ، نعم إنما صح انتساب التشيع الى الناصر
لدين الله فحسب (٤) وآثاره صريحة في التشيع وهي كثيرة جدا ،
ومن تلك الآثار الخالدة الى اليوم العمارة في سرداب القبة في
سامراء ، وعند الانتهاء من السرداب صفة وعليها باب من خشب

(١) انظر - الحوادث الجامعة - في حوادث عام ٦٦١ وما ذكره فيها من
تولي السيد رضي الدين بن طاووس نقابة الطالبين بالعراق ، وذكر
ان وفاته عام ٦٦٤ ، وفي حوادث عام ٦٩٣ قال : وفيها توفى النقيب
غيث الدين عبد الكريم بن طاووس .

(٢) انظر تاريخ - مختصر الدول - للعري ص ٥٠٠ . و - الحوادث
الجامعة - في حوادث عام ٦٧٢ .

(٣) انظر - الحوادث الجامعة - في حوادث عام ٦٨٣ .

(٤) ولد عام ٤٥٥٢ ومات عام ٦٢٢ . فتكون مدة سلطانه سبعا واربعين سنة .

الساج بديعة النقش وقد استدارت حوله كتابة محفورة في ذلك
الخشب الساجي متواصلة بالنقوش فيه ، والكتابة بحروف واسعة
بلاطة يقرأها كل أحد وهي :

بسم الله الرحمن الرحيم . قل لا أسألكم عليه أجراً الا المودة
في القربى ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسنا ان الله غفور شكور ،
نشأ ما امر بعمله سيدنا ومولانا الامام المفترض الطاعة على جميع الانام
ابي العباس احمد الناصر لدين الله امير المؤمنين وخليفة رب العالمين ،
الذي طبق البلاد عدله ، وعم العباد رأفته وفضله ، قرن الله أوامره
الشريفة باستمرار النجاح والنشر وناطها بالتأييد والنصر ، وجعل لايامه
المدة حداً لا يكبو جواده ، ولآرائه المجددة سعداً لا يخبو زاده ،
في عز تخضع له الاقدار فيطيعه عوامها وملك خشع له الملوك
في تلك نواصيتها ، بتولي الملوك محمد بن عبد الحسين بن معد الموسوي ،
الذي يرجو الحياة في ايامه المخلدة ، ويتمنى انفاق عمره في الدعاء
لنعماته المؤبدة ، استجاب الله أذعيته وبلغه في ايامه الشريفة امنيته ،
في سنة ست وستائة الهلالية ، وحسبنا الله ونعم الوكيل ، وصلى الله
سيدنا خاتم النبيين ، وعلى آله الطاهرين وعترته وسلم تسليماً .

وكتب بخط كوفي جميل في وسط الصفة في مستديرها على
الشار وذلك الخط محفور من خشب الساج ايضا :

بسم الله الرحمن الرحيم . محمد رسول الله ، أمير المؤمنين علي
بن الله ، فاطمة ، الحسن بن علي ، الحسين بن علي ، علي بن الحسين ،
بن علي ، جعفر بن محمد ، موسى بن جعفر ، علي بن موسى ،

محمد بن علي ، علي بن محمد ، الحسن بن علي ، القائم بالحق ، عليهم السلام هذا عمل علي بن محمد وني آل محمد رحمه الله ..

وليس ببدع تشيع الناصر لدين الله واعلانه بالتشيع ، وانما العجب بقاء هذا الاثر البديع حتى اليوم - وهو من خشب - مع تطاول السنين واختلاف الايدي عليه ، وتعاقب الدول المتحاربة .

ومن دلائل تشيعه ان جعل المشاهد المقدسة أمناً لمن لا ذ بها ، فكان الناس يلتجئون اليها في حاجاتهم ومهماتهم وجرائمهم ، فيقضي لهم الحوائج ، ريسعفهم فيما أهمهم ، ويعفو عن جرائمهم .

ومن آثار تشيعه ما ذكره ابن الفوطي في الحوادث الجامعة في حوادث عام ٦٧٢ ص ٣٨٠ بعد ان ذكر وفاة الفيلسوف العظيم الخواجه نصير الدين الطوسي وانه دفن في مشهد الامام موسى بن جعفر عليهما السلام قال : دفن في سرداب قديم البناء خال من دفن ، قيل انه قد عمل للخليفة الناصر لدين الله .

واظهوره في التشيع صار الناس يتقربون اليه باعلان التشيع ، كما كتب اليه ابو الحسن علي بن صلاح الدين يوسف الايوبي يشكو عمه أبا بكر وأخاه عثمان ، حيث غدرا به ، ونكثا عهد ابيه .

مولاي ان ابا بكر وصاحبه

عثمان قد أخذنا بالفصب حق علي

وهو الذي كان قد ولاء والده

عليهما فاستقام الامر حين ولي

فخالصاه وحلا عقيد يبعته

والامر بينهما والنص فيه جلي

فانظر الى حظ هذا الاسم كيف لقي

من الاواخر ما لاقى من الاول

فأجابه الناصر :

وافي كتابك يا بن يوسف، معلنا

بالصدق يخبر ان أصلك طاهر

غصبوا علينا حقه اذ لم يكن

بعد النبي له يشرب ناصر

فاصبر فان غداً علي حسابهم

وابشر فناصرك الامام الناصر

وهذه بعض آثاره الناطقة بصراحته في التشيع .

وما اتشر التشيع في العراق دون أن يلاقي النكبات والنكايات

في أكثر ادواره فمن أيام بني أمية وقد أشرنا فيما سبق الى شيء من

أعمالهم مع الشيعة ، الى ايام بني العباس ، غير انها تختلف فيها شدة وضعفاً ، ولو استتظقت التاريخ لاجابك عن بعض تلك النوازل بالتشيع ، وبكفيك ان تقرأ من تاريخ ابي الفداء ما جرى في حوادث عام ٣٦٢ فقد قال : وفي هذه السنة احترق الكرخ - وهي محلة شيعية محضة - احتراقاً عظيماً ، وذكر سبب ذلك الى ان قال فركب الوزير ابو الفضل لاختذ الجناة وارسل حاجبا له يسمى صافياً في جمع اقتال العامة بالكرخ ، وكان شديد التعصب على الشيعة ، فلقى النار في عدة أماكن من الكرخ فاحترق احتراقاً عظيماً ، وكان عدة من احترق سبعة عشر الف انسان ، وثلاثمائة دكان وكثيراً من الدور ، وثلاثة وثلاثين مسجداً ، ومن الاموال ما لا يحصى .

وينفيك من ابن الاثير ان تستعرض ما جرى في عام ٤٠١ و ٤٠٦ و ٤٠٨ ، و ٤٤٣ ، و ٤٤٤ ، الى كثير سواها حتى قال عن حوادث عام ٤٤٣ : وجرى من الامر الفظيع ما لم يجر مثله في الدنيا .

ولو قرأت من كتاب (المنتظم في تاريخ الملوك والامم) لابن الجوزي (ج ٨) ما جرى من الحوادث في عام ٤٤١ وما بعده لعرفت كبح كانت الحال التي تجري الدموع دماً ، وتفتت الاكباد المأ ، ولقرأت ما جرى على الشيعة من القتل والنهب وعلى مساجدها من الهدم ، وعلى مشاهدتها من الاساءة ، وعلى علمائها من الاهانة حتى ذكر في حوادث عام ٤٤٨ قتل ابي عبد الله الجلاب شيخ انبازين بباب الطاق وصلبه على باب دكانه بدعوى انه يتظاهر بالعلو في الرفض ، وهرب ابي جعفر الطوسي ، ونهب داره ص ١٧٢ وذكر في حوادث عام ٤٤٩ في صفوان دار ابي جعفر الطوسي متكلم الشيعة

بالكرخ كبست ، فأخذ ما وجد من دفاتره وكروسي كان يجلس عليه للكلام واخرج الى الكرخ مع ثلاثة مجانيق بيض كان الزوار من أهل الكرخ قديماً يحملونها معهم اذا قصدوا زيارة الكوفة فأحرق الجميع ، الى غير ذلك من الحوادث المؤسفة ، ولو استقرت « الحوادث الجامعة » لابن الفوطي على صفه ، لذلك على عدة حوادث وقعت في بغداد ، ومنع المعتصم على ضعف سلطانه : شيعة أهل البيت من قراءة مقتل الحسين عليه السلام في محلة « الكرخ » و « المختارة » وسائر المحلات الشيعية من جانبي بغداد ، انظر حوادث عام ٦٤١ و ٦٤٨ و ٦٥٣ الى غيرها مما سبق ولحق .

ولا تسأل عما صنعه العثمانيون بالشيعة يوم اغتصبوا العراق من الصفوية في المرة الثانية عام ١٠٤٧ من قتل ونهب واعتداء على الأبرياء وتعذيب لهم واحراق الكتب ، ولو سألت التاريخ عما شاهده الشيعة في العراق من رجال السلطات في عهود الظلمة والظلم : لأجابه رعو يشرق بالريق من الألم ويسجل لك الحال بمداد الدم ، وما ذلك العهد ببعيد ، وقد ادركنا بعض أيامه ، وجرى بعض من تركوه من حثالتهم عالة على العراق على تلك السيرة .

وتتم البحث عن الشيعة في العراق بذكر الكثير من بلاده الشهيرة كما ستقرأ :

الكوفة :

تأسست الكوفة عام ١٧ هـ ، ومر زمن طويل والكوفة تعد أكبر حاضرة في العراق ، ومرت عليها ادوار شتى في العمران من الارتفاع

والانحطاط ، وهكذا كان شأن التشيع فيها ، فتراه مرة يكاد ان يخيم على المدينة كلها كما كان ذلك ايام امير المؤمنين عليه السلام وايام آخر ، ونارة يسلم عليه اعداؤه سيف الانتقام فيتضاءل أمره ويستتر بين الغرف والبيوت كما كان ذلك ايام زياد وابنه والحجاج وأمثالهم من امراء الجور والاعتساف ، وهي على اختلاف حال التشيع فيها من افراع شجرته مرة وذبولها اخرى تعد من امهات المدن الشيعية .

وكانت أوائل النية الكبرى بلدة عامرة ، غير انها لم تكن بتلك السعة والحضارة اللتين كانتا على عهد المنصور وما قبله ، واستقل به التشيع في القرون الوسطى من ايام بني العباس اي بعد القرن الثالث والرابع من الهجرة وذلك عندما أصبحت النجف وكربلاء بلدين عامرين محاطين بالقبائل الشيعية المخيمة على ضفاف الفرات . وما زالت الكوفة قائمة وفيها يخفق علم التشيع الى ان حبس عنها الماء - تيمورلنك - فعاقلها أهلها فخربت .

ولما دنا منها الجري العام لماء الفرات عادت الى بعض عمارتها على ضفة النهر منذ عهد قريب ، وهي اليوم شيعية خالصة ، كما خلصت للتشيع قبل خرابها .

بفسداد :

حول المنصور عاصمة ملكه من الكوفة الى الهاشمية (١) ومنها

(١) وبها كانت سجنونه لبني الحسن حتى قضى اكثرهم بالسجن ، ولحبس الناس عنهم وعدم الخبرة بحالهم لا يدري كيف قضوا فيها ، اكان قتلًا وعلى أي اصنافه ، أم جوعًا ، أم حتف انوفهم .

الى بغداد ، وكانت العمارة والحضارة تسيران خلف الركاب الملكي ، شأن سائر البلاد التي تكون عاصمة الملك : سوى انهما لم ينتقلا عن بغداد الى سامراء يوم انتقل العرش اليها ، وان اصبحت سامراء من أهم المواسم العراقية •

انتقل المنصور الى بغداد بحاشيته وجيشه وانتقل الناس معه فانتصرت وناطحت قصورها السحاب ، واتسع جانبها بالقصور والابنية الفضة بأسرع وقت ، وكم يا ترى كان في دائرته وحاشيته وفي الجند والناس من الشيعة ، فما وضع المنصور الحجر الاساسي لبغداد الا وقامت دعامة التشيع فيها ، واستمر يتسع شأنه في كل قطر ومصر تغرس فيه نواته ، وما مضى عهد طويل على تمصير بغداد الا وصارت بعض محلاتها خالصة في التشيع لا يشاركه فيها أحد من غيرهم كمحلة الكرخ ، وما جاء القرن الرابع الا والتشيع رفيع المنار في بغداد ، رغم مقاومة الدولة العباسية له ولأئمة من أهل البيت ، وما نبغت سلطنة آل بويه بفارس في هذا القرن ، وقبضت على صولجان الحكم ببغداد الا وتعاقد فيها العلم والعلم وتناصر في خدمة مذهب أهل البيت السيف والقلم ، فقد اجتمع في بغداد على ذيوعه وتقويته نوابغ العلماء وسلاطين آل بويه ، وكانت بغداد آنذاك عاصمة العراق في تدريس الفقه الجعفري وعلم الكلام وغيرهما من العلوم الخاصة بمذهب آل محمد والعلوم العامة لاهل الاسلام ، فقد نبغ فيها من علماء الشيعة رجال تعقد عليهم الخناصر أمثال ابن قولويه والشيخ المفيد والشرفان والشيخ الطوسي ، هذا سوى من كان في اخريات عصر الأئمة ونواب الغيبة ومثل الكليني رضوان الله عليهم جميعا ، وكانت رئاسة التدريس تنتقل من واحد لآخر من أولئك الأفاضل جهابذة العلم ،

ولهم الايادي المشكورة في خدمة الدين ومذهب أهل البيت ، فقد اجتمع لديهم وسائل عديدة لنشر لواء التشيع ، من الشرف والصلاح ، والتضلع في كل علم ، والتأليف فيه ، وتقاطر طلاب العلوم على حوزاتهم التدريسية ، ومعاضدة آل بويه نلكتهم منهم .

وأما آل بويه فقد كانت خدماتهم جلى لمذهب آل محمد صلى الله عليه وآله لا يأتي عليها العد ، شجعوا هواة العلم ورجاله من جهاته اجمع ، اعزازاً وتبجيلاً ، وسخاءاً لهم بوافر الاموال ، ونشر الكتب والمكافأة بالجزيل على تأليفها ، الى غير ذلك .

ورفعوا القباب على الفرائح المقدسة ، وبنوا حولها الدور والمسكن ، وحشوا الناس على استيطانها ، وأجروا المياه اليها ، وأسعفوا الساكنين حولها بالرواتب والهبات ، فصارت الشيعة في أيامهم تتسابق مشاة وركباً لزيارة تلك القبور من أئمة أهل البيت ، وتتوارد لمجاورة تلك المراقد من كل حلب وصوب .

وأقاموا المآتم لقتيل الطف حتى ان معز الدولة آل بويه أمر الناس في العاشر من المحرم ان يفلقوا دكاكينهم ، ويطلبوا البيسج والشراء ، وان يظهروا النياحة ، ففعل الناس ذلك حتى خرجت النساء فاشرات الشمور مسودات الوجوه ، انظر الكامل لابن الاثير في حوادث عام ٣٥٢ .

وكانوا في يوم الغدير - الثامن عشر من ذي الحجة ، وهو اليوم الذي أقام فيه رسول الله (ص) علياً اماماً ومولى لكل مؤمن ومؤمنة - يصنعون فيه ما لا يصنعونه في عيد سواه من اظهار الجذل والفرح ونشر اعلام الزينة ، وصنع الاطعمة الطيبة وبسطها للرأئح والغاد ، ولبس الثياب الفاخرة ، والاكتار من الانفاق والهبات ، الى ما سوى

ذلك من اعلاء شأن هذا اليوم ، وتبعهم على ذلك الشيعة في بغداد
وسائر البلاد ، والفاطميون في مصر ، فكان اليوم العاشر من المحرم
يوم بكاء وجزع ، والثامن عشر من ذي الحجة يوم سرور وجبور ،
الى امثال ذلك مما توفق له آل بويه من اقامة الشعائر الدينية ،
وترويج مذهب اهل البيت .

وبعد أيامهم بعام حدثت فتنة عظيى بين الشيعة والسنة ببغداد انتقل
على أثرها شيخ الطائفة الطوسي بحوزته العلمية الى النجف الاشرف عام
٤٤٨ هـ اذ لم تعد بغداد صالحة لمقامه فيها ، ولم ينبغ بعده ببغداد من
علماء الشيعة مثله رجل عظيم الشأن في العلم والفضل ، ولم تعد عاصمة
للتدريس كما كانت في ايامه ومن قبل عهده .

وما زالت بغداد بعد البويهيين بين مد وجزر من ناحية التشيع ،
لان الحكم ما زال عنانه بأيدي أعدائه من بني العباس ورجال
دولتهم ، وما زالت سياسة ملكهم مذهبية تحارب اهل البيت
وأولياءهم ، سوى ما كان من عهد (الناصر لدين الله) ولو لم تكن
البواغ لنشر التشيع جمة اكان مقهوراً لسياستهم أبداً ، واستقامت
سياستهم على ذلك النهج حتى على عهد المستعصم مع استفحال أمر
التشيع في عهده وضعف سلطان بني العباس في ايامه الى أن جاءها
(هولاكو) فجرف تلك الدولة وعادت أثراً بعد عين ، وبقي التشيع ثابت
الاساس رفيع البناء — وما تشاؤون الا ان يشاء الله — .

وصار التشيع بعد أيام العباسية يقوى في العدة والعدد والمذهب
في بغداد ، فانه لم تحكم المراق بعد العباسيين الى عهد العثمانيين دولة

محارب التشيع ، اما المغول فهم بين من أطلق حرية الاديان والمذاهب كافة ، كهولاكو نفسه وهذا وحده خليف بظهور التشيع وانتشاره ، وبين من أسلم وتشيع مثل نيقولاوس بن ارغون بن بغاين هولاكو وتسمى بمحمد خدابنده ومثل ابنه ابي سعيد بهادرخان ، وبين من أسلم ونسبوا اليه التشيع وان لم يصارح به مثل غازان المسمى بمحمود اخي محمد خدابنده ، وبين من لم يطل عهده ليعلم حاله مثل تكودار بن هولاكو المسمى بأحمد وهو أول من ملك بعد هولاكو .

وأما الدولة الجلائرية الايلخانية التي حكمت العراق بعد المغول فهي شيعية بحتة ، ولها آثار مهمة في التشيع ، ورأس هذه الدولة الشيخ حسن الجلائري ، وكان وآباؤه من أمراء المغول وأمه ابنة ارغون أخت محمود ومحمد وله آثار قيمة في المشهدين العلوي والحسيني من بناء الدور والمنازل وغيرها ، واما ابنه الملك أويس فهو الذي بنى الحرم الحسيني القائم اليوم وكان عام ٧٦٧ ، وتولى الحكم عام ٧٥٧ ، ومات عام ٧٧٦ ، وفي أيامه بنى الخواجه - مرجان - المدرسة المرجانية وجعل في وسطها مسجداً كبيراً والى اليوم قائم ويعرف بجامعة مرجان واستقل مرجان ببغداد - وكان والياً عليها - لما سار الملك أويس لاسترجاع آذربيجان وكانت تحت سلطانه وقد عصت عليه فترك وجهه وعاد واستنقذ بغداد من مرجان وقبض عليه وجسه ، ثم هم بقتله فتشفع فيه علماء بغداد وأشرافها وكان محبوباً لديهم فعفا عنه وأطلقه من السجن ثم أرجعه الى محله من ولاية بغداد وبقي في منصبه هذا الى ان مات عام ٧٧٥ .

وأما الدولة الصفوية فهي الدولة العلوية الشيعية التي خلد التاريخ

خدماتها المذهبية وآثارها في اقامة الشعائر الاسلامية ، وتميز المراقدة المقدسة وعلماء الدين ورجال الاصلاح .

وأول من استولى على العراق من الصفوية هو الشاه اسماعيل أول ملوكها وكان في عام ٩١٠ واحتله العثمانيون من الصفوية لأول مرة عام ٩٤١ أيام الشاه طهاسب الاول ابن الشاه اسماعيل وأيام السلطان سليمان القانوني ، ثم استرجعه الشاه عباس الاول عام ١٠٣٣ ، ثم استلبه العثمانيون للمرة الثانية عام ١٠٤٥ أيام الشاه صفي والسلطان مراد خان الرابع .

ولا تسل عما لقيته الشيعة من ذريع الفتك عندما استلبه العثمانيون في هذه المرة ، وهذه النكبة الكبرى احدى النكبات الفظيعة التي شاهدها الشيعة في أدوار حياتهم من جراء المذهب وما آكرها .

ولما خلع العراق للعثمانيين بعد الصلح بينهم وبين الصفويين استمروا على سياسة التضييق على الشيعة ومقاومة مذهب آل البيت في العراق وغيره ، على ان العثمانيين عاهدوا الصفوية في الصلح باطلاق الحرية للشيعة في العراق وحماية المشاهد المقدسة ولم يكن العثمانيون من تلقاء أنفسهم شديدي التعصب على الشيعة ، وانما كان ما يقع منهم باغراء مناوئتهم من العراقيين وغيرهم بل ربما كان من هؤلاء رأساً عندما تكون لهم امرة وسلطة ، او يكون لهم شأن وجاه عند الحكومة ، واستترت الشيعة بحصون التقية طيلة الحكم العثماني ، ولولا اغتصام الشيعة بإيران لكانت السلطة التركية باغراء أولئك المتعصبين عذاباً صلباً عليهم .

كان المذهب الرسمي لحكومة تركيا حنيفياً وبه يقضون في العراق على الشيعة وغيرهم ، فكانت مقاومتهم للمذهب الجعفري في البلاد الوسطى والجنوبية منه سرية في اكثر الزمن وعلنية في بعض الاحايين ولولا ان هذه البلاد كلها شيعية لكان لسياستهم اثر كبير على التشيع بعد السنين الطوال ، ومن ثم قضاوا أو كادوا يقضون عليه في شمال العراق لقلّة الشيعة فيه وعدم تواصلهم مع اخوانهم في الجنوب ، وما عرف الشيعة هناك انهم شيعة الا بعد ارتفاع السلطة العثمانية فوجدهم رجال العلم الذين طرّقوا تلك البلاد لا شيعة ولا غلاة ولا سنة ، قد أخذوا من كل مذهب بطرف وما عاد بعضهم الى التشيع الا بعد جهاد وجهود على انه ما استقر على التشيع الصحيح الا ناشئتهم دون الشيوخ الذين فتحوا أعينهم على ذلك المهمل القاسي الجائر الذي حتم عليهم التحول عن مذهب اهل البيت ، دون أن يكون عندهم علماء مرشدون يقبضون عليهم بيد من حديد .

وكان العثمانيون انفسهم - مع تلك المقاومة للشيعة من امرائهم الاتراك الصميمين - يسانعون الشيعة أو قل يحترمون بعض الاحترام أهل البيت ، فقد يجرون تعميرات في العتبات المقدسة ، ويزورها بعض ولائهم من الاتراك ، وفيهم بعض الصوفية ، والصوفية هم الذين يزعمون انهم يمتون بالطريقة الى بعض أهل البيت يحترمون المشاهد الكريمة احتراماً عظيماً وكنا نرى بعض الزائرين منهم المسمين بـ « البكتاشية » الذين ينزلون بالتكايا المعدة لهم في العتبات المحترمة والتي لها أوقاف وجرايات من الدولة لضياقتهم وعلى رؤوسهم طرايش لها اثنتي عشرة زاوية وكان ذلك في العهد السابقة علامة الاتساب الى الأئمة الاثني عشر ، وهؤلاء على اتسابهم في الطريقة لاهل

انبت كانوا محترمين لدى حكومة آل عثمان وهل ذلك لتصوفهم أو لانهم أترك مثلهم ، وعلى أي حال يتجلى لنا من هذا أو غيره ان آل عثمان بطبعهم لا يحقدون على الشيعة ولا يقاومون مذهب أهل البيت بصرامة ، وانما كانت تلك المقاومات والدعايات ضد التشيع وضد مصادره أهل البيت بسبب المغرین لهم أو من المغرین انفسهم ، ولذا نجد ان تلك الروح لم تمت عندما انجلي الاتراك عن العراق وبقي فيه حثالة من موظفيهم وما كانوا غير عرب أو عربا مستركين ، ولا نجد فيهم تركا مستعربين اللهم الا نفرا قليلا لم يجدوا لهم ملجأ في تركيا ، ولو أردنا ان نشرح حال الشيعة على عهد آل عثمان وما لاقوه من سوء ونكابة لطال بنا القول وخرجنا عن الايجاز المنقصور .

ولما قضت بريطانيا على آل عثمان في العراق وانتقل حكمه الى الشرفاء واشتركت في ادارة البلاد رجال من الشيعة تقشعت رويدا رويدا تلك الظلمة القائمة من خنق الحرية لمذهب آل محمد عليه وعليهم السلام من سماء بغداد وسواها من مدن العراق .

الحالة :

أسسها سيف الدولة صدقة بن منصور المزدي (١) قال ياقوت

(١) بنو مزبد ولاية النيل ، ومزبد الاسدي جدهم ، وربما يقال لهم : بنو دبيس نسبة الى جدهم القديم دبيس بن علي بن مزبد ، وأول من تولى النيل منهم ابو الحسن علي بن مزبد الاسدي ، ولاه عليه سلطان الدولة البويهية عام ٤٠٣ وخلع عليه ، كما ذكر ذلك ان الاثر في حوادث هذه السنة ، وولي منهم سبعة نفر كان آخرهم علي بن دبيس وقد مات عام ٤٤٥ وبموته انقرضت اماراتهم بعد ان استقامت ١٤٢ عاما ، =

الحموي في معجم البلدان في (الحلة) : « وكانت منازل آبائه - أي سيف الدولة - الدور من النيل ، فلما قوي أمره واشتد ازره وكثرت أمواله ، لاشتغال الملوك السلجوقية بركياروق ومحمد وسنجر أولاد ملك شاه بن ألب أرسلان بما تواتر بينهم من الحروب انتقل الى الجامعين موضع في غربي الفرات ، ليعبد عن الطالب ، وذلك في محرم سنة ٤٩٥ ، وكانت أجمة تأوي اليها السباع . فنزل بأهله وعسكره ، وبنى بها المساكن الجليلة ، والدور الفاخرة ، وتأثق اصحابه في مثل ذلك فصارت ملجأ وقد قصدوا التجار ، فصارت أفخر بلاد العراق وأحسنها مدة حياة سيف الدولة فلما قتل (١) بقيت على عمارتها فهي الى اليوم قصبة تلك الكورة » .

= وكانت اماراتهم لا تتجاوز النيل ولكن سيف الدولة هذا باني الحلة السيفية علا شأنه وعظم قدره حتى فتح البصرة واستولى على الكوفة وامتد سلطانه الى هيت وتكريت ، وفي ايام نور الدولة دبس حدث فتنة عظيمة ببغداد بين الشيعة والسنة في عام ٤٤٣ حتى قال ابن الاثير « ٢١٥:٩ » في الحديث عنها . وجرى من الامر الفظيع ما لم يجر مثله في الدنيا ، وقال . ولما انتهى خبر احراق المشهد - مشهد الامامين الكاظمين - الى نور الدولة دبس بن مزيد عظم عليه واشتد وبلغ منه كل مبلغ لانه واهل بيته وسائر اعماله من النيل وتلك الولاية كلهم شيعة فقطعت في اعماله خطبة الامام للقائم بأمر الله فوثب في ذلك فاعتذر بان اهل ولايته شيعة واتفقوا على ذلك فلم يمكنه ان يشق عليهم كما ان الخليفة لم يمكنه كف السفهاء الذين فعلوا بالمشهد ما فعلوا .

(١) قتل في المعركة التي جرت بينه وبين محمد ملك شاه ، لما اجار سيف

الدولة سرخاب بن كيخسر والدبلي عام ٥٠١ وامتنع من تسليمه لمحمد ملك شاه .

فالحلة شيعية من يوم تأسيسها ، واستقامت على التشيع الى اليوم، وكانت مهبط ذوي العلم والادب ، وعظم شأنها في تدريس الفقه الجعفري وسائر علوم الدين حتى صارت عاصمة التدريس في علم أهل البيت في المراق زمناً طويلاً ، وخرجت من اعلام الفقهاء والعلماء عدداً لا يأتي عليه الحصر ، وفيهم امثال ابن ادریس وابن نما وآل طاووس وهم عدد جم . وآل سعيد ومنهم المحقق والعلامة وابوه وابنه ، الى غير هؤلاء مما يكل عن عددهم لسان القلم ، وقبور الكثير منهم باقية في البلد وما زالت معمورة حتى اليوم (١) .

ولما أحاط هولاء ببغداد جاءه وفد من الحلة والمشهدين العلوي والحسيني مؤلف من أكابر الفقهاء والعلماء مع مجد الدين محمد بن طاووس الموسوي ، وسألوه حقن دماهم ، فأجابهم الى ما طلبوه منه ، فسلمت الحلة والنيل والمشهدان المقدسان مما ابتليت به بغداد ، كما هو مذكور في عمدة الطالب والحوادث الجامعة في حوادث عام ٦٥٦ وفي غيرهما .

وبقيت الحلة منهلاً لوراد العلم الى ما بعد الالف الهجري ، وبعد هذا لم ينضب ذلك البلد الطيب من ينبوع العلم ، ولم يجذب من رياض الادب ، فقد أثمر من الشعراء ما يعجز اليراع عن استقصائهم ، حتى ليخال ان الشعر قد مازج تربتها فنمت عليه غرس طباعهم ، وفيهم الكثير من شعراء أهل البيت المجيدين كالشفهيني وابن عرندس

(١) قد توقفت لزيارة الكثير من هذه القبور في أول ذي القعدة من عام ١٣٦٣ بعد تأليف هذا الكتاب بأحد عشر عاماً .

والكوازين وابن القيم والسيد مهدي وابن أخيه السيد حيدر الشهير صاحب الديوان والعقد المفصل وأمثال هؤلاء ممن تقدم وتأخر .

كربلاء :

بلد الكرب والبلاء ، التي جرى على ترابها الدم الطاهر من نحر سيد الشهداء عليه السلام ، زمن نحور الصفوة من آل بي طالب ، والخلص من أنصاره ، وفيها سلبت بنات الرسالة ، ومنها أسرن .

كانت كربلاء قبل حادثة الطف ، وبعدها الى أمد غير قصير منزل بني أسد العلويين مذهباً ، والى اليوم يوجد منهم قوم في ضواحيها ، وهم الذين توفقوا لمساعدة زين العابدين عليه السلام على مواراة تلك الجثث الطواهر ، وصاروا أدلاء على تلك القبور .

وأقيمت الابنية على تلك الضرائح المقدسة على عهد الامويين ، غير أن الرشيد العباسي هدم ذلك البناء ، وقطع سدره كانت عند القبر الطاهر يهتدي بها الزائرون الى ضريح سيد الشهداء عليه السلام ويستظلون تحتها ، روى الشيخ الطوسي طاب ثراه في أماليه في المجلس الحادي عشر مسنداً عن يحيى بن المغيرة الرازي قال : كنت عند جرير بن عبد الحميد اذ جاءه رجل من أهل العراق فسأله جرير عن خبر الناس فقال : تركت الرشيد وقد كرب قبر الحسين عليه السلام وأمر أن تقطع السدره التي فيه فقطعت قال : فرفع جرير يديه فقال : الله اكبر جاءنا فيه حديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال : لمن الله قاطع السدره ثلاثاً فلم تقف على معناه حتى

الآن ، لان القصد لقطعها تغيير مصرع الحسين عليه السلام حتى لا يقف الناس على قبره .

فأعيد البناء أيام المأمون ومن بعده (١) وبنيت حول قبر الحسين عليه السلام الدور والمنازل ، ولكن المتوكل أبى الا هدم هاتيك العمارات التي أقيمت على قبر الحسين وقبور الشهداء ، وهدم المنازل والدور التي حولها ، وقد أشرنا الى ذلك فيما سبق فأعيدت أيام ابنه المنتصر وقد عاكس سيرة أبيه مع العلويين (٢) واشادها الداعي محمد بن زيد العلوي صاحب طبرستان ، وقيل اخوه الحسن ، واقامها

(١) كما ذكر ذلك العلامة الشريف السيد حسن الصدر في كتابه الوجيز - نزهة اهل الحرمين - .

(٢) قال ابن الاثير « ٣٦٠٧ » في حوادث عام ٢٤٨ وامر - اي المنتصر - بزيارة قبر علي والحسين عليهما السلام وآمن العلويين وكانوا خائفين أيام أبيه واطلق وقوفهم . وامر برد فذلك الى ولد الحسن وألحسين عليهما السلام وقال : وذكر ان المنتصر لما ولي الخلافة اول ما أحسنه ان عزل صالح بن علي عن المدينة . واستعمل عليها علي بن الحسن بن اسماعيل بن العباس بن محمد . قال علي : لما دخلت أودعه قال لي : اني أوجهك الى لحيي ودمي ومد ساعده وقال : الى هذا أوجه بك فانظر كيف تكون للثوم وتيف تعاملهم . يعني آل أبي طالب .

وذكر « ١٨٠٧ » ان المنتصر انكر علي أبيه المتوكل حينما شاهد عبادة المخذل يمثل علي بن أبي طالب وهو يرقص فقال المتوكل :

« غار الفتى لابن عمه رأس الفتى في حرامه »

وهذا وغيره حمل المنتصر على قتل أبيه المتوكل وافتح بن خافان . وقال ابن الاثير : ان المنتصر ذكر للفقهاء اعمال أبيه المستهجنة ليحملهم على إباحة قتله ثم كان منه ما أوقعه من القتل .

— على أجمل هيئة وأضخم بناء — آل بويه، كما اشادوا جميع مراقدا الأئمة الاطهار في العراق وما زالت تشاد هاتيك المراقد الطاهرة يوماً بعد آخر ، وتنافس في عمارتها الملوك والسلاطين من الجلائرية والصفوية ونادر شاه والزندية والقاجارية والعثمانية ، ولحكومتها الحاضرة يد عاملة قوية في الاشادة والترميم راجين ان تكون يدها بيضاء في خدمة الدين والاسلام والبلاد .

فأصبحت هذه الضرائح القدسية من الاشادة على ما لا مزيد عليه ، وعلى ما تراه بام عينيك من الفخامة والضحخة والاتقان .

وأصيبت كربلاء البلد المقدس بعدة وقائع فظيعة منها واقعة الوهابي عام ١٢١٦ هـ ، وقد بالغ في حصارها ، حتى دخلها فاتحاً بعد قتال عنيف ، فارتكب من فظائع الاعمال ما لا ييلسه الوصف ، واسرف في القتل ، فلم يرحم كبيراً لكبره ، ولا صغيراً لصغره ، وقيل : انه قتل في ليلة واحدة عشرة آلاف نسمة ، ثم نهب خزائن القبر الشريف التي ملاها ملوك الهند والفرس بنفائس الجواهر ، وبعد حين زارها بعض ملوك الهند فبنى عليها سوراً منيعاً واقام عليه الابراج ، ونصب فيها آلات الدفاع .

وذكر الشعراء هذه الحادثة الممضة المحزنة ، ومنهم الشاعر المطلق الحاج محمد رضا الازري رحمة الله عليه وقد نظم فيها قصائد ثلاث وكلهن غرر ، مطلع احدها من ، وهي يحتج بها على ابن السمود بحجج قاطعة :

ألم يأن أن يصفي إلى الحق غافل

ويسلك نهج الانتقام مائل

وهي تشتمل على ٩٥ بيتاً ، ومطلع الاخرى :

تخطب على الطف قد غشي بطوفان

فحلل عن جانيه كل بيان

وهي تشتمل على ١٠٢ وأرخ في بيت الختام هذه الحادثة فقال :

وقال في يومها الأدهى مؤرخها

في كربلاء دهانا رزوها الثاني

وأما الثالثة فهي تشتمل على ٩٥ بيتاً ، وكل شطر منها تاريخ ،

وهي من غرر الشعر على أنها تضمنت ما لا يقوى عليه شاعر ، ومطلعها :

أريحا فقد لاحت طلائع كربلا

لنقبر أشلاء ونسعد مرملا

وفي ختامها يقول :

ونادى به ناعي الصلاح مؤرخا

لقد عاودتنا اليوم أرياء كربلا

ومنها واقعة عام ١٢٤١ يوم ثارت على دولة آل عثمان ، وكان
والي بغداد يومئذ داود باشا فقمصدها ولكنه عاد خاسراً ، ثم عاد
عنها ومنع اليها الميرة وبعد حصار شديد ظفر بها .

ومنها حادثة عام ١٢٥٨ ، وقد امتنع أهلها عن اداء الضرائب وكان
الوالي نجيب باشا ، فأرسل لاختضاعها سعد الله باشا ، ولما شاهد
مناعتها لاذ بالخدمة فأرسل اليها منشوراً يتضمن عفو الحكومة
عنهم ، فلما نزلوا عن الابراج والحصون وفتحوا له الابواب أمر
الجيش فهجموا وسلطوا المدافع على جهة السور الشرقية فهدمتها
القنابل ، حتى دخل بجيشه صحن العباس عليه السلام وقتل من لاذ
بالقبر الشريف كما قيل .

وكافت واقعة العثمانيين معهم عام ١٣٣٥ لا تقل فظاعة عن
هذه الحوادث السالفة لو لم يستول الماء على الاماكن التي تحصن فيها
الجنود ، فاضطروا للخروج منها .

ودامت كربلاء برهة عاصمة التدريس في العراق لمذهب أهل
البيت الى أوائل القرن الثالث عشر ، وتخرج منها من فحول العلماء
الكثير أمثال الشيخ يوسف البحراني صاحب الحقائق ، والاستاذ
الاكبر الاغا محمد باقر الجبهاني صاحب شرح المفاتيح والتعليق المفيدة
على كتاب (مدارك الاحكام) ورجال الميرزا محمد وغيرها ، والسيد
مير علي الطباطبائي صاحب الرياض ، وابنه السيد محمد المجاهد ، وغيرهم
ثم انتقل التدريس منها الى النجف الاشرف على عهد العلامة الكبير

صاحب الكرامات السيد محمد مهدي بحر العلوم الطباطبائي تلميذ الاغا
البهبهاني .

النجف الاشرف :

مرقد أمير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام واراہ بنوہ لیلہ
فی بقتہ الطاہرہ من النجف اخفاءً لقبرہ علماً منهم ان الدولة
ستكون لبني أمية ، ولا يؤمن من اساءتہم لمرقده ، كما لا يؤمن من
الخوارج علیہ ، وكان أولادہ عالمین بموضعه فقد زارہ زين العابدين
سراً وابنه الباقر من بعده علی عهد بني مروان ، ولما جاء الحکم
العباسي وجلبوا الصادق علیہ السلام عدة مرات الى العراق صار يدل
صفوة أصحابہ علی موضع القبر فكان في كل مرة يزور فیہا المرقد
المقدس یصحب معہ بعضهم ، وكان القبر دكة قد هدمها السيل فأمر
الصادق (ع) صفوان الجمال بأعاد بناءها ، فصارت الشيعة من ذلك
اليوم تقصده للزيارة بعد ان عرفه جماعة من رجال الصادق وبدلالتهم
اهتدى الناس الى القبر .

وأول من رفع علیہ قبة هارون الرشيد ، ولا أدري لماذا هدم
قبة السبط الشهيد علیہ السلام وبنى مثلها علی قبر أبيه ، ثم اشد
انبناء علیہ الداعي محمد بن زيد العلوي صاحب طبرستان ، وقيل اخوه
الحسن ، ثم جاء آل بويه فعمروه عمارة جلیلة هي الغاية فی الفخامة
والانتقان فی ذلك الوقت (١) وأجزلوا الصلاة والرواتب لسكان ذلك

(١) وبنى ابو محمد الحسن بن سهلان سوراً علی مشهد أمير المؤمنين علیہ
السلام ایام آل بويه عام ٤٠٠ انظر تاريخ ابي الفداء « ١٣٩:٣ » .

المرقد المقدس ، وصارت النجف عاصمة التدريس للفقهاء الجعفري وجميع علوم الدين بعد عهدهم يوم انتقل اليها من بغداد شيخ الطائفة محمد بن الحسن الطوسي بحوزته العلمية عام ٤٤٨ هـ ، واجرى له وتلاميذته نفقات وافية ، ثم انتقل التدريس منها الى الحلة فكريلاء ، ثم عاد اليها فالتقى بكليلة فيها فهي الى اليوم العاصمة في تدريس علوم الدين على مذهب أهل البيت ، وخرجت فطاحل من العلماء لا يبلغهم العد والحصر .

والنجف تأسست شيعة يسكنها أولياء أمير المؤمنين عليه السلام رغبة في جوار ذلك المرقد العظيم ، وهي من بدء تأسيسها الى اليوم مصدر من مصادر التشيع ، وما استطاعت ايدي السياسة المتعاقبة التي حكمت العراق ان تحول دون المرجعية له والهجرة اليه ، وتحمل المجاورون شدايد جلى في بعض الازمنة من العطش ومن غزوات بعض انبذو حتى اطمأنت بهم الدار وارتوت البلدة .

وسلمت هي والحلة وكربلاء من عادية هولاء وكنوده ، كما سلمت من فتك آل السعود وعدوانهم : ولم تسلم كربلاء من وحشيتهم وقسوتهم .

غزاها السعوديون مرتين كانت الاولى عام ١٢١٦ بعدما ظفروا بكربلاء ، وخافتهم النجف خوفا شديدا لعلمهم بما اجرؤه بكربلاء من فظائع فصمدوا لهم وداموا على الحصار برهة فعادت هجماتهم القوية خاصة بعدما تركوا القتلى الكثيرة .

وكانت الثانية عام ١٢٢١ وقد هاجموا النجف ليلة التاسع من صفر قبل انصبح بساعة وأهلها غافلون لم يسبقهم علم بهذا الهجوم ، فتسلق بعض الغزاة السور وكادوا ان ينزلوا الى داخل البلد لولا ان ينتبه لهم اهل البلد ويصلوهم النار حامية ، فرجعوا ادراجهم منهزمين وتركوا وراءهم من القتلى العدد الجم .

وسلمت من العثمانيين يوم شاركت كربلاء في العصيان ، وما سلمت من عدوانهم الا بعد ان سالت .

ونجت في أوائل الحرب العامة دون اختيها كربلاء والحلة بل دون اكثر المدن العراقية من عادية الاتراك وسوء سلوكهم ، وقد وثبت لمقاومتهم في فجر اليوم السابع من رجب عام ١٣٣٣ حين لم تنسبر على مضض الضيم ، وعسواذي الظلم فظفرت بالجيش التركي واخرجته من البلد دون ان يحدث فيه ما يكدر صفو الاهلين ، واما الحلة وكربلاء فقد جاريا النجف في اخراج الترك بعد المقاومة ولكنهم عادوا اليها وما خرجوا منها الا بعد ازهاق وارهاق ونهب وسلب وصلب لا سيما الحلة فقد لاقت ما لم تلاقه بلاد عراقية سواها .

نعم شاهدت النجف شيئا من الحصار والضنك يوم قاومت شرذمة منها الانكليز ، وقتلوا حاكمها السياسي والطبيب وبعض الجنود عام ١٣٣٦ ، فحاصرها الانكليز ما يشاهد الاربعين يوما ، فما كفوا عن الحصار حتى قبضوا على رجال الحركة ، فصلبوا احد عشر نفرا ، وأبعدوا الباقين الى جزيرة (هنجام) وكانت منفى لمن يفضب .

عليه الانكليز من العراقيين ، ثم ارجعوه بعد حين ، وكان عدتهم ثمانين أو حولها .

وهكذا شاهدت بعض الحصار والضييق في الثورة العامة عام ١٣٣٨ هـ و ١٩٢٠ م وهذه النوازل التي شاهدها النجف من الطوارئ التي قلما تسلم منها بلاد في العالم ، بل ربما كانت أقل من سواها أذى من بلاد العراق دون بلاد العالم ، وبعض ما لاقوه كان من جراء العداء المذهبي أمثال هجمات آل سعود ، التي عادت بالخيانة والخسران .

والنجف منذ قرن ونصف مرجع التقليد لأكثر الشيعة في اطراف البلاد ، واليها الهجرة من الهند وإيران وأفغانستان وسوريا وقفقاسيا - من قبل - وغيرها لتحصيل علم أهل البيت الطاهر ، ومرت عليها أيام طويلة قبل حرب ١٣٣٢ وطلاب العلوم فيها يربون على عشرة آلاف ، وعن هؤلاء وسواهم من طلبة العلوم في المتبسات المقدسة وإيران يأخذ العالم الشيعي معالم دينه ومعارفه ، وللمنبر الحسيني الأثر الجميل في تعريف الشيعة تاريخ الاسلام وأهل البيت ونشر الاخلاق والفضيلة ، ومن ثم تجد أكثر السواد من الشيعة لا يجهلون الاحكام ويعرفون سيرة الرسول واحوال عترته وما جرى عليه من المصائب والنوائب ، وقد يقوى كثير منهم على المناظرة والمحااجة في الامامة وسواها بفضل ذلك التعليم والارشاد من ابناء العلم ، والبيان من خطباء المنبر .

وكانت تركيا تحاول الحيلولة دون نشر هاتيك التعاليم وذلك البيان ، بمساعي مناوئي الشيعة ، لئلا يفقه الناس من هم أهل البيت ،

أو لأن يبقى الشيعة جهلاء فيسهل اقناعهم عن العذول عن مذهب اهل البيت ، ومهما اجتهدت بالقوة مرة وبالبيان اخرى لتنفيذ تلك السياسة عادت خاسئة ، لرسوخ تلك المبادئ في صدور اولئك السواد من الشيعة .

ولولا ما سنه الملوك من الشفار لحز أورددة الدعاة لمذهب اهل البيت لرأيت مذهب أهل البيت أكثر ذيوغا منه اليوم ، وذو الملح على الجرح تلك الاقلام والاعواد المستأجرة التي ما زالت ولا تزال تنسب لاولياء هذا المذهب البدع الباطلة والمقالات الفاسدة في العراق وغيره .

وكيف لا يقبل الناس على اعتناق مذهب العترة والعترة أحد الثقلين الذين أمر سيد الرسل بالتمسك بهما ، والعترة هي التي جمعت من الفضائل والفواضل ما لا يدانيهم فيها أحد من الناس ، فمن علم الى زهد الى دين الى اخلاق الى مكارم لا تحصي .

الكاظمية :

مرقد الامامين موسى الكاظم وحفيده محمد الجواد عليهما السلام وكانت تعرف بمقبرة قریش قبل ان يقبرا فيها ، واتخذت مقبرة بعد سكنى بغداد ، وتمصرت بعد أن تشرفت بجسديهما الطاهرين ، وصارت مسكناً للشيعة شأن البلاد المقدسه التي يرغب الشيعة بسكنائها لجوار ضرائح الأئمة من أهل البيت ، لانهم يرون ان في مجاورة وزيارة تلك المشاهد الكريمة فضلا عند الله تعالى ، وجاءت من طرقهم أحاديث جمة تدلهم على ذلك الفضل .

وسكنها الشيعة أيام بني العباس وتمصرت من ذلك العهد ، كما هو الشأن في غيرها من مراقد الأئمة من أهل البيت ، وقد منيت كما مني سواها من مدن العراق الشيعية بشيء من زلازل السياسة المذهبية زمن بني العباس وآل عثمان ، غير أن الشيعة في بغداد كانوا أشد محنة وبلاءً من شيعة الكاظمية ، وكثيراً ما تسلم من تلك الممارك الدموية المذهبية في بغداد أيام العباسيين والعثمانيين على قربها من بغداد .

نعم حادثة عام ٤٤٣ التي وقعت بين الشيعة والسنة ببغداد والتي قال عنها ابن الاثير : وجرى من الامر الفظيع ما لم يجز مثله في الدنيا ، تطاير شررها العظيم حتى بلغ الكاظمية فاحرق قبر الامامين عليهما السلام فكأنما أبت الناس الا ان تقتدي بالرشيد والمتوكل في الجرأة على القباب الرفيعة لأهل البيت .

وقد يمنع العباسيون الشيعة في محلات بغداد الشيعية كمحلة الكرخ والمختارة وغيرها عن قراءة مقتل الحسين عليه السلام واظهار شعائر الحزن عليه ، وقد يحدث الشغب والاضطراب من جراء ذلك المنع الا انهم قد يرخصون ذلك في مشهد الامامين عليهما السلام ، كما فعل ذلك المستعصم آخر ملوكهم ، انظر الحوادث الجامعة في حوادث عام ٦٤١ ، ٦٤٨ ، ٦٥٣ ، وكانت لها أمثال أيام الملوك من اسلافه ، كما جرى على تلك السيرة آل عثمان في بعض السنين .

وما زالت ولم تزل شأن غيرها من البلاد المقدسة مورداً من موارد العلم الجعفري ، ونبع فيها من العلماء الجم الففير ، ممن كان منها لعلوم أهل البيت ، ومصدراً لأهل الفضل ، ومقصداً لطلاب العلم ،

أمثال الشيخ أسد الله التستري صاحب المقاييس والمؤلفات الكثيرة التي ألفتها نز الماء في داره بالكاظمية ، ولم يسلم منها الا المقاييس وشيء قليل سواها ، والسيد محسن الأعرجي صاحب المحصول والسيد عبد الله شبر صاحب المؤلفات الكثيرة ، والشيخ محمد حسن آل ياسين ، الى كثير سواهم ممن سبق ولحق ، وقد شاهدت عدة من أجلة العلماء الذين خرجهم هذا البلد الأقدس أمثال السيد حسن الصدر والشيخ مهدي الخالصي قدس الله أرواح الجميع .

ولكل من هؤلاء الاعلام ذرية من أهل العلم أصبحت أسراً واسعة تحتفظ بكرامتها وهي ما تزال تقطن بلد الكاظمية .

وقد قطن الكاظمية من آل مظفر في أوائل القرن الماضي عالم جليل القدر شديد الورع وهو الشيخ ابراهيم بن محمد بن عبد الحسين ابن مظفر واستقام بها الى ان توفاه الله ودفن في الرواق الكاظمي وله آثار تنسب اليه حتى اليوم .

وهي غير ناضبة من الادب ، وقد نبغ فيها شعراء عديدون أمثال الشيخ جابر الطائر الصيت وعبد المحسن الكاظمي الذي قطن مصر وسارت الركبان مغنية بشعره وافتخرت الصحف بنشره وفيها اليوم حركة ادبية محموددة .

سامراء :

أسسها المعتصم العباسي عام ٣٢٠ وجعلها عاصمة ملكه وانتقل اليها بحاشيته وجيشه ، وأنت جد خير بأن التشيع يسير مع الاسلام

أيضا سار فكم كان بين الجند والقواد والامراء والكتاب من يحمل بين حنايا ضلوعه ولاء أهل البيت عليهم السلام ، وظهر التشيع جليا بعد أن أقام الامامان فيها ، وشاهد الناس ما لهما من علم وسجيا حميدة، ومزايا دلت على انها فرعان من شجرة النبوة ووارثان لذلك العلم الالهي ، على الرغم من مناوأة العباسيين لهما ، واجتهادهم في منع الناس من الاجتماع بهما واجتماعهما بالناس ، ولكن الشمس تفيض على العالم أشعة تنمي الضرع والزرع وان حالت السحب دون ذلك الشعاع .

ويشهد لظهور التشيع في سامراء ذلك اليوم ما ذكره اليعقوبي في تاريخه « ٢٢٥:٣ » عن حوادث عام ٢٥٤ و وفاة الهادي عليه السلام فيها قال : « فصلي عليه في الشارع المعروف بشارع ابي أحمد فلما كثر الناس واجتمعوا كثر بكأؤهم وضجتهم فرد النمش الى داره فدفن فيها » . وهكذا ذكر غيره عند وفاة ولده ابي محمد الحسن عليه السلام .

وما زال التشيع فيها راسخ القدم الى ان حاربه الايوبي في تلك الجهات ، واقتفى أثره بعد أمد بعيد - السلطان سليم العثماني - وجرت على ذلك السياسة العثمانية من بعده ، ولو لم يكن الا مراد الرابع محاربا للشيعية في هذه المناطق البعيدة عن المجتمع الشيعي لكفى في اخفاء التشيع وهرب الظاهرين من رجاله ، ولقد نزع عنها ثلة من الناس هربا بأرواحهم وكان منهم سدة ذلك الحرم المقدس .

ولما قطن فيها العلامة الكبير زعيم أهل الدين في عصره السيد

مرزا حسن الشيرازي (١) استعاد التشيع فيها نشاطه ، وهاجر اليها كثير من أبناء العلم وأرباب المكاسب ، وحينما تضاءل قبل هذا فيها التشيع زمناً طويلاً كان آخذاً بحظ وافر في قبائلها الجنوبية القاطنة على ضفتي دجلة ، وفي القرى والرساتيق الشرقية الجنوبية التي بينها وبين بغداد .

وما زالت بعد ارتحال السيد الشيرازي عليه الرحمة مهبطاً لبعض أهل العلم ولم تخل في عهد من عهودها الى اليوم من رجال لهم قيمتهم العلمية والاجتماعية ، ويسكنها اليوم جماعة من الشيعة من أهل الحرف والعمل .

وسامراء من البلاد المقدسة التي يؤمها الشيعة لزيارة مرقي الامامين الهادي وابنه الحسن العسكري عليهما السلام ، ومنها يزار المهدي المنتظر عجل الله فرجه لان فيها مولده ومنشأه ومنها مغيه ، يزار من سرداب دارهم ، وفي السرداب آثار قيمة لحدثها - الناصر لدين الله - العباسي أشرنا اليها عند ذكره .

(١) كانت وفاته في اخريات شعبان عام ١٣١٢ وحمل نعشه الى النجف على الاكتاف ، وكل بلد يمر عليه النعش يشيعه منه خلق كثير فما دخل النجف الا وحول النعش جم لا يحصى ، وخرجت النجف برمتها لاستقبال النعش وتشيعه ، فكان يوم وروده يوماً عظيماً مشهوراً قلما يكون مثله .

الموصل وشمال العراق

كان شمال العراق وبلد الموصل كغيرها من مدن العراق التي انتشر فيها التشيع ، وبعض الآثار الخالدة تدلك على تلك الروح النامية في هذه البلاد ، ونجد اليوم في المتحف العراقي محراباً حوله أسماء الأئمة الاثني عشر حمل من تلك الناحية ، وكان تقباء الموصل وكركوك من عهد العباسيين والى اليوم من العلويين نسباً وولاءاً ، قال في - الحوادث الجامعة - في حوادث عام ٦٧٤ ص ٣٨٦ : « ان ركن الدين ابن النقيب محي الدين محمد بن حيدر نقيب الموصل سقط بفرسه الى دجلة ببغداد وكان مجتازاً على الجسر فأصعد الى مشهد علي عليه السلام فدفن هناك وكان شاباً حسن الخلقة عمره سبع عشرة سنة وراثه شمس الدين محمد بن عبيد الله الكوفي الواعظ بقصيدة طويلة ذكر عدة ابيات منها ، ونحن نذكر بيتين منها وهما :

يا ماء ما انصفت آل محمد

وعلى كمال الدين كنت المجترى

في الطف لم تسعد أباه بقطرة

واليوم قد أغرقته في ابحس

ولو لم يكن لنا برهان على تشيع هؤلاء النقباء الاحل هذا الشاب
الى مرقد جده امير المؤمنين الذي لا يحل الجنائز الى جواره سوى
الشيعة ، والا هذا الشعر الذي رثي به لكفانا عن كل برهان .

وكانت في الموصل ونصيبين امارتان شيعيتان تكونت احدهما
تلو الاخرى ، اما الاولى فهي امارة آل حمدان ، وأول أمير منهم
ابو الهيجاء عبد الله بن حمدان والد سيف الدولة وناصر الدولة
ووليها من بعده أخوه سعيد بن حمدان والد ابي فراس الشاعر المعروف
وقتل ابن أخيه ناصر الدولة الحسن بن عبد الله ، وترجع على دست
الامارة من بعده ، واستفحل امره حتى لقبه المتقي العباسي : امير
الامراء ، وبلغ من شأنه أن ألف له الشيخ المفيد طاب ثراه رسالة في
الامامة ، وتولى من بعده ابنه عدة الدولة غضنفر (١) وبه انقرضت
امارتهم من الموصل وما والاها .

وأما الامارة الثانية فهي امارة آل المسيب ، وكانوا ايام
بني حمدان أمراء نصيبين واخذوا الموصل حرباً فآقروهم بهاء الدولة
البويهى ، وعظم شأنهم ايام شرف الدولة ابي المكارم مسلم بن قرش
حتى أضاف اليه ديار ربيعة ومضر وحلب ، وحاصر دمشق ، وطمع
في امتلاك بغداد ، وكان يصرف جزيرة اليهود والنصارى الذين في

(١) قتل عام ٣٦٩ .

جميع بلاده على الطالبين وهي كثيرة ، واستقامت امارتهم الى أواخر القرن الخامس .

ولكن صلاح الدين الايوبي الذي حارب التشيع اينما امتد سلطانه ومن بعده سلالته هم الذين ضربوه في شمال العراق ، وأعقبهم بالضرب المبرح سليم الثاني العثماني ، الذي ذاق الشيعة في ايامه أنواع الأذى والشدائد ، وشاهدوا في وقته ضروب النوائب والمصائب (١) وعلى نهجه سار مراد الرابع .

والى اليوم يعرف الكثير من الموصلين آباراً في الموصل ملئت من قتلى الشيعة ، وقبوراً أخرى من القتلى ، وآخرين أردم عليهم البناء ، وهذه الآبار والقبور تقصد للزيارة والنذر .

فمن هؤلاء وأولئك تضاءل التشيع في شمال العراق ، وبقيت منه بقية أبت لها سياسة آل عثمان ان تأخذ بنصيبها من الحرية في المذهب بل حملتهم على الرضوخ للمذهب الحنفي ، وحالت بينهم وبين المرشدين من رجال الشيعة ، فعادوا عارين من المعارف الدينية ، ولا يعرفون من التشيع غير اسمه .

ولما انقشعت غيوم ذلك الزمن المظلم وجدوا فسحة للاتصال بآباء

(١) نقل في مجلة النهران « ٧٨٦:٣ » عن فريد بك صاحب تاريخ الدولة العثمانية ص ٧٤ ، قال امر السلطان سليم بحصر عدد من الشيعة المنتشرين في الولايات المجاورة لبلاد العجم بطريقة سرية ، ثم أمر بقتلهم جميعاً فقتلوا ، ويقال ان عددهم كان يبلغ الاربعين الفا .

مذهبهم من الشيعة وتطوع لارشادهم ثلة من رجال العلم والايمان ، ولا تسل عما لاقته هذه الفئة المتطوعة من قوة بعض أرباب الحكم في تلك البلاد ، من حثالة الاتراك الذين تركوهم عالة على العراق ، وهمزة قطع بين الشيعة وأهل السنة ، وما خفت وطمأنهم عن اولئك المساكين ولا عدلوا عن خطتهم انهوجاء الا بعد اللتيا راتي ، وبعد ان احتج رجال الشيعة على تلك السياسة البالية المفرقة ، وقد خف عنهم ذلك الكابوس الثقيل ، وانتشقوا شيئاً من نسيم الحرية الطلق ، واطهر شطر من الشيعة في الموصل تشيعهم وكانوا يستترين وراء حجاب التقية ، وبقي حتى اليوم الشطر الأوفر منهم رازحاً تحت تلك القيود الثقيلة لا يجهرن بالتشيع دؤوباً على تلك السيرة القديمة التي ملأت قلوبهم رعباً وفيهم اليوم رجال لهم الشأن والشرف مع تلك المكانة ما زالوا سائرين على تلك الخطة ، ولعل تسنن شطر من الأعرجية في الموصل كان من جراء ذلك الضغط السابق الذي جعل ناشتهم تجهل معارف المذهب الجعفري وتنشأ على مذهب اهل السنن ، وعسى ان يكون تظاهر السادة آل حيدر بالنسالة بالسنية مراعاة للمحيط حتى تغلب عليهم فاستولى على عقائدهم ، ولا أحسب انهم من أهل السنة قبل انتقالهم من ايران الى شمال العراق ، لانهم يمتون بالصنوية وانت تعرف حال الصنوية .

ولا نريد ان نزيد على هذا القدر من تاريخ التشيع في شمال العراق لئلا يخال اتنا نريد من وراء هذا التاريخ نبش الدفائن ونحن الى الاتفاق هذا اليوم أحوج منا اليه قبل هذا اليوم .

والعراق اليوم يتربص به المستعمرون ليستعلوا تفرق كلمته سيلا
ابط نفوذهم .

البصرة :

تأسست البصرة بعد الاستيلاء على مملكة (كسرى) كما تأسست
الكوفة عام ١٧ هـ وهي التي أسرعت لتلبية الدعوة من عائشة
- والعصاة الناكثة - لحرب أمير المؤمنين عليه السلام ، ولقد من
ابو الحسن بالغفو عنهم بعد ان استولى على الجند .

وبالبصرة يوم حاربت علياً عليه السلام كان فيها كثير من أوليائه ،
وقد وقعت بينهم وبين أجناد عائشة مصادمة انجلت بظفر الاجناد ،
ونالوا من عامل امير المؤمنين عثمان بن حنيف الانصاري الصحابي ولم
يقتلوه حذراً من غضب الانصار .

ولم تكن البصرة ايام الامويين من البلاد التي دان اكثرها بولاء
أهل البيت عليهم السلام ومن ثم لم يصبها من عمالهم ما أصاب
الكوفة من القتل والتشريد والحبس والصلب والهدم والنهب ، الا
ما كان من سرقة بن جندب ، فقد استخلفه زياد ايام معاوية على
البصرة ستة اشهر فاكثر القتل فيها فقال ابن سيرين : قتل سرقة في
غية زياد هذه ثمانية آلاف ، فقال له زياد : أتخاف ان تكون قتلت
برئاً ، قال : لو قتلت اليهم مثلهم ما خشيت ، وقال ابو السوار
العدوي : قتل سرقة من قومي في غداة واحدة سبعة واربعين رجلاً

كلهم قد جمع القرآن (١) .

ولا غرابة من أمر سررة فانه قد خالف النبي صلى الله عليه وآله في حياته (٢) واعتدى على ابي الحسن عليه السلام بعد وفاته (٣) وكان آخر الثلاثة موتاً ، وقد قال لهم النبي (ص) آخركم موتاً في النار (٤) وكان على شرطة ابن زياد في الكوفة ايام جيء الحسين عليه السلام وكان يحرض الناس على الخروج لحرب الحسين (ع) وقتاله وشهد مقتل الحسين عليه السلام (٥) وما مات سررة حتى اخذه الزمهرير فمات شرمية ، كما يحكى عن الطبري .

(١) انظر في ذلك الطبري « ١٣٢:٦ » وابن الاثير « ١٨٣:٣ » .

(٢) وذلك انه كان له علق في حائط انصاري ، وكان الدخول الى الحائط من دار الانصاري وكان يدخل بلا استئذان فشكا ذلك الانصاري الى النبي (ص) ، فساوم النبي سررة بالمال وبعدق في الجنة فابى كل ذلك ، ذامر النبي بقلع عذقه ورميها اليه ، وقال كلمته المشهورة التي هي من جوامع الكلم راصبحت اصلاً من الاصول الفقهية التي بنى عليها كثير من الفروع ، وهي : « لا ضرر ولا ضرار » .

(٣) وذلك ان معاوية بذل له اربعمائة الف على ان يروي ان هذه الآية نزلت في علي عليه السلام وهي قوله تعالى « ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو الد الخصام واذا تولى سعى في الارض ليفسد فيها وبهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد » وان الآية الاخرى نزلت في ابن ملجم لعنه الله وهي قوله تعالى « ومن الناس من يشتري نفسه ابتغاء مرضاة الله والله رؤف بالعباد » فقبل ذلك ، ولا ادري اي الرجلين اعني - معاوية وسررة - اجرا على الله ، وعلى الشريعة والكتاب .

(٤) شرح النهج « ٣٦٣:١ » .

(٥) نفس المصدر .

ودامت البصرة برهة والتشيع فيها قليل ، ولكن كان شائعا في
قباائلها ، وكفى ان يكون فيهم مثل يزيد بن مسعود النهشلي صهر
أمير المؤمنين وشيعته ، الذي لولا حيلولة انقدر لنصر الحسين عليه السلام
وبين يديه ما يربو على عشرة آلاف مقاتل ولم تمض السنون حتى تغلب
حب أهل البيت فيها على المشايعة لبني أمية ، فعادت علوية ، شيعية ،
فهي اليوم ومن قبل اليوم بقرون شيعة كغيرها من البلاد المراقية
الجنوبية ، ويوجد اليوم فيها على غير مذهب اهل البيت نفر وان قلوا في
العدد الا انهم كثيرون بالمال والملك .

جملة القول في شيعة العراق :

لو اردنا بسط القول في بلاد العراق جميعاً لخرجنا عن تاريخ
الشيعة الى تاريخ البلاد المراقية ، فنحن نجعل لك البيان عن الشيعة في
المراق بعد ان بسطنا في بعض بلادها فنقول :

ان جنوب العراق شيعة خالصة ولئن وجد الخليط في بعض
بلادها فلا يكون الا فردا قليلا واما البلاد الشمالية فسكانها على العموم
من أهل السنة الا ان الشيعة فيها ليسوا بالقليل ، ولو آمنوا الغوائل من
اظهارهم لولاء اهل البيت كما يأمن العدد القليل من اهل السنة في الجنوب
معجت من كثرتهم في تلك البلاد لا سيما في لواء الموصل وكركوك .

واما البلاد الوسطى كالحلة فهي شيعة خالصة سوى افراد
معدودين في نفس القصبه ، ولواء بغداد فأكثريته من الشيعة ومثله

لواء ديالى ، بعكس لواء الديلم ففيه من الشيعة عدد قليل . وعليه ،
فالعراق اليوم سبعة من ألويته شيعة وفيها شوب من غيرهم ، وخمسة
سنة وفيها خليط من الشيعة ولواءان مختلطان يغلب التشيع عليهما ،
هذا ما يعرفه المستقرء لبلاد العراق .

ومن ثم لا نحتاج الى استقراء لجميع بلاد الجزرب أمثال الكوت
والعمارة والفراف وما سواها من بلاد دجلة ، والساوة والديوانية
والناصرية وما سواها من بلاد الفرات .

الشيعية في الحجاز

لا ريب في ان ظهور الشيعة كان في الحجاز بلد التشيع له كما يقوله محمد كرد علي في خطط الشام « ٢٥١:٥ » فان النبي صلي الله عليه وآله هو الذي حث على ولاء علي وأهل بيته عليهم السلام ، وهو اول من سمى اوليائهم بالشيعة ، وفي عهده ظهر التشيع وتسمى جماعة بالشيعة ، وقد سبق البيان عن هذا كله في صدر الكتاب ، فكان مبدأ تلك الدعوة وهاتيك التسمية في الحجاز .

وكانت مواقف المرشد الاكبر نبي الرحمة في الارشاد الى التمسك بوصيه ابي الحسن وبأهل البيت جمة لا تحصر ، وكفى منها حديث الثقلين الذي تفوه به في مواطن كثيرة ، والذي روته الصحاح الشهيرة وغيرها ، ويوم الغدير ، يوم اعتلى الرسول الاكرم ذلك المنبر الذي صنعوه له من حدوج الابل ، واصعد معه المرتضى آخذاً بيده ليراه كل من حضر ، وكانوا مائة الف أو يزيدون ، حتى بان للناس يياض ابطيهما .

ان انزال المسلمين في ذلك الكان ودعوتهم للحضور وصنع ذلك

المنبر وصعوده عليه والشمس ضاحية وإطالة الخطبة وإكثاره من البيان عن فضل علي وأهل البيت أمور تستفز المشاعر وتوقظ الغافل لماذا هذا الاهتمام والأسراع إلى تلك الخطبة وذلك البيان ، لأجل أن يعلم الناس أن علياً ناصرهم ومحبتهم ، أن هذا الإعلام لا يستدعي ذلك الاهتمام ، على أنه مفهوم للناس حباً ووجداناً ، وما هو معلوم للملا بذلك الجلاء بين كيف يعيره الرسول (ص) ذلك الاهتمام العظيم .

فلو لم يكن لنا من كلامه دلالة على مقصوده لكان من ذلك الاهتمام بيان ناطق بأن القصد أعلى من الإفصاح عن هذا الأمر البسيط الوجيز أعني النصرة أو المحبة أو أمثالهما .

أن الله جل شأنه يقول في مجيد كتابه : « النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم » حقاً إنها لمنزلة عظمى أكرم بها الجليل تعالى نبيه الأكرم (ص) وما كانت تلك الكرامة إلا لصالح الناس أنفسهم ، لأن الناس لا تهتدي إلى جلب المصالح ودفع المضار كما يهتدي إليه النبي الأكرم فإنه لا يفعل شيئاً من ذلك إلا عن وحي أو إلهام منه سبحانه ، وأين ما يراه الله لعباده مما يرونه لأنفسهم ، فإذا لم يكن بين الناس من له تلك الكرامة ليدلهم على الهدى ويردعهم قسراً عن الردى لا يصيب الناس الرشd كما يريد الله سبحانه ، ولما أن قام الرسول خطيباً ذلك اليوم قال فيما قاله : أأست أولى بالمؤمنين من أنفسهم (١)

(١) انظر في ذلك مسند أحمد « ٢٨١:٤ و ٣٦٨ و ٣٧٢ » و « ٥٥:١ »
« النسائي ص ٢٢ » ومستدرر الحاكم « ١٠٩:٣ و ١١٠ و ٥٣٣ » وكنز العمال « ٤٨:١ » و « ١٥٣:٦ و ١٥٤ و ٣٩٠ » إلى كثير سواها .

تذكيراً للناس بتلك الآية الكريمة التي فرضت له الأولوية على المؤمنين من أنفسهم فقالوا : اللهم بلى ، فلما أخذ الاقرار من ذلك الجمع كله بهذه الأولوية ، قال : من كنت مولاه فهذا علي مولاه ، وهذا نص صريح بأن تلك الأولوية التي فرضها الجليل له على الناس هي لامير المؤمنين عليه السلام ، وابن هذا من حمل نفظ المولى على المحب والناصر ابداً للكلام عما هو نص فيه ، وابداً له عما يقتضيه الحال من ذلك الاهتمام العظيم ، وكيف يتفق هذا الاهتمام الكبير مع تلك الغاية البسيطة التي يقوم بها أقل كلام وأدنى قيام .

فكان هذا الاعلام عن الأولوية جديراً بذلك الاهتمام ، لا سيما وقد أخبر النبي بدنو اجله وهذا هو وقت التخليف واقامة النائب عنه وهذه الأولوية هي من صالح العباد انفسهم وهي فوق الامامة التي يفهمها الناس وكان هذا كله بسمع ومشهد من اهل الحجاز ، وكان حقيقاً بهم ان يصبحوا بعد هذا اليوم شيعة للمرتضى واولياء له ولكن لم تمض على ذلك اليوم المشهود الا ايام معدودة وأصبح نسياً منسياً ، كأن لم يكن قريب العهد ، ولا شهوده مائة الف ، ولا ذلك البيان يرد صدهاء في الآذان ، ولا تلك البيعة معقودة ، ولا تلك التهنية مسبوقة .

ان ذاك اليوم وما قبله وما بعده من الايام التي أظهر فيها المرشد الاكبر فضل امير المؤمنين ومقامه الالهي وشأن اهل البيت كان في الحجاز ، وبين ظهرا نبي اهل ، وبسمع ومشهد من المهاجرين والانصار وكانت - وما زالت - هاتيك الآيات المباركة التي عرفتهم مقامه

ومقام أهل البيت الرفيع تتلى بكرة وعشية ، فكان جديراً ان يصبحوا كلهم شيعة علي وأهل البيت ، ولكنهم عادوا بعد الرسول (ص) البأ عليه وحرباً له ، سوى فئة قليلة لا يقوى بها على المكافحة ، وما نمت تلك الفئة الا على ممر الايام ، وماقوت تلك الروح الضعيفة الا على تناول السنين ، ومن ثم تجد الناس يتهاوون على طلب البيعة له بالخلافة بعد مقتل عثمان ، فكانوا كما وصفهم هو عليه اسلام بقوله : « فما راغني الا والناس ينثالون علي من كل جانب حتى لقد وطىء الحسان وشق عطفاي مجتمعين علي كرياضة الغنم » .

امتنع من اجابة الناس رغم الحاحهم عليه لعله بما سيتقبله من الفتن ان ولي الامر ، فان التدابير التي اتخذت دونه تقضي بان لا يعود الامر اليه ، أو ان عاد فهو مقرون بالفتن ، فان ترشيح فئة للخلافة اتلعت منهم الاجياد لارتقاء عروشها ، وابو الحسن لا يقتص قبل الجناية . ولا يهب الالوف ارضاءً للمطامع ، ومثل هذه الخشونة في ذات الله تعالى لا تقمع الفتن ولا تستصلح الناس ، الناس الذين هم دائماً بين الرجاء والخوف .

فكان طرده للناس يزيد في اللجاجة عليه ، فما وجد بدأ من الاجابة احتفاظاً بتلك الصبابة من الدين ، والزمرة الموالية من الناس ، وكان يشل حال الناس ذلك اليوم من طلبهم لمبايعته وامتناعه عنهم قوله عليه السلام من كتاب الى طلحة والزبير : اني لم أرد الناس حتى ارادوني ولم أبايعهم حتى بايعوني ، ، والشواهد على ذلك كثيرة .

ولما نهض بالامر لاقى ما كان يحتسب ، فأول ما جابهه نكوث

طلحة والزبير وخروجهم بعائشة الى البصرة فارتحل بأنصاره وشيعته
لدرء هذا الخطر قبل ان يستفحل ، فان رجال السياسة والحكم تهتم
بالملاحقات الداخلية أكثر من الخارجية ، ولما استوطن الكوفة بعد قمع
الفتنة أبقى معه أولئك الشيعة الذين خرج بهم فلم يسق في الحجاز من
أوليائه الا عدد قليل ، وعندما صار الامر الى معاوية لم يرجع الى الحجاز
أولئك الشيعة اللهم سوى ثرذمة معدودة ، وبقيت الشيعة الحجازية
في الكوفة ، وصارت الكوفة عاصمة التشيع كما صارت عاصمة ملك
ابي الحسن عليه السلام .

ولما تضاءلت الشيعة في الحجاز ثم تقو فيه روح التشيع ثانية كما
نمت في سواه من الاقطار ، رغم العوامل القوية التي تقضي باتئساره
فيه ، وتلك العوامل هي ان الحجاز التربة الاولى التي غرس فيها شجر
التشيع ، والتي قبلت هذا الغرس ، والتي نما فيه وأينع وأثمر ، والبلاد
التي حلت ابا الحسن على قبول البيعة ، والبلاد التي كانت مهبط الوحي
في فضل أهل البيت منبر الرسول في تبليغ الناس فضائل وصيه وآله ،
والبلاد التي هي موطن الأئمة من اولاد امير المؤمنين عليه السلام الى علي
الهادي عليه السلام ، واليهم واليها كانت تشد الرجال من الشيعة في اقطار
الارض . وشيعته اليوم في القبائل اكثر منه في المدن ، فمن القبائل
الشيعة بنو جهم وبنو علي (١) وبعض بني عوف ، واما في البلاد
فيوجد في المدينة المنورة خلق كثير كالتخاولة وفي رساتيقها كالعوالي

(١) ان سلسلة النسب التي بأيدي قومنا آل مظفر تشهد بان مهبطهم الى
العراق من الحجاز رانهم من بني عقيل وهم من بني علي هؤلاء .

ويوجد في المدينة نفر قليل غير هؤلاء . كما يوجد في مكة المكرمة عدد قليل .

وكانت حادثة بين الشيعة وحكومة آل عثمان في المدينة مشهورة مشهودة ، وتلك الحادثة هي ان في العوالي - وهم من حرب بني علي - خلقاً كثيراً من الشيعة فأنهتهم الاتراك بالغاء أهل الجرائم وقطاع السبل ، فأرادت بناء معقل وحصون في العوالي فدافعهم أهلها لانهم يعتقدون انها حيلة للقضاء عليهم ، فجهزت الحكومة التركية الى الواقعة بهم جيشاً ضاقي العدة والعدد ، وانتصرت قبائل حرب لبني علي لانهم منهم ، ولما زحف الجيش اليهم استقبلوه ببسالة ورباطة جأش فانهمزم الجيش والتجأ الى المدينة المنورة واحاطت جموع حرب بالمدينة وحاصرتها طيلة شهرين ، ومن هنا تسمى هذه الحادثة (بواقعة الشهرين) وقتل بها من الجند عدد كثير ، ولم يصب أهل العوالي أي ضرر ، فقد قيل انه لم يقتل في العوالي الا كلب وعنز ، وكان ابتداء هذه الحادثة في الثالث من شوال عام ١٣٢٩ ، ونظم هذه الحادثة وما جرى فيها من انتصار الشيعة وانخزال الاتراك بعض الشعراء ، وارتفع بهذا النصر شأن الشيعة المستضعفين القاطنين في نفس المدينة المنورة .

ولما انتهى الحكم في الحجاز الى الملك الحسين بن علي بعد الاتراك انعطف على الشيعة لا سيما شيعة حرب منهم ، فانه ساعده القوي وسيفه الصقيل ، ولكن لم تذهب على هذه الحال برهة قصيرة الا وزحفت الاخوان أجناد ابن السعود على الحرمين الشريفين فقضت

على دولة الشريف ، ولا تسلب عما جسوه من فتك وسفك و سلب ، وأجروه من فظائع وفجائع ، وأز الذي ولد فيهم تلك القوة ، وأوجد فيهم هذه البسالة ، وجعلهم لا يفرون من الزحف ، حتى استولوا على الحجاز وغيره ، هو ان قائدهم الى كوارث هذه الاعمال ملكهم ابن السمود قد أحكم فيهم هو واسلافه وبعض من ينسب نفسه الى العلم من أهل نحلتهم الاعتقاد بكفر أهل القبلة من فرق الاسلام كافة ، وإباحة النفوس والاموال منهم ، واستغلوا منهم هذه العقيدة للسيطرة والمملك ، فقصوا مآربهم بما اودعوه في هذه النفوس الضعيفة المسكينة من باطل الاعتقاد .

وبهذه الوحشية الكاسرة ، وتلك الطباع الفظة الغليظة ، وهاتيك القسوة والجفوة ، وذلك المعتقد المستكر ، ذل جماح أهل الحجاز ، وقاد حربا قود الذلول ، وكانت لا تخضع لسلطة ، ولا تنقاد لدولة ، فلا تسمع للشيعة بل ولا لغيرها بعد تلك الاعمال القاسية حساً ولا حركة ، ولئن دفع البعض من حرب ذل الضيم على الوثبة فما اسرع ما تقضي عليها أولئك الوحوش الكواسر التي لم تشبع نهمهم هاتيك الحروب المبيرة ، ولم ترو ظمأهم تلك الدماء السوائل .

وليتهم اكتفوا بوحشي الاعمال تلك ، دون ان يتعرضوا لقباب أئمة البقيع وأهل البيت بشيء ، فبتلك المعاول هدموا بها صروح الايمان ، نقضوا قباب آل محمد (ص) وتركوها أثراً

بعد عين (١) .

فاذا كانت هذه حرمة اهل البيت وساداتهم عندهم فكيف يكون شأن شيعتهم وأوليائهم ، ولا نرثي لحال الشيعة والمسلمين في الحجاز فحسب ، بل لحالهم في البلاد الاخرى التي امتد اليها سلطانهم . كالقطيف وقطر والحساء ، فلقد سلبوا أموال الكثير منهم وتسلطوا على أنفسهم ونفائسهم ، وقهروهم على التظاهر بما هم عليه من الشعائر وان لا يفارقوهم في جمعة أو جماعة ، ولم يدعوا لهم حرية في مذهب ، ولا سحرا لهم في زيارة المراقدة المقدسة للنبي وأئمة أهل البيت عليهم السلام الى غير ذلك ، نعم في الآونة الاخيرة خفت شدتهم ، وقل ضغطهم .

ولقد قهروا الحجاج ايضا على الرضوخ لشعائرتهم والصلاة خلف امامهم وذبوهم عن تقبيل مقام ابراهيم عليه السلام ولمس أي مرقد ومحل مقدس سوى الحجر الاسعد ، ودفعوا بالضرب والقهر زائري قبر الرسول وقبور عترته عن القرب منها والتقبيل لها .

نعم في السنة الماضية وهي سنة احدى وخمسين بعد الالف والثلاثمائة

(١) كان دخول ابن السعود الى مكة المكرمة اول عام ١٣٤٤ ، وفي الثامن من شوال هذا العام هدم القباب الشريفة وجعل الضرائع ارضا بسيطة ، وجعلت الشيعة هذا اليوم يوم حزن مشهود ، والى اليوم تقام فيه الذكرى لهذه المأساة ، وكنت ممن استوحى قريحته في هذا الحادث المؤلم فقلت قصيدة في السنة الثانية من هدم القبور مطلعها :

لمن ابقيت وكاف الدموع أما تبكيك فاجعة البقيع

قيل : كانت وطائهم على الحجاج أخف ، وشرهم أضعف (١) وعسى ان تقضي سياسة ابن السمود في مجارة المسلمين والشيعة باعادة البناء لقبور أئمة البقيع ، وفسح المجال لهم للزيارة واعطائهم الحرية المذهبية فان ذلك ارقى لبلاده وأعز لسلطانه وأعود بالنفع عليه وعلى بلاده ، وسبب لتكاثر الحجاج ووفرة الاموال لديه ولدى اهل مملكته ، والله الهادي لسواء السبيل .

وما هذه بأول مرة يغزو فيها آل السمود الحرمين الشريفين ويستولون فيها على الحجاز ، فقد غزوه من قبل واستولوا عليه ، وذلك في بدء ظهور الوهابية في نجد واستفحال امرها ، حتى أخرجوا الشرفاء منه ، ولكن الدولة العثمانية استثارت عزائم محمد علي باشا والي مصر يومئذ ، ورأس الخديويين ملوك مصر اليوم ، فجهاز جيشاً كثيفاً بقيادة ولده طوسون باشا ، فسيره الى الحجاز لاختضاع الوهابيين واسترجاع الحرمين منهم ، وكان ذلك عام ١٢٢٦ ، وامير الوهابيين اذ ذاك سعود الثاني فانهزم طوسون ولم يثبت أمام الجيش الوهابي ، فاضطر

(١) ولكني لما توقفت للحج عام ١٣٦٥ شاهدت الشر اقطع مما اسمع ، فالحاج الشيعي اذا وضع قدمه في الحجاز لا يصبح أميناً على دينه ودمه ، فانه لا يقدر ان يؤدي فرضاً او نفلاً يخالف آراءهم ، وما بينه وبين اهراق دمه الا شهادة رجل جاهل او معاند بأنه شيعي يريد مخالفة الشريعة ، وما بيننا وبين قتل ذلك الشيعي الابرائي الا سنتان ، وقد قتلوه بغيا وظالما ، وكم قتل مثله ممن لا تعلمه ، وقد سجلت مشاهداتي وملوساتي في الحج وما زالت محفوظة ، وقد سمعت من المصريين عن الشيعة قذفاً وسباً لا يقل فظاعة عن عمل الاخوان وقولهم ، ولكن الى من المشتكى من هذا العدوان ولن نوجه بالهتاف والصرخة .

محمد علي الى ان يخرج بنفسه الى الحجاز ، ومن الصدف الجميلة ان مات سعود الثاني أقوى امراء هذه الطائفة وقام من بعده عبدالله وكان ضعيفا فهزمهم محمد علي باشا وتوالت هزائمهم ولما ظفر بهم عاد الى مصر ، ففقد من بعده ولده طوسون صلحاً مع الوهابيين ومات بالاسكندرية ، فعاد الوهابيون الى الخروج عن الطاعة ، فسير لهم محمد علي باشا ولده ابراهيم باشا عام ١٢٣١ ، فحاصر الدرعية حاضرة بلادهم نجد واخذها عنوة واحرقها وخربها بعد ان جاء اليه اميرها عبد الله صاغراً خاضعاً عام ١٢٣٣ ، وبذلك استوصلت شوكة هذه الطائفة وقضي على انتشار مذهبهم يومئذ (١) .

نعم بقيت شوكة الوهابيين في نجد خاصة ، ولما تغلب آل الرشيد على آل السعود في نجد وعادت الامرة اليهم كانوا أحسن سيرة من سلفهم ولكن رجعت الشوكة الى السعوديين قبيل الحرب العظمى بعد ان استولى عبد العزيز السعود على الرياض وبث الدعوة الى الوهابية باسم الاخوان في نجد وبتلك الدعوة ونشر الاموال جذب اليه أعراب نجد واستولى على نجد والحجاز والحسا والقطيف وقطر ، فكان منهم من فظائع الاعمال ما لا يجهله الناس وما يحفظه التاريخ .

(١) عن صفوة تاريخ مصر والدول العربية « ٩٧:٢ - ١٠٠ » .

الشيعة في اليمن

اليمن عرب قحطانية وهي أم المروبة واليها تنتسب ، أسلمت سلماً على يدي أمير المؤمنين عليه السلام ، روى الطبري (١) عن البراء بن عازب قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وآله خالد بن الوليد الى أهل اليمن يدعوهم الى الاسلام فكنت فيمن سار معه فأقام عليه ستة أشهر لا يجيبونه الى شيء ، فبعث النبي (ص) علي بن ابي طالب وأمره أن يقفل خالداً ومن معه ، فإن أراد أحد ممن كان مع خالد بن الوليد أن يعقب معه تركه ، قال البراء : فكنت فيمن عقب معه ، فلما اتهمنا الى أوائل اليمن بلغ القوم الخبر فجمعوا له ، فصلى بنا علي لفجر فلما فرغ صفنا صفاً واحداً ثم تقدم بين ايدينا فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قرأ عليهم كتاب رسول الله صلى الله عليه وآله فأسلمت همدان كلها في يوم واحد ، وكتب بذلك الى رسول الله (ص) فلما قرأ كتابه خراً ساجداً ثم جلس فقال : السلام على همدان السلام على

(١) « ١٥٩:٣ » في حوادث عام ١٠ من الهجرة وكان ارساله علياً في سرية الى اليمن في شهر رمضان وذكر ذلك أيضاً ابن الاثير في الكامل « ١١٥:٢ » في حوادث السنة العاشرة .

همدان ، ثم تتابع أهل اليمن على الاسلام .

وقال الشيخ عبد الواسع بن يحيى الواسعي في تاريخ اليمن (١) :
ان أول من أسلم من أهل اليمن على يد علي بن ابي طالب عليه السلام
حين وصل الى اليمن أم سعيد البرزخية ونزل بمنزلها ، وتعلمت القرآن
وصلى في منزلها وبنته مسجداً وسمته مسجد علي ، وهو معروف مشهور
الي اليوم ، انتهى .

فكان توفيقهم للتمسك بعري الاسلام على يد امير المؤمنين عليه
الاسلام أحد العوامل لولائهم له وصيورتهم علوية مذهباً ونزعة ، ولا
تس همدان ومواقفها بين يدي امير المؤمنين يوم صفين .

والذي أيد رأي أهل اليمن في علي وحثهم على ولائه واتباعه
هو صاحب الرسالة عليه وآله السلام يوم سمع منه الوفد اليماني ما لعلي
من الفضل والمنزلة عند الله ورسوله (ص) وذلك ما ذكره ابو عبد الله
محمد بن ابراهيم الكاتب النعماني في كتاب الغيبة ص ١٥ (٢) عن
عبدالله بن معمر الطبراني قال - وكان هذا من موالي يزيد بن معاوية -
بسنده عن جابر الانصاري ، قال : وفد على رسول الله (ص) أهل
اليمن بيسي (٣) فلما دخلوا عليه قال (ص) : قوم رقيقة قلوبهم
راسخ ايمانهم ، منهم المنصور يخرج في سبعين ألفاً ينصر خلفي وخلف

(١) وتاريخه موجز جدا وقد انتهى من تأليفه في ٢٤ ربيع الاخر عام ١٣٤٦ .

(٢) رايته مخطوطا في بلد الكاظمية عند بعض افاضلها .

(٣) لعل المراد به - الخليط - أي جاء من كل قبيلة جماعة .

وصيي ، حمائل سيوفهم المسد (١) فقالوا : يا رسول الله ومن وصيك فقال (ص) : هو الذي أمركم الله بالاعتصام به فقال عز وجل : « واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا » (٢) فقالوا : يا رسول الله بين لنا ما هذا الحبل ، فقال (ص) : هو قول الله « الا بحبل من الله وحبل من الناس » (٣) فالحبل من الله كتابه والحبل من الناس وصيي ، فقالوا يا رسول الله : ومن وصيك ، فقال (ص) : هو الذي قال الله فيه : « ان تقول نفس يا حسرتي على ما فرطت في جنب الله » (٤) فقالوا يا رسول الله : وما جنب الله هذا ، قال فقال (ص) : هو الذي يقول الله فيه : (ويوم يعض الظالم على يديه يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا) (٥) وهو وصيي والسبيل الي من بعدي ، فقالوا يا رسول الله بالذي بعثك بالحق ارفاه فقد اشتقنا اليه . فقال (ص) : هو الذي جعله الله آية للمؤمنين المتوسمين ، فان نظرتم اليه نظر من كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد عرفتم انه وصيي كما عرفتم اني نبيكم فتخللوا الصفوف وتصفحوا الوجوه فمن أهوت اليه قلوبكم فانه هو ، لان الله عز وجل يقول في كتابه : « فاجعل أفئدة من الناس تهوي اليهم » (٦) اليه والى ذريته عليهم السلام ، قال : فقام ابو عامر الاشعري في الاشعرين ، وابو غرة الخولاني في الخولانيين . وطسان

(١) الحبل من الليف .

(٢) آل عمران ١٠٣ .

(٣) آل عمران : ١١٢ .

(٤) الزمر : ٥٦ .

(٥) الفرقان : ٢٧ .

(٦) ابراهيم عليه السلام : ٣٧ .

وعشان بن قيس في بني قيس . وغرية الدوسي في الدوسيين . ولاحت
ابن علفة « علاقة » فتخللوا الصفوف وتصفحوا الوجوه واخذوا بيد
الانزع البطين وقالوا : الى هذا أهوت أنشدتنا يا رسول الله . فقال
النبي (ص) أتم بحمد الله عرفتم وصي رسول الله (ص) قبل ان
تعرفوه . فيم عرفتم انه هو ، فرفعوا أصواتهم يركسون ويقولون :
يا رسول الله نظرنا الى القوم فلم نحن لهم قلوبنا ، ولما رأيناه ثم اطأأت
نفوسنا وانجاشت (١) أكبادنا ، وهملت أعيننا ، واتلجت صدورنا ، حتى
كانه لنا أب ونحن له بنون ، فقال النبي صلى الله عليه وآله : « وما
يعلم تأويله الا الله والراسخون في العلم » (٢) اتم منهم بالمنزلة التي
سبقت لكم بها الحسنى واتم عن النار مبعدون ، قال : فبقي هؤلاء
القوم المسنون حتى شهدوا مع امير المؤمنين عليه السلام الجمل وصفين ،
وكان النبي (ص) بشرهم بالجنة واخبرهم انهم يستشهدون مع علي
عليه السلام .

وان من يسمع في علي عليه السلام مثل ذلك كيف لا يكون من
أوليائه وأشياعه ، وما أطال الرسول (ص) في تعريفه الا ليزيدهم شوقا
اليه ويملا قلوبهم حبا لله ، وازدادوا حبا له بعد ما كان مفقههم في
الدين ، فانهم طلبوا من الرسول (ص) من يفقههم في الدين ويعلمهم
السنن ويحكم بينهم بكتاب الله ، فبعثه النبي (ص) اليهم وضرب في
صدره وقال : اللهم اهد قلبه ، وثبت لسانه ، قال المرتضى عليه السلام :
فما شككت في قضاء بين اثنين حتى الساعة (٣) .

(١) تحركت .

(٢) آل عمران : ٧ .

(٣) انظر كنز العمال في فضائل علي عليه السلام « ١٥٨ : ٦ » و ٣٩٢ وغيرهما .

فمن قضائه بينهم ما حكاه الصدوق في أماليه في المجلس الخامس والخسين عن الباقر عليه السلام ، قال : انفلت فرس لرجل من أهل اليمن فنفع رجلاً برجله فقتله ، واخذته أولياء المقتول فرفعوه الى علي عليه السلام ، فأقام صاحب الفرس البيعة ان الفرس انفلت من داره فنفع الرجل برجله فأبطل علي عليه السلام دم الرجل ، فجاء أولياء المقتول من اليمن الى النبي (ص) يشكون علياً عليه السلام فيما حكم عليهم ، فقالوا : ان علياً ظلمنا وابطل دم صاحبنا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : ان علياً ليس بظلام ، ولم يخلق علي للظلم ، وان الولاية من بعدي لعلي والحكم حكمه والقول قوله ، لا يرد حكمه وقوله الا كافر ، ولا يرضى بحكمه وقوله وولايته الا مؤمن ، فلما سمع اليمانيون قول رسول الله (ص) في علي عليه السلام قالوا : يا رسول الله رضينا بقول علي وحكمه ، فقال رسول الله (ص) هو توبتكم مما قلتم .

ومن يسمع أمثال ذلك من صاحب الرسالة كيف لا يستولي على شغاف قلبه المحب والولاء لابي الحسن ، وكيف لا يصبح من شيعته وتابعيه .

وهذا ما سمعوه من فم الرسول (ص) في شأن الامام المرتضى عليه السلام وهو نزر مما يبلغهم عنه من الاعلاء من مقامه ، وبيان منزلته لدى الله جل وعز .

ومن ثم امتنعوا بعد الرسول (ص) من البيعة لابي بكر وأبوا

الا البيعة للمرتضى ولكن الحرب أخضعتهم .

واستقام التشيع في شعاب اليمن وجبالها الى ان قام بالامر امير المؤمنين عليه السلام ، فكانت ولايته امنيته المطلبية ، وكان قليل منهم على غير رأيه وقد راسلوا معاوية فرح اليهم بسر بن ارطاة في جند مؤلف من ثلاثة آلاف عام ٤٠ من الهجرة ، ومر بطريقه على المدينة كما أمره بذلك معاوية ، وكان عامل امير المؤمنين عليها ابو أيوب الانصاري فهرب ولحق بأمر المؤمنين عليه السلام فدخلها بسر . ولا تسل عما كان منه من سفك وهتك للحرمت . واهانة لمن بقي من الصحابة . وقتل للكثير من الابرياء . وقد اخاف بذلك أهل المدينة عامة (١) وكرههم على البيعة لمعاوية . وهدم كثيراً من دورهم . الى ما سوى ذلك من فظيع الحوادث .

ثم توجه الى اليمن ولما سمع عبيد الله بن العباس بقدمه هرب من اليمن وكان عامل أمير المؤمنين عليها واستخلف عبد الله بن عبد المدان الحارثي ، فل التار يخ عما صنعه بسر من فجائع الاعمال في اليمن وقتله الالوف من الشيعة رجالا ونساء وأطفالا ورضعا ، حتى قيل لقد قتل بسر في وجهه ثلاثين ألفا وحرق قوما بالنار ، وسبي نساء همدان ، واقامهن في السوق للبيع ، وكانوا يكشفون عن سوقهن فمن كانت أعظم ساقا كانت أغلى ثمنا فكن اول نساء سبين في الاسلام لو لم يسبقهن نساء بني حنيفة بعد وقعة خالد

(١) جاء في كثير من الاحاديث ما فيه تهديد بالعذاب ووعيد بالعقاب لمن اراد السوء بأهل المدينة انظر كنز العمال « ٢٤٩:٦ و ٢٥٠ » وغيرهما .

بهم ، الى غير ذلك من أعمال بسر التي يجزع ذو الفيرة عند استماعها وقرائها دون نشرها وسطرها ويتفتت لها كبدا المسلم الغائر على ابناء جلدته وملته ، ولا أدري هل يصح بعد هذا ومثله أن يقال : ان بسراً وأميره ابن آكلة الاكباد من ابناء الاسلام .

وهل خفي عليك ما ارتكبه ذلك السفاح السفاك - بسر - من طفلي عبید الله بن العباس ، فقد اودعها ابوها في اليمن عند رجل من كنانة في البادية حذراً من سطوة ذلك الفاتك الظلوم ، فلم ينفعهما ذلك الحذر ، فانه لما قتل ابن عبد المدان وابنه اصهار ابن عباس بحث عن الطفلين فظفر بهما فدافع عنهما الكناني بسيفه حتى قتل دون جاره ، ولم يشف غيظ ذلك العاتي الجبار دون ان ذبحهما بيده الاثيمة .

وقال الشيخ عبد الواسع في تاريخه ص ١٣ : قيل ذبحهما بيده والمصحف بين يديهما ودفنا في محلها ، وبازاء قبريهما مسجد يعرف بالشهيدین وهو موجود الآن ، وهذا المصحف مكتوب بالخط الكوفي على الرق ، وهو خط علي بن ابي طالب عليه السلام وهو موجود الى الآن في هذا المسجد وآثار الدم تشاهد على المصحف ، والايات التي رثتها بها امهما مكتوبة على ضربيهما .

والايات التي رثتها بها امهما مشهورة ، فانه لما بلغ امهما خبر طفليها اختطف عقلها عظم هذه الحادثة وصارت ترثيهما في المواسم بقولها :

يا من احسن بنبي الذين هما
كالدرتين تشظى عنهما الصدف (١)

يا من احسن بنبي الذين هما
قلبي وسمعي فعقلي اليوم مختطفه

من دلّ والهة حيرى مدلهمة (٢)
على صيين ذلا اذ غدا السلف

نبئت ببرا وما صدقت ما زعموا
من افكهم ومن الاثم الذي اقترفوا

احنى على ودجي ابني مرهفة
مشحوذة وكذاك الاثم يقتصر

وقالت للبسر امرأة من كنانة لما ذبحهما : يا هذا قتلت الرجال
فعلى م تقتل هذين ، والله ما كانوا يقتلون في الجاهلية والاسلام ،
والله يا ابن اوطاة ان سلطانا لا يقوم الا بقتل الصبي الصغير والشيخ
الكبير ونزع الرحمة ولا عقوق الارحام لسطان سوء .

ولما بلغ ذلك امير المؤمنين عليه السلام جزع جزعا شديدا
ودعا على بسر فقال : اللهم اسلبه دينه وعقله ، فوسوس وذهب عقله ،

(١) تشظى - تطاير شظايا او قطعاً - .

(٢) الذاهبة العقل .

تُصار يهْدِي بالسيف ويطلبه فيؤتى بسيف من خشب ويجعل بين يديه زق منفوخ أو مرفقة فلا يزال يضربه حتى يغمى عليه ، ولم يزل كذلك حتى مات (١) ولعذاب الآخرة أشد وأخرى .

وانك لعلى خبر بما كان عليه معاوية من العداوة لعلي وأهل البيت عليهم السلام ومن يمت اليهم بولاء ، ولما شئت الاقدار ان يتولي على البلاد ويفعل في الناس ما شاء وشاء له الهوى كانت امنيته الوحيدة ان يحو الذكر الجميل لاهل البيت من صفحة الوجود . وعرف انه لا يتسنى له ذلك ولعلي شيعة في البلاد ، يذلون كل غاز ورخيص في حفظ كرامته ونشر فضائله ، فوجه همه وهمة لاستئصالهم من على البسيطة ، كما دلتنا على ذلك اعماله في الكوفة التي كانت عاصمة امير المؤمنين ومغرس شيعته . ولكن عظيم تلك الجهود ، وكثير تلك المساعي ، ذهب ادراج الرياح ، فان التربة التي حظت بولاء علي وبنيه لم تحرم ذلك التوفيق فكانت اليمن وافرة الحظ من التشيع طيلة ايام معاوية وما استطاع ان يقضي عليه بدسائسه ومكائده وحروبه ، كما ينبئنا عن ذلك تاريخ ابن جرير في حوادث عام ٦٠ هـ « ٢١٦:٦ و ٢١٧ » وابن الاثير « ١٦:٤ » فقد ذكر ان الحسين عليه السلام لما كتب اليه أهل العراق يحملونه على المسير اليهم وعزم على اجابتهم وهم بالرحيل وكان بسكة المكرمة ، جاءه ابن عباس مشيراً عليه بالكف عن هذا الوجه

١١ حديث بسر رويها مجمعة مع الابحار عن متفرعات كتب التاريخ كتاريخ ابن جرير : « ٨١ و ٨٠:٦ » في حوادث عام ٤٠ هـ وابن الاثير « ١٦٦:٣ - ١٢١ » وغيرها . وهذا سوى ما رويناه عن تاريخ الشيخ عبد الواسع .

— وهل يخفى على ابي عبد الله الرأي وهو رضيع الوحي والطبن بأمور الدنيا والدين — فمن كلام ابن عباس : فان أبيت الا ان تخرج فسر الى اليمن فان بها حصونا وشعبا ، وهي أرض عريضة طويلة ولايك بها شعبة وانت عن الناس في عزلة .

وهذا التشيع لملي عليه السلام قد خامر قلوب اليمانيين حتى اليوم فان اليمن ما زالت ملجأ لبني علي وبها السلطة لهم في اكثر الازمان ، فلربما كانت السلطة لهم فيه روحية فحسب ، واخرى روحية وزمنية معا ، كما هي اليوم في « حميد الدين يحيى » (١) فانه قد تسمى بالامام وبأمر المؤمنين ، واستقل بالسلطان في ابان الحرب العالمية الكبرى بعد أن أجلى الاتراك عن البلاد ، وانه على ما تنقله السواح وتحمله الانباء حسن السيرة يجلس بنفسه لاستماع الشكايات والتداعي بين المتخاصمين ومع تواضعه قوي الجنان والساعد ، وقد قبض على البلاد بيد من حديد لا يسمح للاجانب في التدخل بشؤون بلاده بكل وجه ، ولم يفتح عليها باب التجدد الذي انتزع من بني الاسلام المتجددين روح الفضيلة والاخلاق والدين ، ويلوح على المشاهد لبلاد اليمن انها بلد دينية ،

(١) يؤسفنا أن يعتدي عليه عبدالله بن احمد الوزير فيقتله ويقتل من اولاده الحسين والمحسن ومن احفاده الحسين بن الحسن وهو طفل في سابع ربيع الاول من عام ١٣٦٧ من دون مبرر ظاهر سوى حُب الامرة والاستيلاء على الحكم ، ويؤسفنا ايضا ان تكون لهذا الحادث يد اجنبية عابثة ، وقد زال جزاء عمله عبد الله هذا فقد اعدمه وبعض وزرائه سيف الاسلام احمد بن يحيى ، صباح الخميس (٢٨) جمادى الاولى من هذا العام بعد ان استرجع البلاد والحكم واستولى على صنعاء .

نظامها العام شريعة الاسلام ، ولعله بفضل مليكها « يحيى حميد الدين »
وعلى نهجه تسير أولاده وهم كثر .

وان أول من دعا الى مذهب الزيدية في اليمن هو يحيى بن
الحسين الرسي العلوي في القرن الثالث للهجرة ، رحل من العراق الى
اليمن وأقام في صعدة ، وبث ذلك المذهب فيها ، وظهر امره حتى
دعي بالامام ، ولكن الذي أسس الامامة في صعدة هو القاسم بن محمد
الذي يتصل نسبه بالرسي المذكور ، وبعد ذلك سرى مذهب التزيد في
اليمن وتسرب الى اعماقها حتى استولى على الكثير منها كما هو اليوم .
وهم يهتفون في الأذان بحي على خير العمل ، وان الملك يحيى يتصل
نسبه بيحيى بن الحسين الرسي المذكور واليمن بلاد واسعة مترامية
الأضراف كثيرة النفوس قد يتجاوز عدد نفوسها الستة ملايين ، ولا يحكم
الملك يحيى غير الشطر الاوفر منها ، فالعسير (١) ولحج والامارات التسع
المحمية وحضرموت وغيرها يختلف، الحكم فيها فبين من يدير شؤونها
أمراء تحت الحماية الانكليزية كعدن او يديرها نفس زعمائها من
دون ان يكونوا تحت سلطة اخرى ، وقد دخلت بعض الامارات من
التسع المحمية تحت سلطة الملك يحيى أخيرا ، وخرجت عن حماية الانكليز
بقوة ذلك الملك الزيدي وسياسته .

وفي اليمن اليوم كثير من الشيعة الامامية ، وأكثر أهلها الزيد

(١) عادت عسير مملكة الادارسة الشوانع الى سلطة يحيى بعدما استولى
عليها ابن السعود وانتزعها منهم ، وبعدما وقعت حرب شعواء بين
يحيى وابن السعود عام ١٣٥٢ وعام ١٣٥٣ وبعد الصلح والهدنة وكان
من شروط الصلح ان تبقى عسير تحت نفوذ الملك يحيى .

خصوصاً البلاد التي تحت سلطة الملك يحيى ومن بعدهم فسنة شافعية والمذهب الرسمي في البلاد التي تحت سلطان الملك يحيى زيدي ولكن الحرية مبدولة منه للمذاهب الأخر ، وأكثر أهل العير شافعية كما أن المذهب لحكومة الأدارة هو المذهب الشافعي (١) .

نسأله تعالى لنا ولهم حسن التوفيق والهداية للحق والتمسك بمرى الدين الحنيف انه ولي التوفيق والهداية ، وانه سميع مجيب .

(١) ظهر كتاب قلب اليمن في هذا العلم للمقدم محمد حسن وهو يبحث عن اليمن من جميع نواحيها ، فمن أراد الوقوف على هذه البلاد العربية الجميلة فليراجع فان ما كتبه عن مشاعده وعيان ولكن لا يخلو من وجوه محل للنقد لا سيما في آرائه الخاصة .

الشيعة في سوريا

فطر ابو ذر الغفاري رضي الله عنه على الصدق (١) والمؤمن الصادق في عمله وقوه لا يجيد عن نظام الشريعة الفراء قيد أنملة ، وأفيد تلك النظم الجبيلة للناس هو الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فكان حتما ان يسير ابو ذر على تلك الخطة المعتدلة ، والنهج النافع ، ومن جراء تلك الغريزة وهاتيك السيرة - التي يجب ان يكون عليهما كل مؤمن ولو كان نفسر الاسلام والعدل المعمورة كلها - نقي الى الشام ومن اجلهما اعيد الى المدينة على أخشن مركب ، فكيف تجد حاله وهو شيخ كبير قد انهكته العباد ، وجشوبة المآكل ، وخشونة الملابس (٢) يحمل من الشام الى المدينة وهي مسافة شاسعة لا تقوم لها

(١) روى في مستدرک الحاكم وکنز العمال « ١٦٩:٦ » من عدة طرق قول النبي صلى الله عليه وآله : ما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء من ذي لهجة اصدق من ابي ذر ، وفي بعضها من اراد ان ينظر الى المسيح عيسى بن مريم الى بره وصدقته وجنّه فلينظر الى ابي ذر .

(٢) كما كان ابو ذر عليه الرحمة صادقا كان زاهدا حتى روى في الكنز « ١٦٩:٦ » قول الرسول (ص) من سره ان ينظر الى زهد عيسى ابن مريم فلينظر الى ابي ذر ، وفي حديث من اراد ان ينظر الى عيسى ابن مريم زهدا وسمتا ، وفي آخر هديا وبراً ونسكا وفي آخر خلقتا وخلقا وفي آخر الى تواضع عيسى ، الى غير ذلك من الاحاديث ، وما ابعد ما بين ما قاله الرسول (ص) فيه وما بين ما فعله الناس معه .

أصلاّب الشباب الصلب ، يحبل على جبل هزيل بلا غطاء ولا وطاء :
 أفهل تستغرب لو ذكر لك التاريخ ان وعورة السير وبعده وهزالة
 المركب قد أكلت لحم فخذه حتى تآثر ، فان طبيعة الحال تقضي بهذا
 الاثر وان لم تنقله الرواة وتسطره الكتب ، فكيف وقد اخبرنا عن
 ذلك كله التاريخ الصحيح ، فهذا ابن ابي الحديد يقول في شرحه
 « ٣٧٦:٢ » علم ان الذي عليه أكثر ارباب السير وعلماء الاخبار
 والنقل ان عثمان نفى ابا ذر أولا الى الشام ثم استقدمه الى المدينة
 لما شكّا منه معاوية ثم نفاه من المدينة الى الربرة ، ونقل عن
 ابي عثمان ان عثمان كتب الى معاوية ان احمل الي جندباً على أغلظ
 مركب وأوعره فوجه به مع من سار به الليل والنهار وحمله على
 شارف ليس عليه الا قتب حتى قدم به المدينة وقد سقط لحم فخذه
 من الجهد وهذا المسعودي يقول : « ٣٠٤:١ » وقد تسلخت بواطن
 أفخذه وكاد ان يتلف ، الى غير ذلك من حملة التاريخ .

ولما استقدموه الى المدينة واستمر على خطته لم يثنه عنها ذلك
 الجهد والبلاء نفوه الى الربرة وبها مات جوعاً ، فحضره جماعة من
 المؤمنين فيهم ابن مسعود ومالك الاشر فجهزوه ودفنوه (١) .

(١) روى في كنز العمال « ١٧:٦ » قول النبي (ص) يرحم الله ابا ذر
 يمشي وحده ويموت وحده ويبعث وحده ، وروى الحاكم في المستدرک
 في كتاب المغازي « ٥:٣ » حديثاً يتعلق بغزة تبوك ومنه قول
 النبي (ص) رحم الله ابا ذر يمشي وحده ويموت وحده ، قال ابن
 مسعود فضرب الدهر ضربة فسير ابو ذر الى الربرة ، ثم ذكر موته
 وايصاءه بان يجعل على قارعة الطريق ، الى ان قال : فاذا ابن مسعود
 في رمط من اهل الكوفة ، ثم قال : واستهل ابن مسعود يبكي فقال :
 صدق رسول الله صلى الله عليه وآله وذكر قوله السابق ثم نزل
 فولى بنفسه حتى اجته .

وقد ذكر المؤرخون فيه الى الربذة وموته بها (١) حتى ذكر المسعودي « ٣٠٥:١ » ان ابا ذر لما قرروا سيره الى الربذة قال : الله اكبر صدق رسول الله (ص) قد أخبرني بكل ما انا لاق .

وكان لا يحول لديه دوز الامر بالمعروف والنهي عن المنكر نفي أو نبيد ، وسطوة أو قوة ، واهانة أو قسوة ، حتى قال له معاوية في كلام جرى بينهما : يا عدو الله وعدو رسوله لو كنت قاتل رجل من اصحاب محمد (ص) من غير اذن امير المؤمنين عثمان لقتلتك ، ولكنني أستاذن فيك ، فقال، ابو ذر : ما انا بعدو لله ولا لرسوله بل انت وابوك عدوان لله ولرسوله (ص) أظهرتما الاسلام وأبطنتما الكفر ولقد لعنك رسول الله (ص) ودعا عليك مرات ان لا تشيع . انظر شرح النهج « ٣٧٦:٢ » .

فلم يدفعه ذلك كله عن الجهر بما انطوت عليه جوانحه من الحب والولاء لعلي وأهل البيت عليهم السلام ودعا لهما ما استطاع الى ذلك سبيلا ، مع شدة المحنة وكثرة البلاء ، فنجحت دعوته ولباه الناس كثيرون في دمشق وضواحيها (١) ، وهي الى اليوم على التشيع بفضل ارشاده ، وان نجاح دعوته كان الحجة البالغة على معاوية وبني أمية

(١) ممن ذكر من المؤرخين نفي ابي ذر الى الربذة ابن ابي الحديد والشهرستاني في الملل والنحل ، وعلي بن برهان الدين الحلبي في السيرة الحلبية ، وابن حجر في الصواعق وابن عبد البر في الاستيعاب وابن الاثير في اسد الغابة ، وغيرهم .

(٢) ذكر محمد كرد علي في خطط الشام « ٢٥١:٥ - ٢٥٦ » نبوغ التشيع في سوريا والقرن الاول ، وقد نقلنا كلامه ص (٩) .

فانهم مع جهادهم في محاربة مذهب أهل البيت في القول والعمل قد نشأ بين مخالبيهم وأطفالهم قوم يبرأون منهم ويوالون محمداً وآل محمد عليه وعليهم الصلاة والسلام غير انهم كانوا يسترون بالتقية خشية من ظلم آل أمية .

وهكذا دام التشيع بعد ما تولد في سوريا تحت طي الخفاء وخلف حجب التقية زمنا غير قصير ، شأنه في البلاد الاخرى التي يكون فيها السلطان لغيرهم ويخشون ضغطه وقسوته ، وكان يسير ببطء ، ولولا تلك السياسة الرشيدة التي اتهجها الشيعة بارشاد أئمتهم عليهم السلام لما وجدت اليوم من ابناء التشيع نافخ ضربه ، لان السلطات ما تزال من غيره وهي تعاديه قولا وفعلًا فكانت التقية خيرا جنة لهم (١) .

واما اليوم فالشيعة في سوريا والشام مجاهرة بالتشيع ، ولهم شأن في البلاد رفيع ، ولو رأيت اليوم قباب القبور العلوية المشيدة في الشام عاصمة امية مع اندراس قبور بني أمية لعرفت كيف يعلو الحق وان اجتهد اعداؤه طول الزمن في طمسه .

واذا دخلت المسجد الاموي الرفيع بناية والمشيد عمارة وتوسطته واقفاً تحت قبة ، فارفع رأسك لتتظر ماذا كتب باطن القبة فستجد اسم علي والحسين ، فاين اذن أسماء معاوية ويزيد وملوك بني مروان

(١) كتبت فصلا اضافيا في كتاب الصادق عليه السلام عن التقية اثبت فيه سحة تلك الخطة بل ووجوبها ونجاح تلك السيرة .

الذين رفعوا بناء ذلك المسجد وملكوا برهة من الدهر تلك البقعة ،
وما ملكها أهل البيت يوماً ما ، ولا كان لها في عهد أولئك ذكر جميل ،
وستجد في نفس المسجد من الجانب الشرقي مسجداً خاصاً لرأس
الحسين عليه السلام ، وعلى المكان الذي صلب فيه الرأس ستار أسود
مسدول شعاراً للحزن .

وفي الشام اليوم قوم بن الشيعة قد اشتركوا في ادارة البلاد
وشغلوا مناصب مهمة في حكومة سوريا في هذا العهد ، وما أكثر
الاطباء فيهم ، ولهم يد طولى في التجارة ومعامل النسيج وغيرها ،
وتقام مآتم العزاء على الحسين علناً في الشام ويحضرها كثير من
أهل السنة ، والخطيب يفصح بمخازي معاوبة ويزيد وبني امية مستتباً
ذلك من التاريخ الصحيح (١) .

فأين بنو امية من هذا اليوم الذي تفصح به الخطباء في عاصمتهم
عن فضائحهم وقول الحق فيهم ، وما ذاك الا للعدوان الذي جرى
منهم على امير المؤمنين واولاده واعلانهم في شتمهم على المنابر والمنائر
ظلماً وعدواناً .

حسب :

ارتفع منار التشيع في سوريا وخفق لواءه حين نبغت الدولة

(١) حضرت بعض هذه المآتم ايام عاشوراء بدء عام ١٣٦٦ بعدما عدت من
فريضة الحج ، وقد قرا في اليوم العاشر الحجة السيد محسن الاميني
مقتل الحسين من تأليفه ، قراه بنفسه وعلى طوله ، وفي المجلس دائماً
جماعة من سنة أهل الشام .

الحمداية في حلب والشام والجزيرة ، والدولة الفاطمية بمصر ، وكانت تلك العصور المتقاربة جل ملوكها وامرائها من الشيعة كال بويه بفارس والعراق ، وبني مزيد في الحلة والنيل ، وبني شاهين في البطائح ، وناصر الدولة آل حمدان في الموصل وما والاها ، واما الوزراء كابن العميد والصاحب بن عباد فما أكثرهم ، كما انه في تلك الآونة نبغ من علماء الشيعة في كل فن ما يعجز القلم عن عددهم ، كالشيخ المفيد ، والشريفين ، والطوسي ، وابن الجنيد في بغداد ، وابن خالويه وبني زهرة بعده في حلب ، الى غيرهم ، واما الشعراء فحدث عن كثرتهم ولا حرج ، وان اردت ان تعرف شيئا عنهم فعليك بيتيمة الدهر للشعالي ، وقد عقد فصلين احدهما في شعراء سيف الدولة والاخر في شعراء الصاحب وسوف تجد الكثير منهم ضمن هؤلاء .

ظهرت دولة سيف الدولة علي بن عبدالله بن حمدان في حلب والشام والجزيرة (١) فتوافدت عليه ملة العلم وتوانب الشعراء فرقد الوافدين ، وأسعف المادحين ، بما تبلغه امانيتهم ، وتتمناه نفوسهم ، فصارت انديته الخاصة اشبه بحلقات الدرس في فنون العلم والادب ، فكأنما هو عالم اديب سجيته طرح المسائل على الحضور في اللغة والشعر وغيرها ، وكأنه لم يكن ملكا كمواه يستخفه الطرب واللهو ، ويطر به العود والزمار ، ويفتتم الفرص لمغازلة الغادة المعطار ، وقضى أكثر ايام سلطانه في حرب الروم له وعليه ، فكانت الغزوات التي بينه وبينهم تناهز الاربعين غزوة ، وكان يجمع الغبار الذي يقع عليه في غزواته للروم

١١ استولى على حلب عام ٣٣٣ ، وكانت تحت سلطة الاخشيد ، وكانت ولادته عام ٢٠٣ ووفاته عام ٣٥٦ ودفن في ميفارقين في تربة اعدت له .

حتى اجتمع منه لبنة ، فاوصى ان يجعل خده عليها في قبره ، فنفذت وصيته ، كما يذكره ابن الاثير وابن خلكان .

وقد أسر الروم في تلك الغزوات ابن عمه ابا فراس الحارث بن سعيد بن حمدان (٢) مرتين كانت الاولى عام ٣٤٨ ، والثانية ٣٥١ وأرسلوه الى القسطنطينية ، واقام في الاسر اربع سنين ، وله في الاسر شعر كثير موجود في ديوانه كان يرسله الى سيف الدولة والى ابني اخته ابي المعالي وابي المكارم ابني سيف الدولة ، ولابي فراس شعر في أهل البيت ، ولو لم تكن له الاميية بالسما بالشافية التي مطلها :

الحق مهتضم والدين مخترم

وفيه آل رسول الله مقتسم

في بضرة اهل البيت لكفى ، فانها كانت تعادل في يومها مائة

(٢) يقال : ان مولده عام ٣٢٠ وقد قتل عام ٣٥٧ في حرب جرت بينه وبين ابي المعالي ابن سيف الدولة بعد وفاة سيف الدولة فاستظهر عليه ابو المعالي وله ابيات مثبتة في ديوانه ينمي بها نفسه مخاطبا زوجة ابنه وقيل ابنته ، اولهن :

ابنيتي لا تجزعي كل الانام الى ذهاب

وكان ابو فراس خال ابي المعالي ، ولما بلغ الخبر اخته سخيئة ام ابي المعالي لطمت وجهها فقنعت عينها ، وقتل ابوه ابو العلاء سعيد بن حمدان في رجب عام ٣٢٣ قتله ناصر الدولة ابن اخيه عبدالله بن حمدان .

ألف سيف في نجدة آل الرسول (ص) ونصرة الحق والدين
يقول ابن خالويه جامع ديوانه (١) والشارح شرحاً موجزاً لبعض
الوقائع والحوادث التي فيه في سبب انشائه لهذه القصيدة : ان ابن
سكرة الهاشمي العباسي عمل قصيدة يفاخر فيها ولد ابي طالب عليه السلام
ويتحامل فيها عليهم اولها .

بني علي دعوا عضيتكم (٢)

لا يرفع الدهر وضع من وضعه

فلم يجبه ابو فراس رحمه الله تعالى تنزها عن مناقضته وسفاهته
في شعره ، فقال في اهل البيت هذه القصيدة وسماها الشافية .

ففي ايام سيف الدولة ارتفع شأن التشيع في سوريا ، واتشقى اهله
الهواء الطلق بعد ان حبسه عنهم ارباب السلطات المتعاقبة ، وبعد ان طال
عليهم الانقباع بين جدران التقية ، فكانت بقاع سوريا ايام الحمدانيين
مكتظة بالشيعية ، كحلب ونواحيها ، وبعلبك وقرها ، وجبال عاملة
وسواحلها بل كانت منهم فئة في محيط دمشق وبين بيوتها ، كما ان هذه

(١) جمع العلامة ابن خالويه شعر ابي فراس وشرحه شرحاً موجزاً وديوانه
المطبوع قبل ان ينقص عن المخطوط بكثير من الشعر وليس فيه ذلك
الشرح كما ان المخطوط مرتب على حروف الهجاء والمطبوع غير مرتب
ومن الزبادات قصيدة في رثاء الحسين مطلعها :

يوم بسفح الدبر لا انساه اولى له دهري الذي اولاه
وعندي نسخة من هذا الديوان بخطي استنسختها على نسخة قديمة .

(٢) العضية : الكذب والنميمة والافك والبهتان .

البلاد الى اليوم راسخة القدم في التشيع كما كانت من قبل سوى حلب نفسها .

وقد اختلف على حلب خاصة من العلماء الجم الفقير ايام الحمدانيين ومنهم الشريف ابو ابراهيم جد بني زهرة ، فكان بنو زهرة بعد هذا بحلب ، وقد نبغ منهم عدة علماء (١) تعاقبوا الواحد تلو الآخر ، وكانت لهم السلطة الروحية في حلب واضرافها والمرجعية في القيسية ، واشتهروا بالعلم والتشيع حتى قال صاحب القاموس في « ز ه ر » :
وبنو زهرة شيعة بحلب ، وقد خرجت حلب كثيراً من العلماء غير بني زهرة (٢) .

-
- (١) منهم عبد الله بن زهرة ، وابو المكرم حمزة بن علي بن زهرة ، واحمد ابن القاسم بن زهرة ، واحمد بن محمد بن احمد بن ابراهيم بن زهرة ، واحمد بن محمد بن الحسين بن زهرة ، والحسن بن محمد بن ابراهيم بن محمد بن الحسن بن زهرة ، والحسين بن علي بن ابراهيم بن محمد بن ابراهيم بن محمد بن الحسن بن زهرة ، وعلي بن محمد بن زهرة ، ومحمد بن ابراهيم بن محمد بن زهرة ، وابو حامد محمد بن زهرة ومحمد بن ابي القاسم عبد الله بن علي بن زهرة ، الى غير هؤلاء وتجد تراجمهم في أمل الآمل .
- (٢) منهم احمد بن عيسى بن محمد الخشاب الحلبي ، وثابت بن احمد بن عبد الوهاب الحلبي وجعفر بن مليك الحلبي ، والحسن بن الحسين بن الحاجب الحلبي ، والحسين بن حمزة الحلبي ، وعبد الملك بن قدة الحلبي ، وعلي بن الحسن بن ابراهيم الحلبي العريضي ، وكتائب بن فضل الله بن كتائب الحلبي ، ومحمد بن علي بن الحسن الحلبي ، والمظفر بن طاهر بن محمد الحلبي ، ووثاب بن سعد بن علي الحلبي ، الى غير هؤلاء ، وتراجمهم ايضا في أمل الآمل .

بل ننسأ من الحمدانيين أنفسهم علماء كثر (١) وهذا ما يرشدنا الى رواج سوق العلم الديني ذلك العهد ، ولعلنا من ذلك نعرف مبلغ اهتمام سيف الدولة برجال العلم ، وترويجيه لهذه البضاعة الثمينة ، فان تولد هذه الروح في حلب كانت في عهده ونمت بسقيه .

وأما بقاء التشيع في حلب كلها بعد الحمدانيين فأمر يبيّن معروف ، يشهد له ما ذكره ابن الاثير في حوادث عام ٤٦٣ « ٢٣: ١٠ » قال : وفي هذه السنة خطب محمود بن صالح بن مرداس بحاب للقائم بأمر الله وللسلطان ألب ارسلان ، وسبب ذلك انه رأى اقبال دولة السلطان وقوتها واتشار دعوتها فجمع أهل حلب وقال : هذه دولة جديدة ومملكة شديدة ونحن تحت الخوف منهم ، وهم يستحلون دماءكم لاجل مذهبكم (٢) والرأي ان نضم الخطبة قبل ان يأتي وقت لا ينفعنا فيه قول ولا بذل ، فأجاب المشايخ ذلك ، وليس

(١) منهم محمد بن علي الحمداني ، ومحمد بن حمدان بن محمد الحمداني ، ومحمد بن محمد بن علي بن ظفر الحمداني ، ومحمد بن سليمان الحمداني ، ومحمد بن عمار بن محمد الحمداني ، ومحمد بن محمد ابن علي الحمداني ، والمظفر بن علي بن الحسين الحمداني ، وناصر بن ابي طالب علي بن احمد بن حمدان الحمداني ، وهبة الله بن حمدان ابن محمد الحمداني ، الى غير هؤلاء ، وقد ترجم لهم الشيخ محمد الحر العاملي طاب ثراه في امل الآمل .

(٢) يعني بذلك التشيع ولاء آل محمد صلى الله عليه وآله ، ولا ادري لماذا كان اتباع أهل البيت في القول والعمل سبيلا لاستحلال الدم وحجة على اباخته ، فانا لله وانا اليه راجعون .

المؤذن السواد ، وخطبوا للمقام بأمر الله وللسلطان . فأخذت العامة حصر الجامع وقالوا : هذه حصر علي بن ابي طالب فليات ابو بكر بحصر يصلي عليها الناس . وقال : وفي عمده السنة سار السلطان أب ارسلان الى حلب وقد وصلها نقيب النقباء ابو القوارس طراد بالرسالة القائية والخلع ، فقال له محمود صاحب حلب : اسألك الخروج الى السلطان واستغفاه لي من الحضور عنده ، فخرج النقباء وأخبر السلطان بانه ليس الخلع القائية وخطب ، فقال : وأي شيء تساوي خطبتهم وهم يؤذنون (حي على خير العمل) (١) .

وما زال التشيع في حلب راسي البناء ، حتى ان السلجوقيين الاتراك حاولوا مرات عديدة التضاء عليه فيها فما استطاعوا ، الا انه تسكن من ضربه صلاح الدين الايوبي وسلالته ، وكان المؤذن يؤذن في

(١) كان ولا يزال الهتاف في الاذان بحي على خير العمل من سنن الشيعة . وقد قامت الأدلة الصريحة الواردة من طرقهم بانه من فصول الاذان . ويدل عليه ايضا ما في كنز العمال « ٢٦٦:٤ » عن الطبراني قال : كان بلال يؤذن بالصبح فيقول : « حي على خير العمل » وما في السيرة الحنبية في باب بدء الاذان ومشروعيته « ١٠٥:٢ » الطبعة الثانية قال : ان ابن عمر والامام زين العابدين كانا يقولان في الاذان « حي على خير العمل » .

نعم ان عمر بن الخطاب نوى عنه كما ذكره القوشجي وهو من متكلمي الاشاعرة في اواخر مبحث الامامة من شرح التجريد . قال : سعد عمر المنبر وقال : ثلاث كن شلى عهد رسول الله صلى الله عليه وآله انا انهي عنون واحرمهن واعاقب عليهن . وهي متعة النساء ومتعة الحج وحي على خير العمل . ولعل اهل السنة تركوه لذلك كما تركوا المتعتين .

جوامعها بحي على خير العمل ، انظر مجلة المقتبس ج ٦ ع ١٠ .

واما ابن كثير الشامي فقد ذكر ان صلاح الدين لما جاء الى حلب ونزل بظاهره اضطرب واليه (١) ورغب أهل حلب في حرب صلاح الدين فعاهده جميعهم في ذلك ، ولكن شرطوا عليه أموراً ، منها ان يفوض أمور عقودهم وأنكحتهم الى الشريف الطاهر ابي المكارم حمزة بن زهرة الحسيني ، الذي كان مقتدى شيعة حلب ، فقبل منهم الوالي جميع تلك الشروط ، الا انه لم يدخل صلاح الدين الى حلب بحرب ، بل دخلها سلفاً (٢) ولم يشنه ذلك عن الفتك بالشيعة الفتنك الذريع .

ولما تصرمت جبال الدولة الايوبية لم يقض التشيع في حلب كما قضى في مصر ، بل بقي رصين الأس كما يخبرنا بذلك ياقوت الحموي في « معجم البلدان » قال في « حلب » : والفقهاء يفتنون على مذهب الامامية ، وقال : وعند باب الجنان مشهد علي بن ابي طالب رضي الله عنه رؤي فيه في النوم ، وداخل باب العراق مسجد غوث فيه حجر عليه كتابة زعموا انه خط علي بن ابي طالب رضي الله عنه ، وفي غربي البلد في سفح بلد الجوشن قبر المحسن بن الحسين يزعمون انه سقط لما جيء بالسبي من العراق ليحصل الى دمشق ، أو طفل كان

(١) كان صاحب حلب يومئذ عماد الدين زنكي بن مورود بن عماد الدين

زنكي بن اقسنقر ، كما ذكره ابو الفداء .

(٢) كان دخول الايوبي الى حلب عام ٥٧٩ هـ .

معه فدفن هناك (١) وبالقرب منه مشهد مليح العمارة ، تعصب الحلييون
وبنوه أحكم بناء وانفقوا عليه أموالا يزعمون أنهم رأوا علياً رضي الله
عنه في المنام في ذلك المكان .

وهذه الآثار التي يذكرها ياقوت هي من دلائل تشيع الحليين
فهي على التشيع إلى عهده ، وكتب ذلك عن حلب عام ٦٣٦ فيكون ذلك
بعد دخول الايوبي لها سلباً بسبع وخمسين سنة ، وإلى ذلك اليوم كان
يها اعلام من بني زهرة .

وهكذا استمر التشيع في حلب رفيع البناء لم تقلعه تلك الهزات
العنيفة ، ولم تردمه تلك العواصف الشديدة ، إلى أن أفتى الشيخ نوح
الحنفي في كفر الشيعة واستباحة دمائهم وأموالهم تابوا أو لم يتوبوا (٢)
فزحفوا على شيعة حلب وأبادوا منهم أربعين ألفاً أو يزيدون ، واتفقت
أموالهم وأخرج الباقي منهم من ديارهم إلى « نبل » و « انفالة »
و « أم العمد » و « الدلبوز » و « الفوعة » وغيرها من القرى ، ولخيراً

(١) وعن نسمة السحر أن الذي بناه سيف الدولة ، وذلك لأنه رأى نورا
على مكانه وهو باحد مناظره في حلب . فما أصبح ركب إلى هناك وأمر
بالحفر فوجدوا حجراً مكتوباً عليه هذا المحسن بن الحسين بن علي
ابن أبي طالب ، فجمع العلويين وسألهم ، فقال بعضهم : أنهم لما مروا
بالسبي في حلب طرحت إحدى نساء الحسين عليه السلام بهذا الولد ،
فعمره سيف الدولة .

(٢) كتب رداً على هذه الفتوى العلامة الحجة السيد عبد الحسين شرف
الدين وهو كتابه « الفصول المهمة » وقد طبع مرتين ولو قرأته لذلك
على علم غمر ، وتبحر وإطلاع واسع ، ولاوضح لك ظلم ذلك الرجل
في فتواه وقتل أولئك المساكين ظلماً وعدواناً .

التشيع في أطراف حلب في هذه القرى والبلدان ، ولم يبق في حلب شيعة أبداً ، ويقال : ان لبني زهرة اليوم ذرية في الفوعة ولكن لا يعرفون ببني زهرة ، ويوجد اليوم في حلب قليل من الشيعة سكنوها بعد تلك الحادثة المؤلمة ، وهذه احدى الوقائع المفضة التي شاهدها الشيعة من أجل ولائهم لاهل البيت وتمسكهم بعري مذهبهم .

وهاجم الامير ملحم بن الامير حيدر بسبب هذه الفتوى جبال عاملة عام ١٠٤٨ فانتهك الحرمات واستباح المحرمات يوم وقعة قرية « انصار » فلا تسلم عما أراق من دماء ، واستلب من اموال ، وانتهك من حريم ، فقد قتل الفا وخسمائة ، واسر الفا واربعمائة ، فلم يرجعوا حتى هلك في الكنيف بيروت (١) .

فيا لله من هذه الجرأة الكبرى على النفوس والاعراض ، ومن تلك الفتياء التي غررت بأولئك على تلك الفظائع والجرائم ، فالله الخصم والحكم .

(١) انظر الفصول المهمة الطبعة الثانية ص ١٤٠ : ومجلة العرفان ج ٢ ص ٢٨٦ من مقال للعلامة البهائية الشيخ احمد رضا عنوانه المناولة أو الشيعة في جبل عامل .

الشيعة في جبل عامل

كان بدء التشيع في جبل عامل بفضل دعوة المجاهد في الله أبي ذر الغفاري رضي الله عنه ثم أخذ يسير وينتشر في الجبل شأنه في كل بلد ركز لواءه فيه ، اذا لم تحجز دونه الحوائل ، وحينما كثر الشيعة وانفسح المجال لهم في طلب العلم أخذوا يجدون في تحصيل علم أهل البيت عليهم السلام حتى بالهجرة الى ايران والعراق ، فتخرج منهم علماء استفاد الشيعة بمؤلفاتهم الى اليوم ، وطبقوا البلاد شهرة وصيتاً ، منهم الشهيد الاول « محمد بن مكي » (١) صاحب اللمعة الدمشقية ، والذكرى ، والدروس ، والبيان ، والقواعد ، وغيرها ،

(١) قتل في ٩ جمادى الاولى عام ٧٨٥ ، قتل بالسيف ثم صاب ثم رجم ثم اُحرق بدمشق في دولة بيدر وسلطنة برقوق بفتوى القاضي برهان الدين المالكي وعباد بن جماعة الشافعي بعدما حبس سنة كاملة في قلعة الشام وفي الحبس الف اللمعة الدمشقية في سبعة ايام ولم يكن يحضره من كتب الفقه غير المختصر النافع للمحقق الحلبي طاب ثراه.

ومنها الشهيد الثاني « زين الدين بن علي الجبعي » (١) صاحب الروضة البهية في شرح اللمعة الدمشقية ، وصاحب المسالك ، وشرح القواعد ، وآداب المفيد ، وغيرها ، ومنها الشيخ حسن بن الشهيد الثاني زين الدين (٢) صاحب الماء المثل في الفقه واصوله ، ومعالم الاصول حتى اليوم يقرأها تدريساً طلاب العلم الجعفري ، ومنها المحقق الثاني الشيخ علي الكركي (٣) صاحب شرح القواعد وشرح الشرائع وغيرها ، وكان ذا مقام رفيع ، وشأن خطير عند الملوك الصفوية في ايران ، ومنها الشيخ محمد النحر صاحب وسائل الشيعة الذي جمع فيه حديث أهل البيت في أبواب الفقه كافة جمعها من الكتب المعتبرة عند الشيعة ، كالكتب الاربعة مؤلفها المحاميد الثلاث ، محمد بن يعقوب الكليني ، ومحمد بن علي الصدوق ، ومحمد بن الحسن الطوسي ، ومن كتب أخرى كثيرة جليلة ، ومنها الشيخ بهاء الدين محمد بن الحسين

(١) ولد في ١٣ سنو ٩١١ رقت عام ٩٦٦ ، وسبب قتله انه مرافق اليه رحلان فحكم لاحدهما على الآخر فغضب المحكوم عليه وسعى به عند فاضل صيدا فرفع امره الى السلطان في التمسك بطينية : فطلبه ليعاظر علماء اهل السنة فبطلع على مذهب : فسار سم الرسول فقتله الرسول في الطريق في مكان من ساحل البحر وكان هناك جماعة من التركمان فرأوا في تلك الليلة انوارا تنزل من السماء وتصدر ، فدفعوه هناك وبنوا عليه قبة ، وأما الرسول فحمل رأسه الى السلطان فأنذر عليه فذله وقال : انما امرتك ان تأتيني به حيا ، ثم سعى السيد عبد الرحيم العباسي في قتل ذلك الرجل فقتله السلطان .

(٢) ولد عام ٩٥٩ ، ومات عام ١٠١١ .

(٣) توفي عام ٩٣٧ وقد زاد عمره على السبعين عاما ، وكان عضدا للشاه اسماعيل الاول الصفوي في خدمة مذهب آل محمد (ص) وترويجه .

المعروف بالشيخ البهائي (١) صاحب المؤلفات العديدة في جميع فنون العلم ، كالخلاصة في علم الحساب ، وتشریح الافلاك في علم الهيئة ، والزبدة في اصول الفقه ، والعمدية في علم النحو ، وله في الفقه ، مؤلفات كثيرة ، وفي الرجال مؤلفات وجيزة ، الى غير ذلك من المؤلفات الجليلة كالشكوكول ، وهو صاحب الرحلات والسياسة في البلدان . واستقر آخر ايامه في ايران ، الى ان قبض رحمة الله عليه ودفن في خراسان ، وعلى قبره اليوم بناء مشيد قلما يكون مثله لقبور الأولياء والسلماء ، وفي غرفة القبر وضعت مؤلفاته بموضع خاص ، والى جانب القبر مكتبة عامة باسمه ، الى غير هؤلاء من أجلة العلماء وجهابذة رجال الفضيلة (٢) .

وكانت الشيعة في جبال عاملة بعضاً من سوريا في كل ما تراه البلاد من الضراء والسراء ، حتى اذا لحقت جبال عاملة بحكومة جبل لبنان في زمن الامير فخر الدين المعني عام ١٠٢١ ، وكانت قبل ذلك قطعة مستقلة في ايلة صيدا ، اقطع الامير المذكور مراكز حكومتها رجاله ، ففقدت بذلك استقلالها ، وقصرت عن التغلب على حاكميها ، ولكن عبث الحاكمين واستدراار منافع البلاد بكل وسيلة ولو بخراب الديار حمل العاملين على الخروج عن ربة الضيم وجائل

-
- (١) ولد في بعلبك عام ٩٥٢ وتوفى عام ١٠٣٥ ، وكان من اعضاء الشهاد عباس الاول الصفوي في ترويج مذهب اهل البيت عليهم السلام .
وتلك عصور كانت الملوك فيها تهتم لخدمة الدين وحامليه ورجاله .
(٢) لو اقيمت نظرة واحدة على كتاب « أمل الآمل في علماء جبل عامل » لعرفت كثرتهم ووفرتهم .

الذل ، فان قرية « الكوثر » في مقاطعة « الشومر » من جبل عامل
قاومت الامير فخر الدين المعني : وكانت القرية محلا لآل الصغير من
زعماء الشيعة ، فتغلب الامير عليها وترك عسكره يعيث فيها ثلاثة ايام
بعد ان قتل المقاتلة وسبي الذرية .

وكان عامله على قلعة « الشقية » حسين الطويل ، واليه يرجع
عسل « الشومر » و « التفاح » فتنازع مع عامله الآخر حسين اليازجي
على قلعة « بانباس » و « ليه » شرقي بلاد بشارة ، فأرسل اليازجي
عسكره مغيراً على قرى حسين الطويل وأهلها شيعة ، وأرسل الطويل
عسكره مغيراً على قرى اليازجي حيث هاجم قرية « عيناثا » وأهلها
شيعة أيضاً ، لكنه ارتد عنها بخسارة بعض رجاله ، وهكذا كانوا يتنازعون
والشيعة عرضة لتنازعهم وطعمة لجشعهم .

ودخل الامير ملحم الى قرية « انصار » من مقاطعة « الشومر »
عام ١٠٤٨ وقتل وسبي ونهب وسلب ، وارتكب الاعمال القاسية التي
يقاومها الدين ، وتأبأها المروءة ، وبمقتها الوجدان .

فكانت هذه النكبات المضة وهاتيك الطواريء العدائية
المعادية ، التي حلت بجبل عامل ، سبباً لاستفزازهم وإيجاد روح
الوحدة والتناصر ، والاستبسال والتضحية لاخذ الاستقلال ، وساعدهم
على هذه البسالة والتجسس ما طرأ على الحكومة المعنية من الوهن
زمن الامير أحمد ، فأعلنوا استقلالهم عن لبنان ، وخرجوا عن طاعة امرائها
دفزاهم الامير أحمد عام ١٠٧٧ في « النبطية » وهي مقر حكامها
الصعيين ، فارتد عسكره على الاعقاب بعد حرب شعواء ، فاستثار

والي « صيدا » عليها ، فأتابها هذا في العام الثاني غازيا ، فكانت
هزيمته غنيمة ، ولحقه العاملون الى عين المزراب قرب صيدا .

ثم استعرت بعد هذا بين مشايخ الشيعة وأمرآء لبنان نيران
الوقائع . فكانت بينهما سجالا . وهذه النيران اضرمت في قلوب
بني عاملة شملة النجدة والتكاتف ، حتى بلغت اقصى درجات
الشهرة في شدة البأس وقوة الشكينة في ذلك العصر ، عصر الفارات
والحروب .

ووقعت بينهم وبين امير « صفد » و « عكا » ظاهر العمر حوادث
انجلت عن التحالف على اساس ثابت بين ظاهر العمر وناصر
النصار ، وجرى في عكا ثامن رجب عام ١٠٨١ فكان بعد ذلك لظاهر
من هذه المحالفة عون في امتداد سلطانه الى ما وراء صيدا ، ولناصر
منه عون في وقائعه مع اللبنانيين .

وكان الامراء الحرافشة في بعلبك قبل هذه المحالفة نعم العون لبني
عاملة غير ان البعد بين البلدين يحجز عن المساعدة الكافية .

وان أهم الوقائع التي مد فيها ظاهر العمر يد المساعدة لبني عاملة
هي الواقعة المعروفة بواقعة « كفرمان » أو واقعة النبطية عام ١٠٨٥
حيث ساق الامير يوسف الشهابي الجيوش الجرارة عازما على اكساح
بلاد الشيعة ، فكان عسكره على رواية الامير حيدر عشرين الفا ، وعلى
رواية الشيخ علي رضا في مخطوطاته ثلاثين ألفا ، وبعد ان نهب قرية
جباع الحلاوة حل في « كفرمان » وناوشه القتال من عسكر الشيعة

المخيم في « النبطية » خمسمائة فارس ، بقيادة الشيخ علي الصعبي ، فاتصروا على ذلك الجيش الكثيف ، قبل ان يرجع الصريح من صفد بعسكر ظاهر العمر ، وقبل ان يهيج بقية العسكر انذي في النبطية ، وانهزم اللبنانيون لا يلوون على شيء ، وقد روى الامير حيدر ان لبنان ليست السواد لهذه الحادثة فكانت النساء كالفربان . وفي هذه الحادثة يقول الشيخ علي رضا ان الشيخ ناصيف أدرك الامير يوسف بالقرب من قرية « جرجوع » فألبسه الفرو مقلوبا ، وهو أشبه بجز الناصية عند العرب (١) .

ولم تمض هذه الليلات التي كانت فيها جبال عاملة ذات الحول والطول حتى استقل في « عكا » احمد باشا الجزار ، فبدأ باخضاع الشيعة ، فكانت له معهم وقائع آخرها واقعة « يارون » حيث ساق الجزار عسكره على بلاد « بشارة » (٢) فجاء في خامس شوال عام

(١) اعتمدنا في هذا الفصل على ما نشره العلامة البحثة الشيخ احمد رضا في العرفان ج ٢ ع ٦ ص ٢٨٦ فنقلناه بإيجاز وتغيير يسيرين ، بل اعتمدنا عليه في اكثر هذا العنوان « جبل عامل » بل ربما ننقل احيانا كلامه بنصه . وان للعلامة المبرور اللغوي والشاعر الكبير الشيخ علي السبيتي مقالا نشر في العرفان بعنوان « جبل عامل في قرنين » ذكر فيه عدة حوادث شاهدتها اهل الجبل ، وبشير اليها على نحو الإيجاز ، ومنها بعض هذه الحوادث .

(٢) تنقسم بلاد بشارة الى قسمين ، بشارة الشمالية ، ونهايتها في الشمال نهر الاولى شمالي صيدا ، ويفصلها عن الجنوبية نهر الليطاني الذي يصب في البحر المتوسط شمالي صور ، وبشارة الجنوبية ، ونهايتها =

١١٩٥ ، فأسرع اليه ناصيف بعسكره والتقىا في قرية « يارون » من جبل عامل قريبة من « صفد » فكانت النصره لعسكر الجزار ، وزلت بناصيف فرسه ، فابتدره أحد الجنود بطلقة اصاب منه مقتلا ، وتفرق المسكر ، وتشتت أمره ، وجاس الجزار خلال الديار وماج بها نهبا وسلبا وقتلا ، ولم يملوهم ليجمعوا شيتهم ، ويسلكوا أمرهم ، فاستولى الرعب على البلاد ، ثم هدمت القلاع وحوصرت قلعة « شقيف ارنون » شهرين ، ثم فتحت وهدمت ، وهربت مشائخ البلاد الى الشام والعراق ، ثم اجأ منهم جماعة الى « عكا » فاستأمن الجزار بعضهم ، حتى اذا وثقوا بأمانه غدر بهم ، فكانوا في سجنه وعذابه انى ان ماتوا ، ثم وزع عماله على البلاد ، وكانت البقية الباقية من مشائخ البلاد تحفر بقوتها الضعيفة لصد قوة الجزار الهائلة ، حتى اذا خرج حمزة بن محمد النصار على متسلم « تبين » وقتله ارسل اليه الجزار سرية عسكرية واقعته في قرية « شحور » عام ١١٩٨ فتشتت

= في الجنوب نهر القرن الجاري شمال طرشيحا ، وجنوبي قرية الزيت وهي التي اشتهرت اكثر من اختها الشمالية بهذا الاسم ، وكانت بلاد بشاره عموما تقسم الى ثمان مقاطعات ، أربع في بشاره الجنوبية وهي تبين ، وهونين وقانا ، ومعركة ، وكان حكامها من آل النضير ، وقبلهم بنو شكر ، ويتالف منهم قضاء صور وقضاء مرجعيون ، وثلاث في بشاره الشمالية وهي الشقيف ، والشوم ، والتفاح المعروفة الآن بناحية جباع ، وحكام الاولى منهن آل صعب وحكام الاخيرتين آل منكر ، ويتألف من الثلاث قضاء صيدا ، والثامنة مقاطعة جزين ، وكان حكامها المقدمون المعروفون بمقدمي جزين ، العرفان ج ٢ ع ٥ ص ٢٤٢ من مقال العلامة الشيخ احمد رضا .

شمل الشيخ حمزة وقبض عليه وقتله أشرها قتلة .

ولما دخل الجيش الفرنسي تحت قيادة « نابليون بونابرت » بلاد الشام وجد الشيعة والصفديون بسببه الراحة ، وتخلصوا من ظلم الجزائر وعتوه ، ولما انجلى الفرنسيون واطمأن الجزائر في ولايته اشتد على بلاد بشارة وساحل صغد ، ولم يسمع بكبير او ذي جاه الا اخاه أخذ عزيز مقتدر ، واستصفى امواله ، وتركه لرحمة زبانية عذابه في سجنه ، ودامت الحال من عام ١٢٠٩ الى عام ١٢١٩ عشر سنين ، هلك فيها الحرث والنسل (١) .

وضغط على العلماء وتعقبهم قتلا وسجنا وتعذيبا ، وتشتت من بقي منهم في أقطار الارض واستصفى آثارهم العلمية ، وكان لافران عكا من كتب جبل عامل ما أشغلها بالوقود اسبوعا كاملا ، وكانت هذه الضربة الكبرى على العلم واهله وخلت جبال عاملة من رجال العلم . بعد أن كانت زاهرة الربوع بالعلماء وارباب الفضل والتأليف .

ومن فر من العلماء من ظلم الجزائر ، العالم الكبير والشاعر المبدع الشيخ ابراهيم يحيى ، قطن دمشق الشام . وبلي بها الشيخ علي الحانوتي الطبيب النقيه . والعالم بعثة علوم ، هاجر في طلبها الى ايران . وقد صودرت أمواله وضبطت أملاكه ، وحبس مرتين ولم تقبل منه فدية ، ثم أخذت المكتبة الكبرى التي كانت لآل خاتون . وكان الشيخ

(١) العرفان ج ٢ ع ٧ ص ٣٣٠ من مقال العلامة الشيخ احمد رضا ، وفيها ذكر بقية الاحداث فراجع .

المذكور ولي أمرها وكانت تحتوي على خمسة آلاف مجلد من الكتب الخطية النادرة ، فأُمت في عكا طعمة للنار .

ومن فر من ظلم الجزائر السيد ابو الحسن ابن السيد حيدر الامين والشيخ حسن سليمان ، والشيخ محمد الحر ، وقد اعتصم بآل حروفش أمراء بعلبك ، فكان فيهم آمناً مطمئناً حتى أتاه البشير بهلاك الجزائر وبمولود جديد له في وقت واحد ، فسسى المولود سعيداً ، ثم رجع الى بلده جيع وهو مغطى السرب ، الى غير هؤلاء ممن شملهم ظلم الجزائر .

ولم يفق العاملون من هذه الدهشة العظمى الا بهلاك الجزائر ، وبعد ذلك جرت عدة حوادث لم تكن لها تلك الاهمية .

ثم تولى بعدئذ الزعامة « حمد البيك » بن محمد بن محمود بن نصار ابن اخي ناصيف النصار ، ولقبته الحكومة بشيخ مشايخ بلاد بشارة ، وكان عالماً شاعراً ، فأوى اليه العلماء والشعراء ، وأخلدت البلاد الى السكينة وهدأت من الفتن والمنازعات ، وتفرغ كل لما يعنيه ، ولما توفى عام ١٢٦٩ قام من بعده ابن اخيه « علي بك » الاسعد الشهير ، فكانت البلاد في ايامه بأرغد عيش وأهناه . ولكن شبست في آخرها نيران النزاع بينه وبين ابن عمه « ثامر بك » ادى الى اعتقاله واعتقال ابن عمه « محمد بك » الاسعد حتى توفيا معاً بالشام عام ١٢٨٢ (١) .

ولما هدأت البلاد وعادت الامور لمجاريها واستولت تركيا على سوريا كدولة حاكمية تدبر رحي الإدارة في البلاد ، بموظفين هي تعينهم

(١) العرفان ج ٢ ع ٧ ص ٢٢٢ من مقال العلامة الشيخ احمد رضا .

كما هو الشأن في الحكومات، وشأنها في غيرها من البلاد، وكانت سياستها مع الشيعة في دمشق وحلب وجبال عاملة وبعيدك، كما هي في سواها من البلاد مقاومة مذهب أهل البيت بنشر الدعاية وبث الدعايات ومحاربة المنتسبين لهذا المذهب. وهل كانت فاجعة حلب المؤسفة إلا في أيامهم. نعم لم تقهر بلاد سورية بالسيف على اعتناق مذهب الدولة كما صنعت في بعض البلاد الشيعية كشمال العراق.

فكانت هذه سيرة حكومة آل عثمان وتلك سجاياهم إلى أن أزالتهن من سورية دول الحلفاء بمساعدة الشريف « الحسين بن علي » ملك الحرمين وأنجاله العظام، وأقيم جلالة الملك فيصل الأول ملكاً على دمشق وحلب، والشريف عبد الله أميراً على « شرقي الأردن » (١) وأرسلت الدول لجنة أمريكية لاكتشاف رغبات الشعوب وجاءت إلى سورية، أظهر العاملون على لسان ممثلهم وفي طلبتهم حجة الإسلام السيد عبد الحسين شرف الدين (٢) رغبتهم في تشكيل حكومة عربية مستقلة ملكها « فيصل » غير أن الحكومة الفرنسية لم تعر هذه الرغبة اذناً صاغية، فحذا العاملين هذا التصامم على المطالبة سلمياً بحقوقهم، فقابلهم المستعمرون بالشدة فسبب ذلك التهاب نيران الثورة في طول عاملة وعرضها، وكان زعيم هذه الثورة حضرة السيد عبد الحسين وزعيم العاملين « كامل بك الأسعد » فقاومتها الحكومة المستعمرة

(١) أما اليوم فقد نودي به ملكاً على شرقي الأردن .

(٢) يقضي وقته الشن بالله بالنداء عن الحق ، عبد الله في حياته ، ولا يزال مع شيخوته مكباً على التأليف والإصلاح : فهو مجموعة فضائل ، وخصاله الجميلة لا يبلغها الوصف .

بشتى الاساليب ، من تحديد البعض ، واستمالة الآخر ، والفتك الذريع فيما تفتحه من البلاد ، فضعفت القوى القومية ، وصارت تندحر امام جنود الاستعمار ، وفي تلك الحال تعززت القوى الفرنسية بالعدة والعدد وامتد الى بلاد الثورة ، فدخلت بلاد صور واستولت على دار السيد المشار اليه ، وكان قد انتقل عنها الى « شحور » فاتهبتها وأتلفت مكتبته الثمينة نهياً وحرقا ، وكان فيها ما يناهز العشرين مؤلفاً له ، كما ذكر ذلك هو في تعليقه على ص ٣٨ من « كلمته الغراء » وقد اشار سلمه الله تعالى الى تلك الثورة وهاتيك النكبة التي أصابته فيها ، وذكر مصنفاته التي تلفت واسماءها - فلا حرمه الله من أجر الاستفادة بها - .

فقضت تلك السلطة الفرنسية على هاتيك الثورة قضاء نهائياً ، وزحفت على جميع البلاد المحاربة واحتلتها ، فاضطر السيد الى الفرار الى دمشق ، وبعد سقرطها بيد القوة الفرنسية غادرها الى مصر ، ولم يسمح له المستعمرون بالعودة الى بلاده الا بعد سنتين ، وكانت تلك الثورة في عام الثورة العراقية على الانكليز وهو عام ١٣٣٨ هـ و١٩٢٠ م .

وبعد ان احتلت الحكومة الفرنسية جبال عاملة ، وسكنت الحال وهدأت البلاد ضموا الجبل الى لبنان فسمي « لبنان الكبير » وقاعدته بيروت ، واخذ شيعة الجبل وبعلبك حقوقهم من الوزارة والمجلس النيابي ، كما صار لهم في كل بلد شيعي قاض ومفتي ، وفي قاعدة بيروت مجلس تمييز شرعي مؤلف من رئيس وعضوين ، فالتشيع اليوم في لبنان الكبير سائر بكل نظام وهدوء محفوظ الحقوق مرعي الجانب (١)

(١) اما اليوم بعد ان خرجت فرنسا من البلاد ، فالحال على ما كانت عليه

بعلبك :

هي اليوم وسائر قراها وضواحيها تعد من البلاد الشيعية ، الشهيرة بالتشيع ، وشيعتها تناهز الشيعة في جبال عاملة كثرة أو تزيد عليها ، غير انها لا تضاهيها في المعارف الدينية ، فانه لا يزال في النجف الاشراف من العاملين المهاجرين لطلب علوم الدين ما يناهز الثمانين طالباً (١) ولا يوجد من البلاد البعلبكية أكثر من الاثنين والثلاثة ، ولا يخلو هناك بلد من عاملة من العالم والاثنين والاكثر ، بل وفي القرى الصغيرة لالتي لا تتجاوز نفوسها المائتين نسمة ، ولكن البلاد البعلبكية لا يوجد ارباب العلم المرشدون الا في قراها الكبيرة ، على انها حتى اليوم قد خرجت كثيراً من العلماء والادباء ، وبعضهم من الامراء الحرفوشيين ، ولكنها لا تجاري البلاد العاملة ، فانها انتجت من العلماء والادباء قديما وحديثا ما لا يقع عليه الحصر ، وقد ألف في المتقدمين الشيخ محمد الحر كتاباً سماه « أمل الآمل في علماء جبل عامل » طبع في ايران جمع فيه من العلماء الجم الغفير ، وأشار الى كثير من الشعراء ، وقال في كثرة علماء الجبل : « وقد سمعت من بعض مشائخنا انه اجتمع في جنازة في قرية من قرى جبل عامل سبعون مجتهداً في عصر الشهيد الثاني وما قاربه » .

قبل من اشتراك الشيعة في مجلسي الوزارة والنيابة ، كما انهم مشتركون في ادارة البلاد ووظائفها داخلا وخارجا ، وقد اجتمعت في عام توفيقي للحج وهو عام ١٣٦٥ بالقائم بالمفوضية اللبنانية في جده وهو شاب شيعي من بيت الزعامة الشيعية في الجبل وهو اسعد سهيل الاسعد فوجدته مثالا للاخلاق وكرم الطبع .

(١) ذلك في عهد التأليف اما اليوم فهم دون هذا العدد بكثير .

هذا ما كان منهم الى زمانه واما ما بعده والى اليوم فقد أنتجت أفاضل وعلماء يعمر استقصاؤهم (١) ويوجد فيهم اليوم مراجع في التقليد من أهل الجبل ، وفيهم من له الميزة في الدفاع عن كيان مذهب آل محمد صلى الله عليه وآله في مؤلفاته القيمة وما ينشره في الصحف ، وأما شعراؤهم فقد نشرت مجلة « العرفان » الغراء من تراجمهم وشعرهم الشيء الكثير .

وان بلاد بعلبك من البلدان التي فتحها المسلمون عام ١٤ هـ يوم فتحوا سوريا ، وقد خملت في عهد بني أمية ، ونهبها تيمور عام ٨٥٣ (٢) ولعل التشيع دخلها من يوم فتحها ، فان في الجند الكثير ممن يتولى علياً وأهل البيت عليهم السلام ومنهم قوم من خزاعة ، وخرزاعة حلف بني هاشم في الجاهلية ، وشيعة علي وبنيه في الاسلام (٣) وقيل كان في الجند دعبل الخزاعي (٤) وقيل حرفوش الخزاعي (٥) وكان حامل الراية ، فشهدوا فتوح الشام ، واستقروا مدة في غوطتها ، وانتقلوا الى بعلبك ، وكان منهم نصر الخزاعي فيها حين مرور سبايا

(١) كتب مستدركا لامل الآمل حجة الإسلام السيد حسن الصدر طاب ثراه ، وقد ذكر فيه الكثير منهم ، وما يزال مخطوطا لم تبرزه المطابع كأكثر مؤلفاته .

(٢) منجم العمران « ٣٦٠٢ » .

(٣) ومنوم في العراق اليوم في الفرات الاوسط خلق كثير ، وكانت لهم اماراة واسعة في القرن الماضي ، ولهم اليوم زعامة كبرى ، ومنهم في اطراف خراسان جمع كبير والجميع شيعة .

(٤) لعله غير دعبل الشاعر المعروف لان دعبل لم يدرك ذلك العهد .

(٥) ولعل الامراء الحرفوشيين في بعلبك ينتسبون الى حرفوش هذا .

أهل البيت من العراق الى الشام (١) .

واذا لم يتحقق دخول التشيع فيها ذلك اليوم ، فلا ريب في دخوله بعد ذلك بقليل ، وهو يوم نفي ابو ذر الى الشام وصار يدعو الى التمسك بالثقلين الكتاب والعتره ، واخرج الى قراها وضواحيها ، فلم يشبه ذلك عن الهتاف بتلك الدعوة ، ومن يوم سدوحه بولاء آل الرسول (ص) اجابه كثير من انسوريين ، ومنهم بنو عاملة .

ولعل انتشار التشيع في سوريا واستيلاءه على جبال عاملة وبلاد بعلبك يوم تربع على دست الامارة في سوريا بنو حمدان ، وفي مصر وأفريقيا الفاطميون ، ومن تلك الايام - وهو القرن الرابع - رسخ أساسه في تلك البلاد ، ولم تنسفه معاول الايوبي التي هاجم فيها التشيع ، وقلع علاليه في مصر ، وكثيراً من حصونه في حلب وبلاد الشمال من العراق ولم يقض عليه عدوان السلطان سليم العثماني يوم تولى عليها عام ٩٢٢ (٢) الذي كان محارباً للشيعة اينما كانوا واينما امتد اليه سلطانه ، ولأجل ذلك قد قتل جان بردي الغزالي النائب من قبل ملوك آل عثمان ناصر الدين بن الحنش شيخ الاعراب والبقاع ، وكان قد تحايل عليه وقتل شخصاً آخر من مشايخ العربان يقال له ابن حرفوش وحز رأسيهما وأرسلهما الى ابن عثمان بحلب (٣) الا ان مثل ذلك لم يقلع منار التشيع من بعلبك .

(١) العرفان ج ٩ ع ٤ ص ٢٩١ من مقال الكاتب البحانة اسكندر معلوف .
(٢) المنجم .

(٣) عن مقال - معلوف - نقلاً عن تاريخ مصر لابن ابباس « ١٦٧:٣ » من طبعة مصر عام ١٣١٢ د. ومن ذلك تعرف ان للحرفوشيين اماره من ذلك اليوم .

ولقد نصر التشيع بل رفع كعبه في بعلبك الامراء
الحرفوشيون (١) وهم من أعظم أمراء الشيعة في سوريا وكانوا
أهل القوة والسطوة فيها ، وكانت شيعة جبل عامل يستمدون منهم في
وقائهم كما سلف .

قال اسكندر معلوف ، « لعرفان ج ٩ ع ٤ ص ٢٩١ » : واول من
ذكر في التواريخ التي بأيدينا هو الامير علاء الدين الحرفوشي ،
الذي قال امرة الطبلخانة من الرتب العسكرية العليا في أيام ملوك
التركية نحو عام ٧٩٢ هـ ، وكان قائدا لعشران البقاع في موقعة
منطاش المشهورة فقتله منطاش ، وكان قد قتل قبله اياه واخاه ولم
نعلم اسميهما .

وكان قد نال قبله في عصره هذه الامارة من الوطنيين البعلبكيين

(١) وهل نسبتهم الى حرفوش الخزاعي الذي قيل انه كان في جيش
المسلمين الفاتح لسوريا او ان احد اسلافهم اشتهر في بعلبك بحرفش
او حرفوش فنسبوا اليه كما زعمه اسكندر نقلا عن بعض معربهم ،
وعلى اي حال فهم من خزاعة وهم يتعارفون مع خزاعة العراق
« الخزاعل » وفر بعضهم اليهم في بعض الحوادث التي هجروا فيها
بلادهم . ومنهم الامير جهجاه بن الامير مصطفى ، فقد سار لفتنة في
قومه على الحكم وعاد لقتال العبد حاكم بعلبك ، ومن شعره الزجلي
انذي ارسله الى اخيه الامير سلطان ، ومنه يعلم انهم من خزاعة :
مقالات الخزاعي في بيوت
وذكر منها اسكندر عدة ابيات ، وقال : وهي طويلة ، فأجابه
اخوه سلطان بقوله من قصيدة طويلة :

قال الخزاعي الذي بات ساهر ولي قلب قوي من صفا الجمود
وذكر منها عدة ابيات ايضا .

علاء الدين بن معبد ، وابن حميد ، ولم نجد للأمراء ذكراً الا بعد
الفتوح العثماني بنحو ثلاثة أرباع القرن ، والظاهر ان السلطان سليما
العثماني لم يؤمر الحرافشة على بعلبك لمناهضته للشيعة .

وقال : وبدء حكم الحرافشة الذي ذكره المؤرخون كان عام
١٠٠١ هـ واول حاكم منه في بعلبك الامير علي بن موسى الحرفوشي ،
ومنه تسلسل الامراء الى اليوم ، والمشهور ان الحكومة العثمانية
قرضت هذه الاسرة . فبقي منهم اربع نساء فقط احداهن كانت
حاملًا فاختفت في قرية « الخريبة » قرب بعلبك ، فوضعت غلامًا
سمته اسماعيل ، فمن هذا الامير تسلسل عشرة ذكور ، كانوا
رؤوس الاسرة ، وذلك في اوائل القرن الثاني عشر للهجرة ، وبقيتهم
الآن في قرى بعلبك ، مثل « سرعين » و « شعث » و « بودية »
و « النبي رشاده » ولهم بقايا في الامتانة بعد تفهم اليها وفي القطر
المصري ، وكان بأيديهم لوح نحاسي في انسابهم ، أخذه منهم ابراهيم باشا
المصري كما يقال .

وقال : وبدء حكم الحرافشة في بلاد بعلبك تاريخياً عام ١٠٠١ هـ
وانتهى فيها عام ١٢٨٢ ، فتكون مدة حكمهم بتقطع أحيانا نحو
من قرنين وثلاثة أرباع القرن ، واستعمروا بعض القرى ، واتصلوا
بالبقاع أيضا فعمرت بهم البقاع البعلبية ، مثل مدينة بعلبك ، وقرى
« سرعين » و « رأس بعلبك » و « اللبوة » و « الهرمل » والقرى
البقاعية مثل « كرك نوح » و « قب الياس » و « مشغرة » فحضروا
بعض القبائل البدوية من عرب وأكراد ، مثل بني حمية الاكراد

وغيرهم ، واتصلت بهم امر اخرى من الشيعيين من جبل عامل
ولبنان في أيام ضيقهم فأحسنوا وفادتهم •

وقال : وأذابوا كل ثروتهم بمظاهرهم وجبهم للجاء والعظمة ،
وكرمهم الطبيعي ، شأن السلائل العربية الاصل ، فكانوا ائبسه
بملوك مستقلين في امارتهم ، ولهم عادات في تحصيل المال
المكسور ، واخذ الحق من القوي للضعيف ، ومن الظالم للمظلوم ،
ومقر امارتهم الرئيسي بعلبك •

وقال : وللحرافشة أباد جمية في الابنية والتريمات والمنتسبون
ونحوها ، مثل تجديد الامير يونس الحرفوشي لمسجد النهر في بعلبك.
وعليه تاريخ شعري لسنة ١٠٣٨ هـ وبناء قصر الامير عمر حاكم
بعلبك سنة ١٠٧٧ هـ ، وتشييد دار الامير اسماعيل في بعلبك
سنة ١١٤١ هـ .

واشتهروا بجمال الصورة والهيئة والتنافس بالجياد المظهمة
والاسلحة الثمينة ، وتروضوا بالفروسية والصيد ، واشتهروا بالبساة
في الحروب مما هو مدون عنهم في بطون التاريخ •

وقد ضرب على أيديهم ابراهيم باشا في أواسط القرن الماضي
الثالث عشر ، وأوقفت تيار استبدادهم الدولة العثمانية في الثلث الثالث
من القرن المذكور ، وتمكنت الدولة المصرية أيام حكمها في
سوريا من نزع عقارات الامراء الحرفوشيين من أيديهم ، وعينت لهم
عوض ذلك رواتب ، ثم تمكنت الدولة العثمانية من تقيسهم الى

الاستانة (١) رجزيرة كرديد وغيرها ، فنزعت الحكم من ايديهم
وصادرت عقاراتهم وقصورهم .

وقال (٢) : ونبغ من هذه الاسرة علماء وشعراء ومؤنفون : منهم
الامير موسى بن الامير علي بن موسى الحرفوشي ، ولي امارة بعلبك
بعد قتل ابيه . وكان بطلا شجاعا جوادا مثل أسلافه ، وله وقائع في تاريخ
الحرفوشيين ، وتوفي في دمشق عام ١٠١٦ هـ .

ومنهم الامير محمد بن علي بن احمد الحرفوشي ، وقد ترجمه
المحبي والبديعي وابن معصوم وغيرهم ، نشأ في دمشق ، وكان مولعا
بالعلم أديبا شاعرا لغويا نحويا ، يقصده كثير من الطلبة يقرأون عليه ،
واخرج من دمشق فهرب الى حلب فالحجم ، فمظمه سلطانه الشاه
عباس الصفوي ، واسند اليه رئاسة العلماء في بلاده ، واشتهر بعلومه
ومصنفاته ، وتوفي في بلاد ايران عام ١٠٥٩ هـ .

ومنهم ولده الشيخ ابراهيم قرأ على ابيه وغيره ، وتوفي بطوس
عام ١٠٨٠ هـ انتهى (٣) .

ولم يتضعضع التشيع في بعلبك لما تقلص ظل الامارة الحرفوشية

(١) وقد جاء احدهم من الاستانة قبل سنتين الى النجف ، اي سنتين
قبل تأليف الكتاب ، ومضى الى خراة الفرات « الخزاعل » ثم عاد .

(٢) العرفان ج ٩ ع ٥ ص ٣٩٠ .

(٣) وقد ذكر هؤلاء الثلاثة الشيخ الحري « أمل الآمل » كما ذكر السيد
علي خان في السلسلة محمد بن علي وذکر وفاته في شهر ربيع الثاني
من عام ١٠٥٩ ، وذكر له عدة مصنفات وشعرا رقيقا جزلا .

منها ، وبقي فيها رصين البناء حتى اليوم ، وان اهل بعلبك ليهاهم السوريون لما يبعدونه فيهم من البسالة والشجاعة ، وهم كالعراقيين في كونهم قبائل وعشائر ، ولهم زعماء ورؤساء يوم كانوا يحملون السلاح وحتى اليوم ، وانا لتفرس البسالة فيهم يوم يفدون الى العتبات المقدسة زائرين ، ولم تخل بعلبك اليوم من الرجال ذوي الشأن والشرف سوى زعماء القبائل امثال آل حيدر (١) وقد تخرج كثير منهم في العلوم الحديثة فمنهم الطبيب ومنهم انصحي ، وغير ذلك ، وتولى منهم ابراهيم بك حيدر وزارة الزراعة في احدى الوزارات اللبنانية ، واما في الوقت الحاضر فنسهم صبحي بك حيدر مديراً للمعارف حيث لا وزارة في لبنان اليوم وان المدير هو القائم بوظيفة الوزير (٢) وكالسيد احمد الحسيني الجبلي الكسرواني

(١) وكان منهم في العراق رستم حيدر جاء مع الملك فيصل وهو يعد من حاشيته ومستشاريه ، وكان رئيس ديوانه ، ثم وزيرا للمالية في الوزارة السعيدية الاولى ، وللإقتصاد والمواصلات في الوزارة اكيلاية الاولى ، وفي الوزارة المدفعية الاولى ، وكان آخر امره وزيرا للمالية في الوزارة السعيدية الثالثة فاعتدى عليه موظف كان في الشرطة مفصولا قبل زمن - وهو برتبة مفوض شرطة فأطلق عليه طنقات من مسدسه ، وبعد أيام فارق الحياة فكان لفقده رنة أسف وأسى في العراق ، ودفن في المقبرة الملوكية ، وكان ذلك في شهر ذي الحجة من عام ١٣٥٨ ، وهو يعد من خير الرجال ذوي الكفاية والمقدرة والتدبير في كل وظيفة ووزارة يستلم زمامها بيده ، وشأنه في ذلك اشهر من ان يطرى ويعرف .

(٢) ذلك في عهد التأليف .

الذي كان وزيرا للعدلية في احدى الوزارات اللبنانية ايضا^(١)
وغيرهم^(٢) .

ولم ينحصر التشيع في سوريا في البلاد التي جرى عليها الذكر ،
بل يوجد اليوم شيعة كثيرون في بيروت ولبنان الصغير وشرقي الاردن
والقدس^(٣) وغيرها نسأله تعالى لهم ولنا حسن التوفيق والسعادة .

.. .

-
- (١) وما زال يتمتع بالحياة والصحة ويشغل الوزارة بعد الاخرى .
(٢) وما زال الشيعة مشتركين في وظائف الدولة في عهد الاستعمار
الفرنسي وعهد استقلال لبنان اليوم ، وليس في لبنان استئثار في
الوظائف ، بل تعطى لابناء البلاد حسب النسبة والقدرة .
(٣) فقد الحقت قرى شيعية من جبل عامل في القدس وما زال منهم
طلاب علم في النجف .

الشيعة في مصر

لا بدع لو نقول : ان التشيع دخل مصر في اليوم الذي دخل فيه الاسلام ، ولا سيما وقد ذكر المقريزي في خطط مصر «٧٤:٧٥» ان جماعة من أصحاب رسول الله صلى عليه وآله شهدوا فتح مصر ، وعد منهم المقداد بن الاسود الكندي وابا ذر الفصاري ، وابا رافع مولى رسول الله (ص) وابا ايوب الانصاري ، وذكر ان عمار بن ياسر جاءها ايام عثمان ، وهؤلاء من عرفت مجاهرتهم بولاء المرتضى عليه السلام وبالدعوة له فكانت تلك الروح تنمو يوما بعد آخر ، حتى اذا أجمعت البلاد على عثمان ، وكان ممن جهز عليه أهل مصر ، ولما ولي الامر امير المؤمنين عليه السلام بايعوه بكل رغبة ، ولم يكن الا النزر من أهلها على غير رأيه .

ومن الدلائل على شيوع التشيع لعلي عليه السلام في مصر قبل ولايته عليها ما ذكره المقريزي « ١٤٩:٤ » وقال : وبعث قيس بن سعد الانصاري على مصر فدخلها مستهل ربيع الاول سنة سبع وثلاثين ، ومصر يومئذ من جيش علي الا أهل خربت الخارجين ، وما ذكره ابن الاثير « ٦١:٣ » قال في بيان الاقواء الذين جاءوا لمقاومة عثمان

من أهل الكوفة والبصرة ومصر : وجاءهم - أي جاء إلى أهل الكوفة والبصرة النازلين بالقرب من المدينة - ناس من أهل مصر وكان هواهم في علي ، وقال « ١٠٦:٣ » في حوادث عام ٣٦ بعد خطبة قيس وأمر الناس بالبيعة لأمير المؤمنين : فقام الناس فبايعوه واستقامت مصر وبعث عليها عماله إلا قرية منها يقال لها خربت ، إلى غير ذلك من الشواهد .

فكانت تولية قيس على مصر ثم محمد بن أبي بكر وهما من علمت بولائهما لأبي الحسن وأهل البيت وجهادهما دونهم أحد الدعائم لارتكاز التشيع في مصر ، فحققت لهذا وذاك بنود التشيع فيها ، وكثرت جنوده . ولكن ما أسرع ما دالت الأيام عليه ، حيث وافى مصر عمرو بن العاص - الذي كانت مصر أمنيته الوحيدة ، ومن أجلها ساوم معاوية بالأعلى منها تمنا - ففتح مصر بعد حرب طاحنة ، وقبضوا على محمد وقتلوه ، ولم يشف أحقادهم ما ارتكبوه منه حتى جعلوه في جيفة حمار وأحرقوه بالنار (١) .

وانت على خبر بما كان عليه معاوية وابن العاص من عداوة المرتضى وحربه ، وهل يتظاهر الناس بالولاء لأمير المؤمنين عليه السلام وعمرو على مصر .

نعم مع تلك المجاهرة بعداء أبي الحسن ، وهاتيك الحرب العاتية كان التشيع باقياً في مصر ، بل استمر طيلة ملك معاوية وهو رصين

(١) الخطط « ١٥١:٢ » وابن الأثير وغيرهما .

الاساس ، يقول المقرئزي « ١٥١:٤ » فلما قتل علي عليه السلام واستقر الامر لمعاوية كانت مصر جندها واهل شوكتها عثمانية ، وكثير من أهلها علوية .

ولكن لما تعاقب بنو أمية على ملك مصر تغلب فيها انصارهم وأهل هواهم ، فصاروا يتظاهرون بسب أمير المؤمنين عليه السلام ، وكان بدء ذلك أيام مروان ، يقول المقرئزي « ١٥٢:٤ » بعدما ذكر استيلاء مروان بن الحكم على مصر : ومن حينئذ غلبت العثمانية على مصر فتظاهروا فيها بسب علي سلام الله عليه وانكفت السنة العلوية والخوارج .

فكيف لا ينزوي التشيع في البيوت ، والملوك ورجالهم تطارده وتحاربه ، فما زال أمير المؤمنين عليه السلام يسب على الاعواد في مصر من ولاية الامويين واشياهم ما دامت اعلامهم خاققة في مصر ، بل وبعدها بأمد بعيد في بعض كورها - الا ما كان من أيام ابن عبد العزيز - شأن الامويين في كل بلاد لهم عليه سلطان ، فكان التشيع لعلي وبنيه عليهم السلام رهن القلوب ، وبين حنايا الضلوع ، يقول المقرئزي « ١٥٢:٤ » فلما قتل مروان وانقضت أيام بني أمية بيني العباس سنة ١٣٣ خمدت جمره اصحاب المذهب المرواني وهم الذين كانوا يسبون علي بن ابي طالب ويبرأون منه وصاروا منذ ظهر بنو العباس يخافون القتل ، ويخشون ان يطلع عليهم احد ، الا طائفة كانت بناحية الواحات وغيرها فانهم اقاموا على مذهب المروانية دهرًا

الشيعة والعباسيون بمصر :

حتى فنوا ولم يبق لهم الآن بديار مصر وجود البتة .

الشيعة والعباسيون بمصر

لما قوضت اعلام دولة بني مروان ، ونبتت دولة بني العباس ، تطالعت الشيعة من الزوايا وأظهروا ما انطوت عليه القلوب ، زعماً منهم ان بني العباس على رأيهم في الولاء لعلي وبنيه ، والذي جعلهم يحسبون ذلك في بني العباس الرحم الوشيعة بينهم وبين آل ابي طالب . وما أظهروه بدء الدعوة ومطاردة بني امية من الشعار طلباً بدم الحسين عليه السلام والانتصار لبني علي عليهم السلام وأخذاً بتراثهم من بني امية . صا نهضت دولة بني العباس الا وجل انصارها وقوادها وأهل طاعتها من العلويين رأيا ومذهباً . ولكن ما استتب للعباسية أمر الملك الا وقلبوا لبني علي شيعتهم ظهر المجن . فكانوا عليهم اشد من الاموين عداً وظلماً . وقتلاً وصلباً ، وتعذيباً وجساً ، وتشريداً ونفياً . الى ما سوى ذلك من ضروب الجور والاضطهاد .

وقد اغتر الشيعة ببني العباس في اول وهلة حين اظهروا الطلب بدماء اهل انبيت ولم يعلموا انهم يسرون حسواً في ارتقاء . وليست هذه بأول مرة يغتر الشيعة بمن يظهر لهم الولاء . ويخطب منهم الود . حتى اذا عبروا بهم الى مآربهم . وصفت لهم مجاري المياه ، وقبضوا على أعنة الحكم . شنوا عليهم الغارة . وأوردوهم مناهل العطب . بدلا من ان يقدروا لهم الايادي البيض . وحسن الصنيع . ولا أدري أكان ذلك لسلامة في ضمائر الشيعة . وصفاء في القلوب . أم لسذاجة فيهم . حين لا يبعدون غورا . ولا يتذرعون بالحزم للأيام المقبلة . ومن

الحزم مساواة الظن . كما يقول الصادق عليه السلام .

فلما رأى الشيعة ما يعمله العباسيون مع العلويين وأوليائهم ، صاروا ينتهزون الفرص في الوثبة على بني العباس في كل ناحية . فما وجدوا علويًا يتحفز للوثبة إلا وأخذوا بيده . واعطوه القيادة من أنفسهم .

قدم الى مصر علي بن محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن ابن علي بن ابي طالب عليهم السلام وهو اول علوي قدم مصر . فبايحه كثير من الناس . وقام بأمر دعوته خالد بن سعد بن ربيعة بن حبيش الصدي . وكان جده ربيعة بن حبيش من خاصة علي عليه السلام وشيعته (١) ولكن القضاء والقدر حالاً دون قيام دولة علوية في ذلك العهد . فخابت نهضة هذا العلوي . كما فشلت وثبات غيره من اولاده الحسين عليهما السلام ، تلك الوثبات التي كانت لهم في الكوفة والبصرة والحجاز واليمن وفارس وسواها .

فكان التشيع في مصر كنور على علم الى ان جاء عهد المتوكل ، الذي عرف الواقفون على سيرته ما كان يظهره من العداء لعلوي وبنيه ، ويعمله من الفظائع مع العترة الطاهرة وشيعتهم في كل مصر له عليه سلطان ، يقول ابن الاثير في حوادث عام ٢٣٦ « ١٨:٧ » : وكان المتوكل شديد البغض لعلوي ولاهل بيته ، وكان يقصد من يبلغه عنه انه يتولى علياً وأهله بأخذ المال والدم ، وقال في فوات الوفيات

(١) خطط المقرئزي « ١٥٣:٤ » .

« ١٣٣:١ » : وكان المتوكل معروفا بالنصب وهجاء الشعراء
دعبل وغيره .

كتب المتوكل إلى واليه بمصر يأمره بإخراج آل أبي طالب من
مصر إلى العراق فأخرجهم أمير مصر اسحاق بن يحيى الختلي لعشر
خلون من رجب سنة ٢٣٦ و قدموا العراق فأخرجوا إلى المدينة في شوال
منه ، واستتر من كان بمصر على رأي العلوية ، حتى أن أمير مصر
ضرب رجلا من الجند في شيء فأقسم عليه بحق الحسن
والحسين إلا عفا عنه ، فزاده ثلاثين درة ورفع ذلك صاحب البريد
إلى المتوكل ، فورد الكتاب من المتوكل على أمير مصر بضرب ذلك
الجندي مائة فضر بها ، وحمل بعد ذلك إلى العراق ، وتبع الوالي بعد
ذلك الشيعة فحملهم إلى العراق ، ودل على رجل يقال له : محمد بن
علي بن الحسن بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب أنه ببيع له ،
فأحرق الموضع الذي كان به ، وأخذته وضرب بعض من بايعه
بالبساط ، وأخرج العلوي هو وجميع من آل أبي طالب إلى العراق ،
الخطط « ١٥٣:٤ و ١٥٤ » .

وقال المقرئ « ١٥٢:٢ » عند ذكر يزيد بن عبد الله الذي ولاه
المتوكل على مصر : وتبع الشيعة وحملهم إلى العراق ، وجرت على
العلويين في أيام ولايته شدائد .

فكيف ترى حال الشيعة اذن والسيوف على رؤوسهم ، والضرب
والتعبد نصب أعينهم ، فهل يجهرون بالولاء ، وإمامهم كل هذا

الجهد والبلاء .

انقضت دولة المتوكل الذي حارب اهل البيت وأولياءهم ، ففضى منهم ما شاء وشاء له شأنه وبغضه ، فحسب العلوية والشيعة بمصر ان ايام الجور والاعتساف قد تصرمت ، وانهم سوف ينتشقون نسيم الراحة ، ويرزون من زوايا الاختفاء وجبوس البيوت ، ولكن خابت امانيهم فقد وجدوا من ابنه المنتصر ما لا يحتسبون .

قال المقرئ « ١٥٤:٤ » كتب المنتصر لما ولي الحكم الى عامله بمصر ان لا يقبل علوي ضيعة ، ولا يركب فرساً ، ولا يسافر من القسطنطين الى طرف من اطرافها ، وأن يمنعوا من اتخاذ العبيد الا العبد الواحد ، ومن كان بينه وبين أحد من الطالبين خصومة من سائر الناس قبل قول خصمه فيه ولم يطالب بيته ، ولم تطل أيام المنتصر .

ولكن ما يذكره المقرئ لا يتفق مع ما هو المعروف من سيرة المنتصر مع العلويين قال ابن الاثير في حوادث عام ٢٤٨ « ٣٦:٧ » : وأمر المنتصر بزيارة قبر علي والحسين وآمن العلويين وكانوا خائفين أيام أبيه ، وأطلق وقوفهم ، وأمر برد فدك الى ولد الحسن والحسين ، وقال : وذكر ان المنتصر لما ولي الخلافة أول ما أحدثه ان عزل صالح بن علي عن المدينة واستعمل عليها علي بن الحسن بن اسماعيل بن العباس ابن محمد ، قال علي : فلما دخلت عليه أودعه قال لي : يا علي اني أوجهك الى لحمي ودمي ومد ساعده ، وقال : الى هذا أوجه بك ، فانظر كيف تكون للقوم وكيف تعاملهم يعني آل ابي طالب .

الى كثير أمثال ذلك ، ما هو مسطور في بطون الكتب ومعروف عنه حتى اذا قام المستعين من بعده سرح في أيامه والي مصر رجال من الطالبين الى العراق في رمضان سنة ٢٥٠ ثم أخرج ثمانية منهم في رجب سنة ٢٥١ .

ووثب في هذه الآونة افراد من العلويين في مصر ، فكان نصيبهم الفشل وانتقاض الامر عليهم ، فمنهم عبد الله بن احمد بن محمد ابن اسماعيل بن محمد بن عبد الله بن علي بن الحسين بن علي ابن ابي طالب عليهم السلام ، الذي كان يقال له ابن الارقط ، وكان قد خرج جابر بن الوليد المدلجي بأرض الاسكندرية في ربيع الآخر سنة ٢٥٢ ، واجتمع اليه جمع كبير والتحق به عبد الله هذا ، فقوده أبو حرمة وضم اليه الاعراب ، وولاه « بنا » و « بوصير » و « سهود » وبعد حروب جرت بينهم وبين أمير مصر كانت الدائرة على ابي حرمة ، فأسر واستأمن ابن الارقط ، فأخذ وأخرج الى العراق في ربيع سنة ٢٥٣ ، ففر منهم ثم ظفر به وجبس ، ثم حمل الى العراق في صفر سنة ٢٥٥ (١) .

ومنهم بغا الاكبر ، وهو احمد بن ابراهيم بن عبد الله بن مطابخا بن اسماعيل بن ابراهيم بن الحسن بن علي عليهما السلام ، وكان خروجه بالصعيد في امرة ارجون التركي ، وبعد حرب نشبت بينه وبين اصحاب أرجون فر هارباً فمات (٢) .

(١) الخطط « ١٥٤:٤ » .

(٢) نفس المصدر .

ثم خرج بغا الاصغر ، وهو احمد بن محمد بن عبد الله بن طباطبا فيما بين الاسكندرية وبرقة في جمادى الآخرة سنة ٢٥٥ ، والامير يومئذ أحمد بن طولون وسار في جمع الى الصعيد فقتل بغا في الحرب وأتي برأسه الى القسطنطينية في شعبان (١) .

ومنهم ابن الصوفي العلوي ابراهيم بن محمد بن يحيى بن عبد الله ابن محمد بن عمر بن علي بن ابي طالب عليهما السلام ، خرج بالصعيد ودخل « أسنا » في ذي القعدة سنة ٢٥٥ ، فبعث اليه ابن طولون بجيش فظفر به ابن الصوفي ، ثم جهز له جيشا آخر وبعد الالتقاء انهزم ابن الصوفي ، وترك جميع ما معه ، وقلت رجاله ، فأقام ابن الصوفي بالواح سنتين ، ثم خرج الى الاشمونيين في المحرم سنة ٢٥٩ ، وسار الى أسوان لمحاربة ابي عبد الرحمن العمري ، فظفر به العمري وبجميع جيشه ، وقتل منهم مقتلة عظيمة ، ولحق ابن الصوفي بأسوان ، فبعث اليه ابن طولون بعثا فاضطرب امره مع اصحابه فتركهم ومضى الى عيذاب ، فركب البحر الى مكة فقبض عليه بها ، ثم حمل الى ابن طولون ، فسجنه ثم أطلقه فصار الى المدينة ثم مات بها (٢) .

اعادت هذه الوثبات من العلويين في مصر شيئا من الحياة الى

(١) الخطط « ١١٣:٢ » و « ١٥٤:٤ » والكامل لابن الاثير في حوادث عام ٢٥٥ « ٧١:٧ » .

(٢) الخطط « ١١٣:٢ » و « ١٥٤:٤ » و ١٥٥ « والكامل لابن الاثير في حوادث عام ٢٥٦ « ٧٩:٧ » وفي حوادث عام ٢٥٩ « ٨٦:٧ » غير انه ذكر في نسبه انه ابن محمد بن علي بن ابي طالب عليهما السلام ، ولم يذكر انه ابن محمد بن عمر بن علي عليه السلام كما ذكره المقريزي .

الشيعة ، فجعلتهم يجهرون أحيانا بما يعتقدون ، وينبرون للمقاومة
 يداً ولساناً ، ففي إمارة هارون بن خماروية بن أحمد بن طولون أنكر
 رجل من أهل مصر أن يكون أحد خيراً من أهل البيت فوثب اليه العامة
 ف ضرب بالسياط يوم الجمعة في جمادى الآخرة سنة ٢٨٥ ، وفي إمارة
 ذكا الأعور على مصر كتب على ابواب الجامع العتيق ذكر الصحابة ،
 فرضيه جمع من الناس وكرهه آخرون ، فاجتمع الناس الى دار ذكا في
 رمضان سنة ٣٠٥ يتشكرونه على ما أذن لهم فيه ، فوثب الجند
 بالناس فذهب قوم وخرج آخرون ، ومحي ما كتب على ابواب
 النجام ، ونهب الناس في المسجد والاسواق وأفطر الجند يومئذ .

وما زال أمر الشيعة يقوى بمصر الى ان دخلت سنة ٣٥٠ ففي
 يوم عاشوراء كانت منازعة بين العبد وبين جماعة من الرعية عند
 قبر « كلثوم » (١) بسبب ذكر النسل والنوح ، قتل فيها جماعة
 من الفريقين ، وتعصب السودان على الرعية فكانوا اذا لقوا أحداً
 قالوا له من خالك ، فان لم يقل معاوية والا بطشوا به ، ثم كثر القول
 معاوية خال علي ، وكان على باب الجامع العتيق شيخان من العامة
 يناديان في كل يوم جمعة في وجوه الناس من الخاص والعام معاوية
 خالي وخال المؤمنين وكاتب الوحي ورديف رسول الله صلى الله
 عليه وآله ، وكان هذا أحسن ما يقولونه ، والا فقد كانوا يقولون :

(١) ذكر ابن جبير في رحلته عند ذكر المشاهد في مصر مشهدين لعليين
 تسميان بأمر كلثوم أحدهما ابنة القاسم بن محمد بن جعفر الصادق
 عليه السلام والأخرى ابنة محمد بن جعفر عليه السلام .

معاوية خال علي من ههنا ، وبشرون الى اصل الاذن ، ويلقون
ابا جعفر مسلماً الحسيني فيقولون له ذلك في وجهه ، وكان بمصر
أسود يصيح دائماً معاوية خال علي ، فقتل بتيس ايام القائد
جوهري .

ولما ورد الخبر بقيام بني حسن بمكة ومحاربتهم الحاج خرج
خلق من المصريين في شوال فلقوا كافور الاخيدي بالميدان ظاهر
مدينة مصر ، وضجوا وصاحوا معاوية خال علي ، وسألوه ان يبعث
لنصرة الحاج على الطالبين .

وفي سنة ٢٥٦ كتب في صفر على المساجد ذكر الصحابة
والتفضيل فأمر كافور الاخيدي بازالته ، فحدثه جماعة في اعادة
ذكر الصحابة على المساجد فقال : ما أحدث في ايامي ما لم يكن ،
وما كان في ايام غيري فلا ازيله ، وما كتب في ايامي ازيله ، ثم امر
من طاف في المساجد وازاله من المساجد كلها (١) .

فما كان ذلك التسايب والتحرش والجدال ، والنهب والقتال ،
الا لظهور التشيع وارتفاع مناره ، فكان ذلك سبباً لتمايئ مناوئيه
عليه ، واطهارهم الشنآن والبغض لعلي وبنيه عليهم السلام ، وكفى
من ذلك البغض ان يصرخوا دائماً معاوية خال علي ، وان كافور
مع تعصبه على الشيعة اضطر لمصانعتهم لتكثرتهم وتقوي أمرهم ، وخاف
عقبى التسايم عليهم .

(١) الخطط « ١٥٦:٤ » .

السَّيْمَةُ وَالْفَاطِمِيُّونَ بِمِصْرَ :

قامت اندولة الفاطمية بأفريقيا ، وبثت الدعاة بمصر ، فأجابها
وكاتبها كثير من المصريين ، وهاجبتوا مصر عدة مرات فما استطاعوا
فتحها ، حتى اذا مات كافور ولم يبق على مصر امير يدبر أمرها
كاتبوا المعز لدين الله الفاطمي ، فزحف قائده جوهر على مصر فوقف
دونه الاخشيدي والكافورية بعد أن أعطاهم الامان فرفضوه ، وبعد
حرب طفيقة تغلب عليهم ، واعلن الامان لاهل مصر ، ففتحوا الاسواق
وسكن الناس كأن لم تكن فتنة ، وكان دخوله لمصر عام ٣٥٨ ، انظر
الكامل لابن الاثير في حوادث هذا العام .

دخل القائد جوهر الى مصر وبني القاهرة ، فأعلن التشيع قبل
أن يأتي اليها المعز لدين الله الفاطمي ، فمن مذهب التشيع الذي هتف
به ، وآثاره التي نشرها ما أمر به من الاذان في جميع الجوامع
« بحي على خير العمل » (١) والاعلان بتفضيل علي عليه السلام على
غيره ، والجهار في الصلاة على النبي وعلى علي وفاطمة والحسين عليهم
الصلاة والسلام .

وأمر الامام بجامع مصر ان يجهر بالبسلة في الصلاة وكانوا
لا يفعلون ذلك ، وزيد في صلاة الجمعة القنوت في الركعة الثانية .

وأما المواريث فأمر بأن يعمل بها حسب ما يلي ، أن لا يرث مع
بنت الميت أخ له ولا اخت ولا عم ولا ابن ولا ابن اخ . وان لا يرث

(١) سبق منا البرهان على ان هذا الفصل من فصول الاذان .

مع الولد الا الزوج أو الزوجة والابوان أو الجدان ، وان لا يرث مع الام الا من يرث مع الولد .

وخطب ابو طاهر محمد بن احمد قاضي مصر : القائد جوهر في بنت وأخ كان قد حكم قديما فيهما بالنصف للبنت وبالباقى للاخ ، فقال : لا افعل ، فلما ألح عليه قال له : ايها القاضي انما هذا عداوة لفاطمة عليها السلام ، فأمسك ابو طاهر ولم يراجعه بعد في ذلك (١) .

وفي ربيع الاول سنة ٣٦٢ عزز سليمان بن عروة المحتسب جماعة من الصيارفة ، فشغبوا وصاحوا معاوية خال علي بن ابي طالب ، فهم جوهر أن يحرق رجة الصيارفة ولكن خشي على الجامع (٢) .

هذا كله والخليفة الفاطمي المعز لدين الله بعد في افريقيا ، فلما وافى مصر ونزل بقصره من القاهرة المعزية أمر في شهر رمضان عام ٣٦٢ (٣) فكتب على سائر الاماكن بمدينة مصر : خير الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وآله امير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام ، وأمر بأن يملأ في الجامع الازهر (٤) مختصر أبيه

(١) الخطط « ١٥٦:٤ » وكامل ان الانير في حوادث عام ٣٥٨ .

(٢) الخطط « ١٥٦:٤ » .

(٣) وكان دخوله الى القاهرة في الخامس منه انظر الكامل في حوادث عام ٣٦٢ .

(٤) أسس هذه المدرسة الكبرى ووقف لها الوقوف العظيمة القائد جوهر ووسع فيها وفي وقوفها الفاطميون ، كل ذلك ليدرس فيها فقه آل البيت ومذهبهم .

في الفقه عن أهل البيت ، ويعرف هذا المختصر بالاختصار (١) الى غير ذلك مما يطول شرحه .

وقد أمر بأمور أخرى ما تشهد بتمسكه بالدين وعمله بنظام الشريعة كلبس النصارى واليهود الغيار (٢) وان يشدوا الزنار في أوساطهم ومنع من عمل الفقاع ويبيع في الاسواق ، ومن أن يدخل أحد الحمام بغير منزر ، وان تكشف امرأة وجهها في طريق ، وان تمشي خلف جنازة ، وقبض على جماعة وجدوا في الحمام بلا منزر فضربوا وشهروا (٣) الى غير ذلك

فبمثل هذا استمر ، وعلى مثل ذلك جرت سيرته الى ان لحق بربه (٤) وقد بلغ من العظمة والشأن في ايامه ان دعي له بالمغرب كله وديار مصر والشام والحرمين وبعض اعمال العراق .

ولما انتهت الخلافة الى الحاكم بالله كانت مظاهره في التشيع أكثر وأعماله في سبيل اعلائه أوفر ، ومع ذلك كله فقد سمح للناس بأن يجري كل على مذهبه ، ويعمل حسب اجتهاده ، وفتح دار الحكمة

(١) الخطط « ١٥٦:٤ » .

(٢) زهر علامة أهل الذمة وغيابهم السواد .

(٣) الخطط « ١٥٧:٤ » .

(٤) وكانت وفاته في نقاعة لاربع عشر خلت من ربيع الآخر عام ٣١٥ وكان مولده بالهندية بأفريقيا في ١١ رمضان عام ٢١٩ ، وكانت مدة خلافته بالمغرب وديار مصر ٢٢ عاما و ١٠ ايام ، الخطط « ١٦٧:٢ »
واما قائده جوهر فقد امتدت حياته الى عام ٢٨١ وفيها كانت وفاته
انظر تاريخ أبي الفداء « ١٣٥:٢ » .

— كلية — بالقاهرة ورتب فيها المدرسين للفقہ واللغة والطب والتنجيم والنحو وانقراءة وغيرها ، وحملت اليها الكتب من خزائن القصور . حتى حصل فيها من الكتب في سائر العلوم ما لم ير مثله مجتمعاً ، ودخلها الناس للتحصيل ، واجرى على من فيها الارزاق السنية ، وجعل فيها كلما يحتاجون اليه من الجبر والاقلام والمحابر والورق (١) .

وهذه من محاسنه التي سجلها له التاريخ ، واضف الى ما شدد به النكير من بيع الفقاع ، ومنع النساء من اتباع الجنائز ، ومن زيارتهن للمقابر ، فلم ير في الاعياد بالمقابر امرأة واحدة ، ومنع الناس من الغناء واللهو وبيع المغنيات ، ومنع التصاري من ركوب الخيل ، وان لا يستخدموا مسلماً ولا يشتروا عبداً ولا أمة ، وتبعت آثارهم في ذلك فأسلم منهم عدة ، ومنع من تقبيل أحد له الارض ، وان لا يقبل ركابه ولا يده (٢) .

فعلى هذا ومثله انقضت ايامه وتصرفت دولته ، فكم مرة منع من سب السلف وعاقب عليه ، وكم أمر بحج ما يكتب منه على الحيطان والمساجد ، وبقطع اللوائح التي ينقش عليها من ذلك .

وفي ايامه خطب له قرواش بن المقلد بن المسيب أمير بني عقيل بأعماله كلها ، وهي الموصل ، والانبار ، والمدائن ، والكوفة ،

(١) الخطط « ١٥٨:٤ » .

(٢) الخطط « ٧٣:٤ » .

وغيرها (١) .

فعلى مثل ذلك ونظائره كانت تسير أيامهم ، وعلى تلك السنن نهج جميعهم ، وبالإشارة الى تلك الشؤون غنى عن الاطناب فيها ، اذ ليس القصد ان نستقصي احوال الدولة الفاطمية ، وانما الغرض الاقصى ان نعرف سير التشيع في أيامهم ، فمن اجرائهم للكثير من الاعمال التي ذكرنا شيئا منها قوي التشيع وتغلب على مصر ، وكاد ان يستولي عليها أجمع .

وان اظهر مصداق لهذه الكلمة الدارجة « الناس على دين ملوكهم » هي مصر ، فانها في المذهب والرأي تقلبت مع ارباب الدولة ورجال السلطة ، فقد وافقت الامويين ، وجارت العباسيين ، وتظاهرت مع الفاطميين ، واتفقت مع الايوبيين ، وهكذا تجاري الملوك ، وتسائر الامراء ، في كل آن وزمان الى الوقت الحاضر .

وان للفاطميين مظاهر في التشيع كانت من أقوى الاسباب لنشره في مصر ، - منها - يوم عاشوراء ، وان اظهر شعائر الحزن يوم العاشر من المحرم لم يكن اول من أمر به الفاطميون في مصر ، بل ان الشيعة كانت عليه ايام الاخشيديين وكافور ، انظر الخطط

(١) كما ذكر ذلك ابو الفداء « ١٤٧:٢ » : وقد فقد الحاكم ليلة السابع والعشرين من نوال عام ٤١١ ، وعمره ٣٦ ربيعا واشهرًا . وخلافته ٢٥ عاما واباما . فانه ولد عام ٣٧٥ . ونقل الخلافة وهو ابن ١١ عاما و ٥ أشهر ، و ٦ ايام ، الخطط « ٦٨:١ » وتاريخ ابي الفداء « ١٥٨:٢ » .

« ٢٩٠:٢ » وإنما اتسع نطاقه في أيامهم ، فكانت مصر في دولتهم في اليوم العاشر من المحرم تبطل البيع والشراء ، وتعطل الاسواق ، ويجتمع أهل النوح والنشيد ويطوفون بالازقة والاسواق ، ويأتون إلى مشهد كلشوم ونقيسة (١) وغيرهما وهم نائحون باكون ، ويمضون إلى الجامع الأزهر أو إلى دار الخليفة ، ولربما حضر الخليفة وهو حاف وعليه شعار الحزن ، فيقرأ مقتل الحسين عليه السلام ، ثم ينشد الشعراء ما قالوه في الحسين وأهل البيت عليهم السلام إلى أن ينتصف النهار فيدعى الناس إلى مائدة الخليفة ، ولا تكون المائدة كموائد الأعياد ، من فرش أحسن البسط واختيار أنفس الأطعمة وتوفر الألوان ، وغير ذلك من مظاهر الملوكية وإبهة السلطنة ، بل تفرش الحصر ، ويمد سباط الحزن ، ويغير لون الخبز عمداً ، ويجعلون على السباط ألباناً ساذجة وجبناً وعسلاً وأمثال ذلك ، ثم يخرجون بعد تناول الطعام على تلك الهيئة التي كانوا عليها من النوح والبكاء ، ويستمر الحال إلى ما بعد العصر (٢) .

ومنها يوم الغدير ، وهو اليوم الثامن عشر من شهر ذي الحجة ،

(١) قال ابن خلكان : هي ابنة الحسن بن زيد بن الحسن بن علي عليهما السلام ، زوجة اسحاق بن جعفر الصادق عليه السلام ، دخلت مع زوجها إلى مصر ، وقيل مع أبيها ، وكانت من النساء الصالحات التقيات ، ويروى أن الشافعي لما دخل مصر حضر إليها وسمع منها الحديث ، وكان المصريين فيها اعتقاد عظيم . وهو إلى الآن يساق كما كان وكانت وفاتها في شهر رمضان عام ٢٠٨ . وقبرها معروف بإجابة الدعاء عنده وهو مجرب رضي الله عنها .

(٢) انظر الخطط « ٢٨٩:٢ - ٢٩١ » .

الذي أقام فيه الرسول صلى الله عليه وآله علياً خليفة من بعده واماماً وهادياً ، والبويهيون في العراق قد سبقوا الفاطميين الى تأييد هذا اليوم واقامته عيداً يظهر فيه مراسيم الزينة .

ولو أردنا ان نسطر جميع ما كان يصنعه الفاطميون في هذا اليوم لخرجنا عن خطة الكتاب غير اننا نوجز البيان عنه .

يخرج الخليفة في هذا اليوم على احسن بزة واجمل هيئة ، وقد أعد لأكابر الدولة والقضاة وعامة الناس مجلس قد فرش بأفخر البسط ، ونصب فيه منبر فيجلس عليه القاضي والعلماء حوله ومن بعدهم الامراء والاجناد ثم عامة الناس ، ويجلس الخليفة في محل يشرف على المجلس ، ثم يصعد الخطيب فيتلوا خطبة النبي (ص) التي خطبها ذلك اليوم ، ويذكر اصعاد امير المؤمنين اليه ، ويصف تلك الحال وما قاله النبي (ص) في حقه ، فاذا نزل القاضي صلى بالناس ركعتين ، ثم يجرون مراسيم التهنائي من التصافح وغيره .

وفي هذا اليوم يزوجون الايامى ، وينعمون على الفقراء والمساكين ، ويفرقون الهبات على كبراء الدولة والامراء والرؤساء والضيوف والاساتذة والمدرسين وغيرهم ، وينحرون ويعتقون الرقاب ، الى امثال ذلك من اعظام هذا اليوم ، واجراء مراسيم التهنائي ، وتوفير الصلات والهبات ، وعلى مثل ذلك يجري الوزراء وأكابر الدولة (١) فينفق الخليفة في هذا اليوم ما لا يحصى من الاموال ، ومثله الوزراء وكبراء الدولة .

(١) الخطوط « ٢٢٢:٢ » و ٣٨٩ .

ومنهم انهم كانوا يجمعون ايام مولد النبي وعلي والزهراء
والحسنين عليهم السلام اعياداً ومواسم جلية ، ينفقون فيها الاموال
الجسيمة ، ويظهرون فيها الجذل والبشر ، ويعمل الناس مثل عملهم من
الاطعام وصنع الحلوى وغير ذلك من اظهار شعائر الاعياد .

ومنهم ، انهم نصبوا فقهاء يعلمون الناس فقه أهل البيت ، وأجروا
لهم رواتب ومخصصات سنية ، وانفقوا على المتعلمين والحضور لاستماع
الحديث الاموال الجلية .

فبهذا ومثله جعلوا التشيع يسير في مصر ويستولي على البلاد ،
ويكون مذهب اهل البيت المذهب المعروف بين عامة الناس .

وان المشهور بين أرباب السيرة والتاريخ - ولم تتحققه - ان
الفاطميين كانوا اسماعيلية في المذهب والرأي ، وصاروا على مذهب
الامامية ايام الوزير ابي علي الافضل بن أمير الجيوش بدر الجمالي
الامامي المذهب في دولة الحافظ لدين الله ، ولما قتل الوزير عام ٥٢٦
عاد المذهب اسماعيليا ، وكيف ، كان فان المذهب الامامي في دولتهم
كان ينتشر ويسرع في سيره ، من دون ان يجد عثرة في سبيله ، او
يشاهد حاجزا دون قصده .

ولو اردنا ان نقيم الادلة على انتحالهم المذهب الاثني عشري لكان
لنا متسع من القول ، كما ان الزعم بانهم اسماعيليون مذهباً قد يكون
له وجه من التاريخ ، غير ان آثارهم في الامامية أظهر .

الشيعة والايوبيون بمصر

كان التشيع مخيما على القاهرة ، وضاربا اطنابه في القرى والبلدان الى ان قوي صلاح الدين يوسف الايوبي ، وبلغ من الشأن ان استوزره العاضد لدين الله الفاطمي ، فكان جزاؤه منه حينما عرف من نفسه القوة والغلبة ان حجر على العاضد ومنعه من الخروج واستلب جميع ما لديه من الصفايا والاموال حتى لم يبق عنده الا فرسا واحدا ، وبعد ذلك استلبه منه ، ثم شرع في قلب الدولة والدعوة للمستنصر بأمر الله العباسي ببغداد ، فساعدته الطالع على ما أراد ، فدعا للعباسي والفاطمي مسجى على فراش المرض فلم يعلم بالحال حتى جاءه الموت (١) ولما عهدت للايوبي قواعد الدولة أوقع بالامراء والجند ، وأنشأ بمدينة مصر مدرسة للفقهاء الشافعية ، ولخرى للمالكية ، وصرف قضاة الشيعة كلهم ، وفوض القضاء لصدر الدين عبد الملك بن درباس المارتي الشافعي ، فلم يستتب عنه في اقليم مصر الا من كان شافعي المذهب (٢) فتظاهر الناس من ذلك اليوم بما كان عليه هوى الملك ،

(١) وذلك عام ٥٦٧ الخطط « ٣٧٩:٢ » وابن الاثير وغيرهما .

(٢) وقال ابن الاثير في حوادث عام ٥٦٦ « ١٣٧:١١ » : وعزل قضاة المصريين وكانوا شيعة واقام قاضيا شافعييا في مصر فاستناب الشافعية في جميع مصر في العشرين من جمادى الآخرة .

وكيف لا يختفي مذهب اهل البيت والايوبي يستقدم العلماء الذين
 عنى رأيه ، وبنى المدارس ويخصص لها الرواتب ، ويحمل الناس على
 عقيدة الاشعري ، ومن خالف ضربت عنقه ، وساعد على ذلك ان
 السلطان نور الدين محمود بن عماد الدين زنكي تعصب فشر مذهب
 ابي حنيفة في بلاد الشام ، فما زال من ذلك الوقت تنتشر مذاهبهم
 وتقوى ، وتزداد فقهاؤهم ، وتكثر بمصر والشام ، وجروا على ذلك
 في جميع البلاد ، التي لهم عليها سلطان ، وعودي من تذهب بغيرها
 وانكر عليه . ولم يول قاض . ولا قبلت شهادة احد . ولا قدم
 للخطابة والامامة والتدريس انسان ما لم يكن مقلدا لاحد المذاهب
 الاربعة . وافتى فقهاؤهم في طول مدة الايوبيين وبعدهم بوجوب اتباع
 هذه المذاهب وتحريم ما عداها (١) .

وما قنع ايوبي بما ارتكبه من الفاطميين ومذهب اهل البيت حتى
 ناصب العداء للبيت الطاهر نفسه . فقابل الشيعة والفاطميين
 بالعكس مما كانوا يعملونه يوم عاشوراء . قال المقرئ « ٣٨٥:٢ » :
 كان الفاطميون يتخذون يوم عاشوراء يوم حزن تتعطل فيه الاسواق
 ويعمل فيه السماط العظيم المسمى سماط الحزن . وكان يصل الى الناس
 منه شيء كثير . فلما زالت الدولة اتخذ الملوك من بني ايوب يوم
 عاشوراء يوم سرور يوسعون فيه على عيالهم ويتبسطون في المطاعم .
 ويصنعون الحلوات . ويتخذون الاواني الجديدة . ويدخلون الحمام
 جريا على عادة اهل الشام . التي سنها لهم الحجاج امام عبد الملك بن

(١) انظر الخطط « ١٦١:٤ » .

مروان . ليرغموا بذلك آتشاف شيعة علي بن ابي طالب الذين يتخذون يوم عاشوراء يوم عزاء وحزن على الحسين بن علي . لانه قتل فيه . وقد ادركنا بقايا مما عمله بنو ايوب من اتخاذ يوم عاشوراء يوم سرور وتبسط .

لا أدري اذا كان الايوبيون أعداء بني فاطمة فهل ساغ لهم ان يعادوا الرسول وأهل بيته ولماذا صنعوا يوم مقتل الحسين عيداً وقد بكاه الرسول وحزن عليه قبل ذلك اليوم بعشرات السنين والحسين في الاحياء . وان الاغرب ان يطري الايوبي ويكال له المدح جزافا وهو صاحب يوم عاشوراء . فانا لله وانا اليه راجعون .

مصر والتشيع اليوم :

بتلك الاعمال القاسية ودوامها عهداً طويلاً نسي التشيع من مصر . وانمحي اثره . غير ان فيها اليوم ثمة من الشيعة . وهم بين مهاجر اليها وحديث عهد بالتشيع . وان عامة المصريين يميلون لاهل البيت . غير انهم لا يجدون من يعرفهم حقيقة هذا البيت الطاهر . ويفصح لهم عن منازلهم من الله ورسوله صلى الله عليه وآله . ولهم مظاهر بالحب والميل كشيد الشاهد المنسوبة لاهل البيت كمشهد رأس الحسن عليه السلام (١) ومشهد السيدة

(١) قال المقرئ « ٤٨٣:٢ » ان الافضل بن امير الجيوش لما ملك القدس ودخل عسقلان وكان بها مكان دارس فيه رأس الحسين بن علي فأخرجه وعطره وحمل في سبط الى اجل دار بها وعمر المشهد ، فلما تكامل حمل الافضل الرأس الشريف على صدره وسعى به ماشياً الى ان احله في مقره ، وكان حمل الرأس من عسقلان الى القاهرة =

زينب (١) وغيرهما . وكأقبالهم على التقيل والابتغال والتضرع الى الله تعالى في قضاء الحوائج عند تلك المشاهد . ولربما يخرجون في ليالي الجمع وهم يحملون الاعلام السود وبأيديهم السلاسل الحديدية يضربون بها ظهورهم كما تصنع الشيعة عند اظهار شعائر الحزن على اهل البيت . ويذهبون على هاتيك الحال التي هي مظهر الشجي والحزن الى قبر السيدة زينب . الى ما سوى ذلك من أمثال هذه الشعائر والمظاهر التي تدلنا على شدة ميلهم الى العترة الطاهرة (٢) .

= يوم الاحد ثامن جمادى الآخرة سنة ٥٤٨ هـ ، ويذكر ان هذا الرأس الشريف لما اخرج من المشهد بعثقلان وجد دمه لم يجف ، وله ريح كريخ المسك ، وقال : وكانوا ينحرون يوم عاشوراء عند القبر الابل والبقر والغنم . ويكثرزون النوح والبكاء ويسبون من قتل الحسين ، ولم يزالوا على ذلك حتى زالت دولتهم ، ثم ذكر له بعض البركات المشاهدة المرئية .

وقال ابن بطوطة في رحلته « ٢١٠١ » : ومن المزارات الشريفة المشهد المقدس العظيم الشأن حيث رأس الحسين بن علي عليهما السلام وعليه رباط ضخيم عجيب البناء ، على ابوابه حلق الفضة وصنائعها ايضا كذلك ، وهو مرفى الحق من الاجلال والتعظيم ، وقال ص ٣٤ عند ذكر القدس الشريف : وبها المشهد الشهير حيث كان رأس الحسين بن علي عليهما السلام قبل ان ينقل الى القاهرة . أقول وهو الى اليوم عظيم البناء لا يقصر عن كثير من مشاهد اهل البيت في العراق عدا مشاهد الائمة المعصومين عليهم السلام .

(١) ذكر ابن جبير في رحلته مشاهد كثيرة في مصر لاهل البيت ، ومنها مشهد زينب ابنة يحيى بن زيد بن علي بن الحسين عليهما السلام ، وقد بلغني ان له كرامات باهرة مشهورة .

(٢) حكى لي من شاهد واعظ في احد المشهدين رأس الحسين او السيدة زينب وحوله جماعة صاغين لحدثه مرتاحين به وهو يبرد عليهم الاحاديث في المهدي وظهوره عجل الله فرجه وسهل مخرجه .

ولكن هناك اليوم فئة من أرباب الاقلام وحملة الثقافة الحديثة تنقم على هؤلاء المساكين هذا الولاء لآل الرسول (ص) وهذه المظاهر التي ترشد الى الحب والتوجع على ما أصابهم ، جريا على ما جبلت عليه غرائزهم . فكأنما ولاء آل الله والحزن على ما نابهم من الوحشية النافرة والشناعة الممقوتة .

وهذه الفئة هي التي تحمل رايات العداء للشيعة . وتلصق بهم كل عيب وتنسب لهم ما ليس من مذهبهم ولا من عقيدتهم البتة . من دون ان تستند في ذلك الى ركن وثيق من كتب الشيعة الامامية التي دخلت كل مصر وانتشرت في كل قطر . وانما تعتمد على كسب السلف مما جاهر بهدء الشيعة . وهل يصلح ذلك عذراً لها وكسب الشيعة منشورة بين الناس عامة ، ولو كانت تلك الفئة تخلص للمجتمع وتكتب بحسن نية لرجع احمد أمين عما سوده من صحائف في نبذ الشيعة في كتابه « فجر الاسلام » وقد وعد بأن يبيض ما سود يوم زار النجف الاشرف واعترف بذنبه ، وكنا نتظر بفارغ الصبر ان يقرن بعين القول والعمل ، فلما مثل للطبع الجزء الاول من كتابه « ضحى الاسلام » وحمله البريد الى العراق ووقفنا على ما حرره فيه وجدناه قد ذر الملح على الجرح ، وزاد في تسويد صحائفه الاول التي جاء بها كتابه فجر الاسلام ، فكأنما لم يزد الووقوف على الحق الا بعداً عنه ، والاعتراف بالخطأ الا اصراراً عليه .

نسأله تعالى ان يوفق للهدى من أحب الهداية وآثر البصر على العمى انه سميع مجيب .

الشيعة في ايران

كانت فارس بعدما فتحها المسلمون تنهافت على اعتناق الاسلام،
فما تم فتحها الا واصبحت من الاقطار الاسلامية ، وكانت بدء اسلامها
لا تعرف التشيع بل حتى ايام امير المؤمنين عليه السلام ، فان التاريخ
لم يذكر انهم اشتركوا في حروبه الثلاثة ، على انه دعا عماله لنصرته ،
كما لم يذكر انهم اظهروا ولاءه في عهده ، وهكذا الحال ايام نهضة
الحسن عليه السلام وامارته تلك الليالي القليلة ، بل لم يذكر ان أحداً
منهم كان مع الحسين عليه السلام يوم الطف سوى غلام تركي ، وهذا
كان غلاماً للحسين عليه السلام ولم يكن جاء لنصرته ، على انهم ذلك
العهد كانوا منبئين في الحجاز والمراق .

نعم ان التشيع كان يساير الاسلام كتفأ لكتف ، ويدخل معه
حيث دخل جنباً لجنب ، غير انه ربما أبطأ سيره في بعض البلاد ، كما
هو في فارس أول عهده ، وانما ظهر التشيع فيها بعد القرن الاول من
الهجرة ، ايام الباقر والصادق عليهما السلام ودولة بني امية فقد كان
لهما شيعة في فارس يكتبون اليهما بالمسائل ، ويحملون اليهما حقوق
الاموال ، واول ما ظهر بغراسان ، وهم الحجر الاساني لصرح الملك

العباسي ، وبعد أن تغلب بنو العباس على البلاد كان أكثرهم شيعة لهم ، فإن التشيع أول بزوغه لم يكن الا موالاة علي وأهل البيت ، وكانوا لا يرون اهل البيت الا بني هاشم ، فلا يعرفون فرقا بين علوي وعباسي ، وما اتضح الفرق ، وعرف الناس من هو المقصود من أهل البيت « الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا » والذين هم أحد الثقلين ، ومن أمر النبي (ص) بوجوب التمسك بعروثهم والركوب في سفينتهم ، الا بعد زمان مضى من دولة بني العباس ، ولا يعرف يومئذ حقيقة الموالاة ومن هم اهل البيت الا اهل البصائر والخواص من أرباب الولاء .

نعم ان هناك فرقا جليا بين فريقين - اشباع بني امية - و - أشباع بني هاشم - فكان جل فارس تبغض الامويين وتوالي الهاشميين ، بعدما لمسوا من بني امية وولاتهم سوء السيرة والسرية ، وشاهدوا الاعمال المنكرة التي بعث الرسول (ص) لازالتها من على البسيطة ، واستئصال شأفتها من جسم المجتمع البشري ، وما كانت نهضتهم مع يحيى بن زيد لانه حسيني علوي فحسب ، بل لانه هاشمي يناهض البيت الاموي . اللهم الا عند نفر قلائل . لان عامة فارس يوم ذاك تجهل معرفة أهل البيت على الوجه الاكمل . وما ظهر التشيع بمعناه الخاص الا بعد مجيء ابي الحسن الرضا عليه السلام الى ايران . وكان المأمون غير مدافع لأرباب الولاء عن حضورهم لديه وتهافتهم عليه . فكان الوصول اليه والاجتماع به ومناظرة العلماء له في فنون العلم بأمر المأمون وفلج الناظرين وانقطاع حججهم ، وظهور كراماته ، ومشاهدة فضائله ، يلفت ذوي البصائر الى أحقيته بالامر ، وانه وآبائه

معدن العلم النبوي ، وخزان الوحي ، والأئمة حقاً ، ففي إمامه ارتفع
نار التشيع في قم ، وقضت دوراً مهماً وهي تحتوي على جهابذة
العلماء وثقات الرواة .

على أن الإمام عليه السلام لم تزد أقامته في خراسان على السنتين
فظهرت له مع قصر المدة من الفضائل ما أرغمت الناس على الاعتقاد
بإمامته ، فلما وقف المأمون على ما عرفه الناس من فضل أبي الحسن
عليه السلام خشي أن يظهر أمره فيصبح والناس من حوله هاتفة بإمامته،
فدبر الأمر باغتياله بالسم ، فكان ما دبر وأراد .

فمن ذلك اليوم أخذ التشيع يسير وينتشر ، ولكنك خير بما
كان عليه العباسيون من الحرب لبني علي عليهم السلام وشيعتهم ، فكانت
سيرتهم تلك حجر عثرة في طريقه أحياناً .

وقد تكونت من الشيعة دول وإمارات في فارس أخذت ييده
وعاضدته ، وبنت على أسسه الثابتة ، وأقامت أركانه . أمثال الإمارة
الطاهرية ، والدولة العلوية . والسلطة البويهية ، والحكومة المفلوية .
وغيرها .

الامارة الطاهرية في هرات

مؤسس هذه الامارة ، ورأس هذه الاسرة ، واليه تنتسب ، هو القائد طاهر بن الحسين الخزاعي ، ولاء المأمون هرات وقاعدتها خراسان عام ٢٠٥ ، وكان ذلك بعدما فتح له بغداد ، وقتل الامين ، واستقرت البلاد للمأمون ، ورجع الى عاصمة ملكهم بغداد .

وتولى هرات من الطاهرية عدة امراء ، وهم طلحة وعبد الله ابنا طاهر ، وطاهر بن عبد الله بن طاهر ، ومحمد بن طاهر ، وفي ايامه ضعفت امارتهم ، فاستولى عليه يعقوب بن ليث الصفار حين حاربه ، فقبض عليه وعلى أهل بيته ، وانقرضت امارتهم بقبضه عام ٢٥٩ ، وكان يتولى بعض اعمال هذه الولاية منهم بعض الامراء كعبد الله بن طاهر بن عبد الله بن طاهر ، وسليمان بن عبد الله وغيرهما .

قال ابن الاثير في حوادث عام ٢٥٠ « ٤٠:٧ » في الحرب التي وقعت بين الحسن بن زيد العلوي الذي ظهر بالديلم ، وبين سليمان بن عبد الله الطاهري . ولما نشبت الحرب بينهم سار بعض قواد الحسن نحو سارية فدخلها ، فلما سمع سليمان الخبر انهزم هو ومن

معه ، وترك اهله وعياله وثقله وكل ماله بسارية ، واستولى الحسن
ونصحابه على ذلك جميعه ، الى ان قال : وقيل ان سليمان انهزم
اختياراً ، لان الطاهرية كلها كانت تشيع ، فلما اقبل الحسن بن زيد
الى طبرستان تأثم سليمان من قتاله لشدة في التشيع ، وقال :

نبئت خيل ابن زيد أقبلت حيناً

تريدنا لتحسينا الامرينا

يا قوم ان كانت الانباء صادقة

فالويل لي وجميع الطاهرينا

اما انا فاذا اصطفيت كئيبنا

أكون من بينهم رأس الموليننا

فالمذر عند رسول الله منبسط

إذا احتسبت دماء الفاطميننا

واخبار الطاهرية ملء كتب التاريخ ، وشأنهم في البسالة لا يجهل

ويسير التشيع في ركابهم أينما ساروا .

الدولة الطوية في الديلم : الحسن بن زيد :

ولي الامر في الديلم اربعة من العلويين ، أولهم الحسن بن زيد ،

وكان بالري فشحص الى الديلم بدعوة من أهلها ، فانفقت كلمة الديلم

واهل كلاروشالوس والرويان على بيعته ، فبايعوه كلهم ، وطردوا

عمال ابن اوس : فلاحوا بسليمان بن عبد الله الطاهري ، وانضم الى الحسن جبال طبرستان كأصفان وقادشان ، وانضم اليه ليث بن قتادة وجماعة من أهل السفح ، ثم استولى على آمد وكثر جمعه بعد استيلائه عليها ، وكانت له مع الطاهريين عدة حروب ، فتارة تكون له الغلبة عليهم ، واخرى لهم عليه ، ومرة يتغلبون على طبرستان ، واخرى يسلبها منهم ، ولقد استفحل امره حتى ملك الري وجرجان (١) .

ولما ضعفت اماره محمد بن طاهر الطاهري وتغلب عليه يعقوب ابن ليث الصفار قويت شوكة العلوي ، ولكن يعقوب لم يشأ ان يقر العلوي على ما تحت يده من البلاد ، فجهز جيشاً لقتال العلوي عام ٢٦٠ فانهزم العلوي ولحق بالديلم واستولى يعقوب على آمد وسارية ، وسار لطلب العلوي فتعلق بجبال طبرستان ، واعترضت يعقوب الامطار والاحوال فلم يخلص الا بمشقة وفي عام ٢٦١ رجع العلوي واستولى على طبرستان ، واستمر مستولياً على هذه البلاد الى ان وافاه الاجل المحتوم في رجب عام ٢٧٠ ، وكانت ولايته ١٩ عاماً وثمانية اشهر وستة ايام (٢) .

محمد بن زيد العلوي :

ولما قضى الحسن قام من بعده اخوه محمد ، وكانت ايامه كلها

(١) انظر كامل ابن الاثير في حوادث عام ٢٥٠ « ٤٠:٧ » وحوادث عام ٢٥١

ص ٥٣ ، وعام ٢٥٢ ص ٥٧ وعام ٢٥٥ ص ٦٦ وعام ٢٥٧ ص ٨٢ .

(٢) ابن الاثير « ١٣٦:٧ » .

حروبا ووقائع ، فتارة مع الصفارية ، واخرى مع اسماعيل بن احمد الساماني ، فأصابته جراحات في معركة هائلة كانت بينه وبين محمد بن هارون الذي تولى حربه من قبل اسماعيل ، وأسر ابنه زيد ، ثم مات محمد بن زيد بعد ايام من جراحاته عام ٢٨٧ (١) .

ومحمد هذا - وقيل اخوه الحسن - هو الذي بعث بالاموال الكثيرة لتشيد المرقدين الطاهرين العلوي والحسيني ، كما اشرفا الى ذلك في الكلام على النجف وكربلاء .

الحسن بن علي الاطروش :

ولما توفي محمد بن زيد دخل الديلم الحسن بن علي بن الحسن بن عمر بن علي بن الحسين عليهما السلام ، المعروف بالاطروش ، واقام فيهم ثلاث عشرة سنة يدعوهم الى الاسلام فأسلم منهم خلق كثير واجتمعوا عليه ، وبنى في بلادهم المساجد ، وأسلم على يده من الديلم الذين هم وراء سعيد روز الى ناحية آمد . وهم يذهبون مذهبهم الشيعة . وكان سبب صممه انه ضرب على رأسه بسيف في حرب

(١) ابن الاثير « ١٦٦:٧ » وقال : وقبل حضر عنده خصمان احدهما اسمه معاوية والاخر اسمه علي : فقال : الحكم بينكما ظاهر ، فقال معاوية : ان تحت هذين الاسمين خبرا فقال محمد : وما هو ، قال : ان ابي كان من صادقي الشيعة فسماني معاوية ليكفيني شر النواصب ، وان ابا هذا كان ناصبيا فسماه علياً خوفا من العلوية الشيعة ، فتبسم اليه محمد واحسن اليه وقربه .

مسجد بن زيد فطرس (١).

وكانت طبرستان يومئذ تحت سلطة الساماني فأراد العلوي الاستيلاء عليها . وبعد حرب جرت بينه وبين واليها من قبل الساماني ظفر العلوي بالجند واستولى على طبرستان . وتسمى بالناصر . ثم زحف اليه جنود الساماني من خراسان عام ٣٠٤ فقتلوه .

الحسن بن القاسم الداعي :

ثم قام من بعده صهره الحسن بن القاسم العلوي ويعرف بالداعي ، فاستولى على الري وأخرج منها أصحاب الساماني . ثم استولى على قزوین وزنجان وأبهر وقم . وظهر في أيامه أسفار بن شيويه الديلمي وعظم أمره وقويت شوكته . فاستولى على طبرستان . وكان الداعي بالري . فلما بلغه خبر أسفار عاد ووقعت بينهما حرب دامية قتل فيها العلوي الداعي . وذلك عام ٣١٦ وكان انهزام معظم أصحابه على تعمد منهم للهزيمة ، وسبب ذلك أنه كان يأمر أصحابه بالاستقامة ومنعهم من ظلم الرعية ! وشرب الخمر ! وكانوا يفضونه لذلك ! وكان عزمهم أن يقبضوا على الحسن الداعي وينصبوا أبا الحسين ابن الأطروش ويخطبوا له ! ولما علم بذلك قتل من أراد هذه الواقعة منهم .

وأحسن أسفار بأن عامله هارون بن بهرام يريد الدعوة لأبي جعفر العلوي ، فدعاه إليه وأمره أن يتزوج إلى أحد أعيان آمد ، ويحضر

(١) ابن الأثير « ٢٦: ٨ - ٢٧ » .

عرسه ابا جعفر وغيره من رؤساء العلويين ، وضرب له يوماً خاصاً ،
ففعل ذلك ، فوافي اسفار الى آمد وقت الموعد وهجم على حين غفلة
على دار هارون وقبض على ابي جعفر وغيره من اعيان العلويين وحملهم
الى بخاري واعتقلهم بها ، الى ان خلصوا ايام فتنة ابي زكريا (١)
وتلاشى امر العلوية بالديلم وطبرستان .

فكان بهذه الدولة العلوية للتشيع سمو ورفعة ، ونمو واتسار .

الشيعة والبويهيون في ايران (*) :

كان ابتداء سلطان آل بويه في شيراز ثم سرى تفوذهم الى
ايران والعراق ، بل والى جميع بلاد بني العباس ، وكانوا أرباب التدبير
في جميع المملكة على عهد دولتهم ، وليس للخليفة العباسي الا
مراسيم الخلافة ، وهذا معلوم الشأن ، لا يلجعله من سبر
شيئا من التاريخ .

(١) ابن الاثير « ٥٩٠:٨ » .

(*) آل بويه من الديلم وتنتهي سلسلتهم النسبية الى الملوك الكسروية ،
وكان ابتداء ملكهم في شيراز عام ٣٢١ وانتهاءه عام ٤٤٧ ، واول من
ملك منهم الاخوة الثلاثة ، عماد الدولة علي بن بويه ، وكانت وفاته
عام ٣٣٨ ، ومعه الدولة احمد بن بويه وكانت وفاته عام ٣٥٦ ، وركن
الدولة الحسن بن بويه ، وكانت وفاته عام ٣٦٦ ، وآخر ملوكهم الملك
الرحيم ، ويقال : ان قبيلة « خاقان » في العراق تنتمي اليهم .
قد يحسب القارئ أننا نريد البحث عن حال البويهيين والشيعة
في ايران خاصة كما يقتضيه العنوان ، ولكننا عممنا البحث وذكرنا
العراق وغيره لعموم سلطان آل بويه ، وما خصصنا العنوان في ايران
الا لان البحث عنها .

وكان التسنن في عهدهم يغلب على أكثر البلاد من فارس والعراق ، وهم على ظهورهم في التشيع لم يحاربوا التسنن ، كما فعل الكثير من ملوك أهل السنة مع الشيعة ، ومع قوة شوكتهم وغلبتهم على الخلافة والبلاد أحسنوا السيرة مع الرعية ، ولم يتعصبوا للشيعة على السنة ، بل وقعت في أيامهم حوادث بين الشيعة والسنة كان التحريش فيها من السنة ولم يراعوا في ذلك السلطان ، ولم يباؤا بسطوته ، ولكنهم لم يوقعوا بأهل السنة انتصارا للشيعة .

ولم سبرت تاريخ ابن الاثير والمنتظم ما بعد عام ٤٤٠ لعرفت تأثير تلك الحوادث على راحة البلاد والسلطان يومئذ لآل بويه ، وهم أهل الحول والطول .

طبع آل بويه على خدمة المذهب ، شأن الملوك والامراء ذلك العهد اذا تمذهبوا بمذهب ، فانهم ينتصرون لما اتحلوه جهدهم ، وقدر ما تصل اليه معارفهم ومداركهم ، فكانت أيام آل بويه كلها أيام سعي وترويج لمذهب اهل البيت ، فتجدهم يسلكون كل سبيل لنصرته ، واعلاء شأن العترة النبوية .

كانوا في اليوم الثامن عشر من ذي الحجة ، وهو يوم غدیر خم ، الذي رقى فيه رسول الله صلى الله عليه وآله منبراً صنعهُ المسلمون له من حدوج الابل ، وخطب عليه مبنياً فضل أهل بيته وفضل المرتضى الى آخر ما قاله وهو يخطب : ألسنت أولى بكم من أنفسكم ، فقال المسلمون : بلى ، فلما أخذ الاقرار منهم بذلك ، قال : من كنت مولاه فهذا علي مولاه ، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه .

هذا بعض ما قاله الرسول (ص) في شأن ابي الحسن عليه السلام ، فكانت الشيعة ترى هذا اليوم عيداً من أجل الاعياد ، لان الرسول (ص) نصب فيه المرتضى للناس من بعده اماماً وخليفةً وأولى بالناس من أنفسهم ، فكان ملوك الشيعة أجدر باحترام هذا اليوم واعظامه ، فالبويهون اعظموا هذا اليوم مجاهرين في تقديسه، وصنعوا فيه ما لا يصنعون في عيد سواه ، من اظهار الفرح والجذل ، ولبس أفخر الثياب ، والتأثق في المطاعم ، وبسط الموائد وعليها اطيب الاطعمة للرائح والغاد ، واكثر الانفاق والاعطاء ، الى ما سوى ذلك ما يدعو اليه ولاؤهم للمرتضى وتبجيل هذا اليوم واعزازه . وتبعهم على ذلك ملوك الشيعة وامراؤهم في كل قطر ، ومنهم الفاطميون في مصر .

وبشهد لما كان عليه الشيعة من تظاهرهم بالجذل هذا اليوم واتخاذهم عيداً ما قاله ابن الاثير في حوادث عام ٣٠٨ « ٥٤:٩ » وفيها عمل أهل باب البصرة - محلة ببغداد - يوم السادس والعشرين من ذي الحجة زينة عظيمة وفرحاً كثيراً ، وكذلك عملوا ثامن عشر المحرم مثلما يعمل الشيعة عاشوراء ، وسبب ذلك ان الشيعة بالكرخ (١) كانوا ينصبون القباب ، وتعلق الثياب للزينة في اليوم الثامن عشر من ذي الحجة وهو يوم الغدير ، وكانوا يعملون يوم عاشوراء من المآتم والنوح واظهار الحزن ما هو مشهور ، فعمل أهل باب البصرة في مقابل ذلك بعد يوم الغدير بشمانية ايام مثلهم ، وقالوا : هو يوم

(١) كانت الكرخ محلة واسعة ببغداد في الجانب الغربي محاطة بسور واهلها كلهم شيعة ليس فيها من غيرهم احد البتة ، كما يقوله ياقوت في المعجم ، وسمي الجانب كله بعد ذاك باسمها .

دخل النبي صلى الله عليه وآله وأبو بكر الفار ، وعملوا بعد عاشوراء
ثمانية أيام مثلما يعملون يوم عاشوراء ، وقالوا : هو يوم قتل مصعب
ابن الزبير (١) .

وكانت الشيعة كما يقول ابن الاثير : يعملون يوم عاشوراء من
الأمم والنوح واطهار الحزن ما هو مشهور ، ولكن آل بويه عموه
على البلاد كلها وما قصره على الشيعة فحسب ، فان معز الدولة
احمد بن بويه امر الناس في العاشر من المحرم ان يلقوا دكاكينهم
ويطلوا الاسواق والبيع والشراء ، وأن يظهروا النياحة ويلبسوا
ثياباً عملوها بالمسوخ ، ففعل الناس ذلك ، انظر ابن الاثير في حوادث
عام ٢٥٢ .

فكيف ترى شأن هذا اليوم والملوك من آل بويه تتخذة يوم
حزن ونياحة وتأمر الناس بذلك ، وكيف لا تقوى الشيعة على
الاستمرار على تلك الشعائر والملوك وتأخذ بأيديهم .

(١) أي باس على الشيعة اذا كان يوم الفار يوم عيد ، ويوم قتل مصعب
يوم حزن ، وكيف يكون ذلك مقابلاً ليوم عاشوراء ، اليس يوم الفدير
يوماً شهدته من المسلمين ما يزيد على مائة ألف وهنأوا علياً بتلك
الولاية حتى أبو بكر وعمر فقالا له بخ بخ لك أصبحت مولانا ومولى
كل مؤمن ومؤمنة ، فوجب ان يشترك المسلمون كلهم في سرور هذا
اليوم، واما يوم الحسين فحقيق ان يحزن له المسلمون اجمع، اليس
الحسين سبط الرسول وريحانه وخامس اصحاب الكساء ومن اهل
البيت الذين اذهب الله عنهم الرجس وسيد شباب اهل الجنة ،
وكانت حادثته حادثة موحدة لم يقع مثلها في الدهر ، وكفى باعشا على
الحزن والبكاء عليه ان نواسي الرسول (ص) ونمثل امره ، فقد بكاه
وحزن عليه ، وامر بذلك قبل ان يقع رزؤه بعشرات السنين .

وكان هذان اليومان مظهرا شيعيا ومن ثم يؤيدهما ملوك الشيعة ،
ويخالفهما اهل السنة وجعلوا يومين يحاولون ان يقابلوا الشيعة فيهما ،
وان حق ان لا يخالفوا الشيعة فيهما ، كما ان يومي الخلاف لا يصلحان
للخلاف ، ولذا تجد السنة اليوم يشتركون في كثير من مظاهر الحزن
في اليوم العاشر مع الشيعة ، بعد نسيان تلك المقابلات الدمية المسببة
عن التعصب الاعمى .

وما اقتصر آل بويه على خدمة المذهب بمظاهر السرور يوم
الغدير وشعائر الحزن يوم العاشر من المحرم فحسب ، بل كانوا يبذلون
جهدهم في خدمة اهل البيت من شتى الوسائل ، فكانوا يحترمون علماء
الشيعة بجميع طرق الاحترام من التبجيل والعناية وبذل الاموال
الكثيرة ، حتى ان عضد الدولة كان يركب في موكبه العظيم لزيارة
الشيخ الفيد محمد بن محمد بن النعمان طاب ثراه ، وحتى قال ابن
الاثير في حوادث عام ٣٧٢ « ٨:٩ » وكان - أي عضد الدولة - محبا
للعلوم واهلها ، مقربا لهم ، محسنا اليهم ، وكان يجلس معهم يعارضهم
في المسائل (١) فقصده العلماء من كل بلد وصنفوا له الكتب ، منها
الايضاح في النحو ، والحجة في القراءات ، والملكي في انطب ، والتاجي

(١) واهل قصده وهو الاعمى تنشط الحركة العلمية ، وحمل طلبية
العلوم على الجهد والتحصيل ، وتكثر اربابها ، ومن ثم كان مقصدا
لرجال العلم ، واهلا لان تؤلف باسمه الكتب ، وفي ذيل كتاب التمهيد
للباقلائي في ترجمته ص ٢٤٦ قال ابو عبد الله وغيره كان عضد الدولة
فناخسرو بن بويه الدلمي يحب العلم والعلماء وكان مجلسه يحتوي
منهم على عدد عظيم في كل فن واكثرهم الفقهاء والمتكلمون وكان يعقد
لهم مجالس المناظرة .

في التاريخ ، الى غير ذلك .

وكلام ابن الاثير هذا يشهد بحبه لعامة اهل العلم لا الشيعة خاصة ، وهذا يرشدنا الى ما قلناه عن آل بويه اولا من انهم لم يعارضوا مذاهب اهل السنة ، بل انه دليل على تأييده للعلم من كل مذهب .

وأسكنوا الشيعة في المشاهد المقدسة وخصصوا لهم الرواتب ، واجزلوا لهم العطاء ، فان تلك المشاهد اذا سكنت خف لها القاصدون ، وسهل على الزائرين الاقامة فيها .

وأقاموا الابنية الضخمة وعليها القباب الرفيعة لتلك الضرائح الكريمة ، حتى ان عضد الدولة استقام في المشهد العلوي لتعمير المرقد الشريف هو وجنده قريبا من سنة ، فعمره عمارة كانت الغاية في العظمة والفخامة ، والاتقان في ذلك العهد ، وبنى الدور والرباطات ، وأجزل العطاء للعلويين والعلماء والمجاورين وسدنة المرقد وقوامه ، وأصلح القناة التي أوجدها آل أعين فاشتهرت بقناة آل بويه ، وعلى مثل ذلك جرت اعماله في المشهد الحسيني على من شرفه وآله وصحابه أزكى التحيات .

وما زالوا يقصدون هذه المراكمة الكريمة زائرين وهم احياء ، وتنقل اجسامهم اليها وهم أموات ، وقد وجدت لهم قبور في صحن المرقد العلوي خلف المرقد مما يلي باب الصحن المعروف بباب الطوسي .
وجملة القول انهم اجتهدوا في خدمة المذهب ما استطاعوا ،

وأحبوا التشيع ما اقتدروا ، حتى ان بعض المؤرخين اعترف بانتشار التشيع في عهدهم ، وتكثر الشيعة في دولتهم ، وآثارهم في ايران والعراق شاهدة عليه ، وقد خلدها التاريخ لو اندرست ، ومن وقف على تاريخ ايران قبل دولتهم وفي ايامهم عرف ما كان لهم من الاثر الجليل في حفظ التشيع نشره وكفى لاستقامة التشيع واتشاره استيزارهم لمثل صاحب بن عباد (١) المصارع في التشيع والمتفاني في سبائه ، ولو أردنا بسط القول في خدماتهم الدينية والمذهبية ومناصرتهم للتشيع لاتسع المجال ، وخرجنا عن الصدد فان البيان عن آثارهم تقصر عنه مثل هذه انصحات الزر .

الشيعة والمغوليون (٢) في ايران :

لم تقم دولة ذات شأن بين الدولتين البويهية والمغولية — على بعد العهد بينهما — تناصر التشيع ، وتأخذ بيده ، بل ربما قامت بعض

(١) كان وزيراً لفخر الدولة آل بويه ، وكان عالماً اديباً متكلماً شاعراً جليل القدر في العلم والادب والدين والدنيا ، اجتمع حوله من العلماء والشعراء ما لم يجتمع حول سواه اللهم الا سيف الدولة آل حمدان ، ولاجله الف ابن بابويه طاب ثراه عيون الاخبار ، والثعالبي يتيمة الدمر في احواله واحوال شعرائه ، وذكر ابن خلكان من مصنفاته كتاب الامامة ذكر فيه تفضيل علي بن ابي طالب واثبات امامته ، وكتاب المحيط في اللغة ، وقد رايت انا نسخة منه في مكتبة الشيخ محمد السماوي في النجف نسخها بقلمه ، وهو تلخيص كتاب المعين للخليل قد حذف منه الشواهد الشعرية واحسن ترتيبه وتبويبه ، وقد بلغ من شأن الصاحب ان مدحه الشريف الرضي في حياته وراثه بعد وفاته ، وكانت ولادته عام ٣٢٦ ووفاته عام ٣٨٥ .

(٢) كان ابتداء دولة هولاكو في ايران عام ٦٥٠ وانتهاء دولة سلالة بموت ابي سعيد عام ٧٣٦ .

الدول ذات الحول والطول فقاومت الشيعة وناصبتهم العدا ، كالدولة
السلجوقية ، وأعمالها في محاربة الشيعة ببغداد وغيرها مسطورة في
كتب التاريخ (١) .

نبغت الدولة الممقولية واستولى هولاءكو على ايران ، وحصل على
العراق في المرة التالية ، وقضى على بني العباس ، فأعطى الحرية
للمذاهب ومنها مذهب اهل البيت في البلاد التي تحت نفوذه كلها ،
كان هولاءكو يحترم الاديان واربابها ، ويعظم اهل العلم والصلاح ،
وان كانوا من غير اهل ملته ، ومن ثم جمع بين علماء الفريقين الشيعة
والسنة يوم جاء فاتحاً للعراق ، وما أباح ببغداد لانها بلد اسلامي ،
فكانت فعلته عداً للإسلام ، بل لانها حاربه وقاومته ، وهو سفاك
فتاك ، يفتك في كل بلد يحاربه ويتغلب عليه وان كانوا من اهل
دينه ، فكانت الاديان في عهده كلها حرة ، وبنهجه سار الملوك من
سلالته (٢) ، وان الشيعة ليكفيها في حياتها وحياة مذهب اهل البيت

(١) ففي تاريخ الحضارة الاسلامية تأليف « فه بارتولد » نقله من التركية
حمزة طاهر ص ٨٥ : ضمن السلاجقة تفوق اهل السنة في ايران
ولكنهم لم يقدروا على ازالة الشيعة منها ازالة تامة فالحقبة بين
الترتين الخامس والسادس الهجريين كانت عهد جدال ديني عنيف
في ايران .

(٢) ومن اطلاقهم الحرية للاديان ان صاحب عطاء الملك الجويني صاحب
ديوان الدولة الإلخانية الممقولية ايام السلطان اباقا بن هولاءكو قام
بحفر نهر من الفرات الى النجف ، وحيث لا يصل النهر الى ارض
النجف لارتفاعها عن مجرى الفرات مما بلى الكوفة حفر قناة من النهر
الى النجف واجرى الماء الى النجف في رجب عام ٦٧٢ ، وقد عمل
رباطا في النجف ووضع اساسه في هذه السنة كما في فرحة الفري
لابن طاووس طاب ثراه مع ان باقا يومئذ لم يكن على مذهب الجويني .

اطلاق الحرية لها فحسب ، واما المعاضدة والمناصرة من أمير او وزير
فذلك فوق المرغوب فيه والمطلوب .

ولما أطلق هولاکو للاديان والمذاهب الحرية ، ومنها مذهب
أهل البيت ، ولم يتعرض بسوء لاهل الحلة والمشهدين الشريفين
العلوي والحسيني وكلهم شيعة ، حسب البعض انه اسلم واعتنق
مذهب التشيع ، الا ان ذلك وهم ، لان ما سبق وحده لا يصلح
برهاناً ، لا سيما والحرية عامة ، واما سلامة هذه البلاد الشيعية فكانت
بتدبير علمائها واهل الرأي منها ، فانهم اخذوا منه الامان لها قبل
فتحه لبغداد ، وانما جلب هذا الوهم هو ان السلف اعتادوا على
اضطهاد الشيعة ، والشيعة اذا رفع عنهم الحجر اطلعوا رؤوسهم وظهر
أمرهم ، وهذا احد الاسباب لتضييق مناوئهم عليهم ، وسد أبواب
الهواء عنهم ، وجعلوا ان مثل هولاکو ان سلب الحرية من مذهب
فلا وجه لسلبه من الشيعة خاصة لانه - ان بقي على الكفر - كان
عدوا للمذاهب الاسلام كلها .

أسلم من ملوك المغول اربعة ، تكودار بن هولاکو وتسمى بأحمد ،
وغازان بن ارغون بن بغا بن هولاکو وتسمى بمحمود ، ونيقولاوس اخو
غازان وتسمى بمحمد خدابنده ، والقاءن بهادرخان ابو سعيد
ابن محمد خدابنده .

فأما احمد فلم تطل مدته ، فانه لما مات اخوه اباقا خان بن
هولاکو خان استولى على العرش ، ولكن تغلب عليه ابن اخيه ارغون
ابن اباقاخان بعد حرب ومقاومة .

وأما غازان فإنه لما تغلب على بایدو واستتب له الامور أسلم وأسلم معه من الجند مائة ألف أو أكثر وهل تشيع بعدما أسلم ، ذلك ما لا يمكن البت به ، غير ان هناك امارات دالة على تشيعه منها انه لما جاء الي العراق في عام ٦٩٦ توجه الى الحلة وقصد مشهد أمير المؤمنين عليه السلام فزار ضريحه المقدس وأمر للعلوين بشيء كثير ، ثم قصد مشهد الحسين وفعل مثل ذلك ، وهكذا فعل يوم جاء العراق عام ٦٩٨ (١) .

ومنها انه بنى ببغداد عام ٦٩٦ دوراً لضيافة العلويين الذين ينزلونها ، وسماها دور السيادة ، وافق عليها أموالا طائلة ، ووقف عليها الاملاك والضياع .

ومنها انه حفر ثلاثة أنهر من الفرات كان أحدها لمدينة كربلاء (٢) الى أمثال ذلك فغلب على الظن تشيعه ، لان امثال هذه الامور لا يصنعها غالبا الا من جرى دم التشيع في عروقه .

وأما نيقولاوس محمد خدابنده فكان بدء اسلامه على مذهب أبي حنيفة ولما وفد عليه نظام الدين عبد الملك الشافعي ، وهو أعلم وقته من أهل السنة ، جعله قاضي القضاة في جميع ممالكه ، وكان يناظر علماء الحنفية بمحضر السلطان فيفلجهم ، ولما ظهرت له الغلبة وحسن للسلطان مذهب الشافعي عدل عن الحنفي اليه ، غير انه

(١) انظر الحوادث الجامعة في حوادث هذين العامين .

(٢) مختصر تاريخ بغداد ص ١٤١ .

عندما كثرت المناظرات بين عبد الملك نظام الدين وبين علماء الحنفية ، وكان ينسب كل منهم الى مذهب الآخر من الرأي والفتوى ، ما لا يستحسن في الدين مثله ، ظهر عليه الملل والضجر ، وسأم الحال ، بل قيل : عدل برهة عن دين الاسلام ، وكان احد امرائه المقربين من الشيعة وهو الامير طرمطار بن نجوبخشي ، فأخذ يطلعه على متناسن مذهب اهل البيت ويدعوه اليه ، فتمايل له ، وفي هذه الآونة ورد على السلطان السيد تاج الآوي الامامي مع جماعة من الشيعة فوقعت بينه وبين نظام الدين مناظرات بمحضر السلطان ، ثم جاء بعد ذلك الى العراق وزار مرقد أمير المؤمنين عليه السلام ، فرأى ما تقوى به مذهب الامامية عنده ، فعرض ما شاهده على امرائه ، فعرضه على اعتناق مذهب أهل البيت من كان منهم شيعياً ، فأمر باحضار العلماء من الشيعة ، فأحضر له العلامة الحلي الحسن بن يوسف ابن المطهر ، فأمر السلطان قاضي القضاة نظام الدين بمناظرة العلامة ، وأعد لهم مجلساً حافلاً بالعلماء وأهل الفضل ، فوقعت المناظرة بينهما في الخلافة - والسلطان يسمع تلك المناظرة - فظهر الفلج على قاضي القضاة ، واتصر العلامة عليه ، فأظهر السلطان التشيع من حينه ، وأمر به الجند وأهل المملكة ، وأجرى في جميع بلاده مراسيم المذهب الامامي ، وجعل السيد تاج الدين محمد الآوي نقيب الممالك .

فكانت هذه المناظرة سبباً لا انتشار مذهب آل محمد (ص) في ايران حتى مد أروقه على جميع بلادها .

وأما ابنه بهادرخان ابو سعيد فانه من يوم امتلاكه فاصية

الحكم كان على مذهب اهل البيت ، وبموته كان انقطاع دولة
المغول .

وجملة القول ان من أزهى عصور التشيع كان عصر المغولية ،
لان الشيعة انتشقت طلق النسيم في عهدهم ، وظهر علماؤهم مناظرين
ومحاججين ، وكان ذلك العصر يفخر بعلماء جهابذة قلما يجتمع علماء
كثري في عصر مثله ، وهم أمثال آل سعيد ومنهم المحقق صاحب
الشرائع والعلامة وابوه وابنه ، وآل طاووس ومنهم العالم البر مجد الدين
والسيدان اشرفان رضي الدين وغيث الدين ، وكانا تقيي الطالبين
في العراق في عهد المغولية ، وكالخاجا نصير الدين الطوسي امام الفلسفة
والكلام ، والذي تولى وزارة الاوقاف في الممالك المغولية في عهد
هولاكو ، الى كثير سواهم .

الشيعة والصفوية (١) في ايران :

لما ان قرنت دولة المغول انقسمت بلادهم الى دول صغيرة

(١) كان بدء الدولة الصفوية عام ٩٠٥ وانتهائها عام ١١٤٨ حين قبض
نادر شاه على زمام الحكم : وقنع الخطبة عن الشاه عباس الثالث ،
وكان نادر يومئذ القائد الوحيد ، والصفوية علوية موسوية ، وزعم
بعض المؤرخين الذين يميلون عن الصفوية بل عليهم ان آباء الشاه
اسماعيل كانوا من الصوفية اهل الطرائق وزعمائها ، وكانوا من
السنة ، وان اول من اظهر التشيع وجاهر به الشاه اسماعيل ولو
سردنا عليك بعض تلك الكلمات لعرفت كيف تشوه النزعات المذهبية
أوجه الحقائق ، وكيف يضيع الحق من جراء ارضاء النفس بالقذع
الشائن ، والسباب القبيح .

شيعة ، احتلت كل دولة قسما من المملكة المغولية كالدولة الجوبانية ، التي امتلكت آذربيجان والعراق العجمي وديار بكر وبعض حدود الروم ، والدولة الايلخانية ، التي امتلكت قسما من ايران من حدود آذربيجان الى العراق العربي والفرات العربي ، وبعد حين استقر ملكهما في العراق فقط ، والسربدارية التي تغلبت على خراسان وسبزوار وغيرهما ، والمرعشية ، التي استولت على آمد ومارندان ، الى غيرهما من الدول ، وما قامت دولة تحكم بلاد ايران كلها بمعد المغول الى ان نهض الشاه اسماعيل (١) واخذ يمتلك البلاد من فارس كلها ، واسترجع العراق واستولى عليه .

وللشاه اسماعيل في العتبات المقدسة في العراق آثار جليلة ، منها بناء حرم الكاظمين عليهما السلام والمسجد الكبير الذي خلف الحرم ، وهو اليوم معروف بمسجد الصفوية .

وهو اول سلطان من الصفوية ، وأول همه من ترويج مذهب الامامية في جميع البلاد التي امتد اليها سلطانه ، وقوي فيها نفوذه ، وكان يرسل الدعاة والمبشرين الى البلاد التي يريد احتلالها ، فيدعوهم الى اعتناق مذهب أجداده أهل البيت قبل فتحها ، وكان يفخر بهذا الشأن ترويج مذهب آل محمد (ص) .

(١) كان نهوضه عام ٩٠٥ ووفاته في اربيل عام ٩٣٠ وبها دفن ، ولقد اعتمدنا كثيرا فيما نكتبه عن الصفوية والانشارية والقاجارية على كتاب « آثار الشيعة الامامية » الجزء الثالث الذي هو في ملوك الشيعة لحضرة الفاضل البهائى المعاصر الشيخ عبد العزيز الجواهري كما اعتمدنا عليه في موارد اخرى من هذا الكتاب .

وكان محباً للعلماء والعلووين حسن السيرة معهم ، واتخذ منهم النقباء والصدور ، فكانت دولته جامعة بين السلطة الزمنية والروحية ، واستعان بالعلماء في نشر ألوية المذهب ، وتشييد أركانه ، وخطب بأسماء الأئمة الاثني عشر عليهم السلام على المنابر ، وتم له ما اراد من نشر المذهب الجعفري على جميع ربوع ايران ، فلم تعترض في طريقه عقبات كاداء تحول دون ما أراد .

وعلى نهجه سار الملوك من سلالته ، فان نهر الطهماسية حوالي الحلة من آثار الشاه طهماسب (١) بن الشاه اسماعيل ، وقد أمر بحفره ليجري الماء الى النجف ، ولكن بالرغم من تلك الجهود العظيمة لم يصل الماء الى النجف لارتفاع ارضها عن مجرى النهر .

بل خطا الشاه عباس الاول (٢) خطوات كانت أوسع من خطوات الشاه اسماعيل في نشر اعلام مذهب اهل البيت ، فله آثار مهمة ، وخدمات جليلة ، تشهد بما كانت له من مساع ونصرة ، ولا غرابة فقد كان المرشد الى تلك الحسنات الجميلة العلامتان الجليلان الشيخ محمد بهاء الدين العاملي المعروف بالشيخ البهائي والسيد مير محمد باقر الداماد .

وبلغ من اعظامه للأئمة من أهل البيت انه في احدى زياراته

(١) ولد في ٢٨ من ذي الحجة عام ٩١٩ ، وملك عام ٩٣٠ وتوفي في صفر عام ٩٨٤ .

(٢) ولد عام ٩٧٩ وجلس على عرش الملك رسماً عام ٩٩٦ وقبض في عام ١٠٣٧ .

العديدة لمرقد الامام الرضا عليه السلام مشي راجلا من قاعدة ملكه
 أصفهان الى مرقد الامام في خراسان ، ومعها أكابر الدولة ، والمسافة
 تقدر بـ ١٩٩ فرسخاً ، وفي زيارة اخرى كانت عام ١٠٢١ وسع
 انصحن الشريف ، وحدث فيه عمارات سامية ، وقنوات مهمة ،
 وأما آثاره القيمة التي أودعها خزانة الامام الرضا عليه السلام من
 الجواهر والتحف الثمينة والمصاحف والكتب الى ما سواها
 فما أكثرها ، وهكذا كانت هداياه لخزائن الأئمة في العراق
 وضرائعهم .

ومن حسناته الخالدة في ايران الى اليوم المساجد والمآذن في
 أصفهان وغيرها والقنوات والابنية في طرق العابرين للمشاهد المقدسة
 في العراق . وان من آثاره الحميدة بناء الصحن العلوي القائم اليوم .
 وكان بناؤه بنظر وهندسة الشيخ البهائي المذكور . كما هو معروف
 بين الناس . وتتناقله الألسن . وعليه شواهد (١) كما ان من آثاره
 في النجف آباراً واسعة كثيرة وهي الى اليوم تسمى (الشاه عباسيات)

وأما اعزازه لاهل العلم وتقديره للعلماء ، ورواج سوق العلم في
 أوانه وما وقفه على العلماء والعلميين فهو معروف لا يحمله أحد .

(١) الا ان حجة الاسلام السيد حسن الصدر ادعى في كتابه الوجيز
 — نزهة اهل الحرمين في عمارة المشهدين — ان بناء الصحن الشريف
 كان من آثار الشاه عباس الثاني وان اباه الشاه صفي هو الذي اشغل
 بينائه وعاجله القدر قبل ان يتم ، فاتمه الشاه عباس الثاني ، وعلى
 اي حال فان الظاهر ان النهر المعروف بالمكرية وبنهر الشاه هو من
 آثار الشاه صفي لا الشاه عباس الاول ، لان الماء جرى من قناته الى
 النجف عام ١٠٤٢ ، والشاه عباس الاول قبض عام ١٠٣٧ .

وجماعة القزل ان الدولة الصفوية لم تكن دولة سياسية فحسب . بل كانت دولة تهتم لخدمة الدين وترويج الشريعة . لا سيما اول ملوكها انشاء اسماعيل وحفيده الشاه عباس الاول . وآثارهم في ذلك ماثلة للعيان . وكان ذلك دأبهم الى آخر عهدهم وتغاب السلطان نادر شاه الافشاري على دولتهم .

وكانت تلك العصور وما قبلها عصورا تفخر فيها الملوك بترويج الشريعة . لعل سبب ذلك هو ان الروح السائدة في الناس تلك اليهود هي الروح الاندينية . او لاز الملوك تحترم العلماء وتدنيهم وتبكر بأرائهم . وهل يهتم العلماء بغير تنفيذ نظام الدين ونواميس الشريعة . واذا كان لرأي العالم وقوله اثر في سير الدولة تغلب على البلاد نظام الشرع وراجت قوانين الدين . ومهما خالف الملك في نفسه أحكام الشريعة فهو يحافظ على المظاهر الدينية واتمائه للشريعة .

وكان قوام نشر الاديان ذلك الزمن القائل بتعاضد الملوك والعلماء . ولا نجد عهداً تروج فيه الخلاعة ومناوذة أنظمة الشريعة الا والملوك فيه تباعد عن العلماء ولا تصغي لنصائحهم ولا تستمد بأرائهم ودعواتهم الصالحة .

الشيعة ونادر شاه (١) في ايران :

انك خير بما تم لنادر شاه من الفتوح ، واستيلائه على ايران والهند والعراق والبحرين والافغان وبخاري وغيرها بمدة وجيزة ، ولم يكن نادر كالصفوية في اهتمامه بشؤون الدين وترويجه للعلم وتقديره

(١) ولد نادر عام ١١٠٠ وتمسك بعرش السلطنة عام ١١٤٨ وقتل في جمادى الاولى عام ١١٦٠ .

للعلماء ، ولم يسمح لهم في التداخل بشؤون الدولة . كما - منحت الصفوية من قبله ، نعم لم يقصر عن امنوية في خدمة المرافد الشريفة لائمة اهل البيت ، فان لبنيان القبة والخزاة العلويتين ، اللتين ظلى الاولى منهما بالذهب الابريز ، وملا الثانية بنفائس العقود والجواهر وغيرها يوم عاد من الهند فاتحاً . ليفصح ناطقاً عما صنعه فادر شاه من الحسنات المشكورة والخدمات الجليلة ، كما يشهد لولائه واخلاصه ما صنعه من العمارة في المشهد الرضوي بطوس ، وقد جلب له الحجر الزخامي من آذربيجان . وما عقده من الصلح مع العثمانيين على شروط منها ، اعلان الدولة رسمية المذهب الجعفري كالمذاهب الاربعة ، ومنها بناء ركن خاص له في مكة المكرمة ، ومنها حماية الحاج الفارسي في طريق مكة ولكن آل عثمان ما وفوا له بعهده ولا شرط خصوصاً رسمية المذهب وبناء الركن .

ولما جاء الى العراق جمع بين علماء الفريقين - الشيعة والسنة - وأمرهم بالمناظرة وتوحيد المذهب ، وتم له ما اراد من الاجتماع والمحااجة ، ولم يفلح في الثانية وان أظهروا الوحدة زمناً قصيراً حذراً من بطشه .

ثم ما زالت ايران بعده ذات حروب وفتن ، وما استمرت سلالاته في الحكم الا سنين قلائل ، قضوها بالحرب والجلاد ، الى ان قامت الدولة الزندية ، وليس لها شأن كبير يعرف في خدمة المذهب والشيعة لان سلطانها لم يعم ايران ولان ايامها انقضت بالحروب مع اول ملوك القاجاريين اغا محمد خان .

الشيعة والقاجارية (١) في ايران :

كان ابتداء نبوغ القاجارية ايام الشاه نادر ، وما تمهدت لهم ايران الا بعد تقويض الدولة الزندية على يد آغا محمد خان عام ١٢٠٢ ولما اعتلت القاجارية أسرة الحكم أعادت النفوذ الروحاني ، وخدمت العلم والعلماء بشتى السبل ، وقد انقاد بعضهم للعلماء كفتح علي شاه (٢) حتى كاد ان يخلع نفسه ويقلد الحكم ذلك العالم الزعيم لو اراده ، وشأنه في اعزاز اكابر العلماء واعلاء شأنهم معروف لا يجهل .

ومن جراء تمسكه بالدين واهتمامه برجاله ألف له العلماء الكتب العديدة ، ومنهم العلامة الأكبر الشيخ جعفر ، وقد ألف له كتاب « كشف الغطاء » .

وكذلك شاهداً على علو مقام هذا الشاه عند أهل الدين ، واکباره برجال العلم واعتنائه بأمر الشريعة ما أطراه به الشيخ المزبور في ديباجة الكتاب ، وقد احتفى الشاه بالشيخ الأكبر يوم زار ايران وأكبره اکباراً لا مزيد عليه .

وقد ألف له ايضا الميرزا محمد جعفر الاستربادي « قدس » (كتابه

(١) أول من ملك من ذم جميع البلاد الايرانية هو السلطان محمد خان ، وقد ملك زهاء ٢١ عاماً ، وفتل عام ١٢١١ ، وآخر ملوكهم احمد شاه ، وكان سقوطه عن العرش بتبؤ رضا شاه عليه عام ١٣٤٤ .

(٢) جلس على العرش عام ١٦١٢ وتوفي عام ١٢٥٠ . وفي ايامه زار الصدر الاعظم امين السلطنة العتبات المقدسة في السراق وحفر نهر الشاه واوصله الى خندق الكوفة . اجري منه قناة محكمة البناء تشق وادي السلام ، وتنتهي الى النجف .

نجم الهداية) والمولى علي أكبر الايجي الاصفهاني كتاب « زبدة المعارف » في أصول الدين والاخلاق والمعارف ، الى غيرهم .

ومن حسناته - وما اكثرها - طلي القبة الحسينية والاخوان بالذهب ونصب شباك من الفضة على الضريح الأقدس ، وبناء قبة على مرقد العباس عليه السلام ، وطلي قبة السيدة فاطمة بنت الامام موسى بن جعفر عليهما السلام المدفونة بقم بالذهب ، وبناء صحن وسيع لها ، وبناء صحن الرضا عليه السلام ، واهداء عدة قتاديل ذهبية لحرمة المقدس ، ونصب ضريحين فضيين على مرقد السيد عبد العظيم (١) المدفون بالقرب من - طهران - ومرقد السيد احمد (٢) بشيراز الى ما سوى ذلك من بناء المدارس والمساجد وغيرها مما ينبينا عن شدة نسكه بعري الدين ، وتوفقه لخدمات أهل البيت الطاهر ونصرة مذهبهم

ولم يقتصر على ترويح الدين والعلم فحسب ، بل روج الادب ايضا ، فانه كان يجزل العطاء للشعراء والادباء ، فذاع عنه ذلك حتى

(١) هو ابن عبد الله بن علي بن الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن ابي طالب عليهم السلام ، وعن نواب الاعمال ان رجلا من اهل الري دخل على الهادي عليه السلام فقال له : ابن كنت ؟ قال : زرت الحسين عليه السلام ، قال : اما انك زرت قبر عبد العظيم عندكم كنت كمن زار الحسين عليه السلام .

(٢) وهو المعروف اليوم بشاه جراغ وعمو ابن الامام موسى الكاظم عليه السلام وكان ابوه ابو الحسن موسى يحبه ويقدمه ووهب له ضيعته المعروفة بالبصرة ، ويقال انه اعتق الف مملوك ، الى غير ذلك مما هو مذكور في كتب الرجال من فضله ورعاية الامام الكاظم له .

قصده أرباب الادب من الفرس والعرب فمدحوه ، وألفت في نشر أحواله الكتب المفصلة ، ولهم معه في ناديه الادبي مطارحات ونوادر وظرائف ونبغ في ايامه من الفرس شعراء مجيدون .

ولا تنس ما قام به حفيده ناصر الدين شاه (١) من الخدمات الكبيرة للمذهب والعناية بشأن العلم وذويه ، فهو حقيق بأن يسمى « ناصر الدين » .

وقد عرف الناس كبير عنايتهم بالروحانيين يوم زار المراكدة المقدسة في العراق عام ١٢٨٧ ، وما أظهره من الاحتفاء بهم واهتمامه بالاجتماع بهم ، واجزال العطاء لهم .

وهو الذي طلى بالذهب قبة الامامين العسكريين عليهما السلام في سامراء يوم زار العتبات ، وايوان المشهد الرضوي ، وقبة السيد عبد العظيم .

وكان من رجال الادب والشعر والظرف ، وله ديوان شعر ، وقد ألف له كتاب مرآة البلدان ، وكتاب فاسخ التواريخ وغيرها من الكتب .

وجملة القول ان القاجاريين كانوا من مروجي مذهب أهل البيت وناصرهم ، ومعارضدي العلم والعلماء ، وفي ايامهم كانت ايران زاهرة بالعلماء لكثرة من فيها منهم .

وأما المهاجرون منها الى النجف الاشرف، فلربما ناهزو العشرة

(١) ولد في صفر عام ١٢٤٧ ، واعتلى العرش عام ١٢٦٤ وقتل عام ١٣١٣ .

آلاف ، فكانت روضة العلم في ايران والعراق بفضل اهتمامهم بشأن أهل العلم زاهية المنظر ، طيبة المجتنى الى ان حدثت الفتن في ايران بسبب الانقلاب الدستوري ، في عهد الشاه محمد علي وعمت الفوضى فيها ، وعطلت فنكب فيها أهل العلم ، وانقطعت الصلات من ايران عن المهاجرين منهم الى العراق ، فاضطر كثير منهم الى العودة الى أوطانهم .

وفي أيامهم انتشرت المطابع الحجرية في ايران ونشرت بفضلها كتب الفقه والدين وسائر فنون العلم وما زال النفوذ الروحاني مخيما على ربوع ايران سهلها وجبلها ، الى ان انقرضت دولتهم ، وزالت شوكتهم .

وصفوة البيان أن فارس في القرن الاول بعد الفتح كانت لا تعرف الولاء لاهل البيت (ع) .

وانما نبغ فيها التشيع وعرف فيها الولاء في القرن الثاني في عهد الامويين ، وظهر في أخريات الثاني ، وفي الثالث في الثالث الاول من دولة بني العباس .

وبعد حلول الامام الرضا عليه الصلاة والسلام في خراسان ، وما بعد ذلك لاوان .

وانتشر في الرابع والخامس ايام آل بويه ، وتراجع القهقري أياما في عهد السلاجقة ، واتسع نطاقه في عهد المغول وما بعده

من القرن السابع من الهجرة النبوية (ص) الى ان وثب الشاه اسماعيل في أوائل القرن العاشر ، وما عم التشيع بلاد فارس الا في هذا القرن ، وما زال فيها حتى اليوم من السنة قوم من الاكراد في سنة ومن العرب في عربستان ، وقد يوجد في غيرهما

واذا تجلت لك هذه الحقيقة مدعومة بالبرهان والوجدان ، عرفت ان الفرس هي التي اعتنقت التشيع ، وما عم بلادها الا بعد قرون جمة ، لا ان التشيع أخذ عن فارس ، أترى يصح ان يكون ما نبغ في عهد الرسالة وجرى في عروق صفوة الصحابة يكون مستقاه مشي القهقري من القرن العاشر ، رحماك ربي ما هذا الخطل والبهتان ، بلى ، ان العناد والاصرار على الخلاف ليقعان المرء من حيث يدري ولا يدري في انكار الشمس وهي ضاحية ، والعمى عن نور القمر ليلة البدر ، وما نقصد من هذا القول الا تنبيه أهل البصائر ورواد الحق الى التماس الحقائق من جدد السبيل دون ملتويات المخافوز ، انتي تبعد بك عن القصد ، بل توقعك في الطوى البعيدة ، وهل هو الا العطب .

الشيعة في الهند (*)

كان الهند يغزى أيام الخليفة الثاني ، وكان غزوه من قبل بلاد الافغان وفارس ، وهاجست جنود المسلمين السند أيام أمير المؤمنين علي عليه السلام ، وعادوا ظافرين ، وقد اسروا الالوف منهم ، ثم توالى الغزوات على السند والهند أيام الامويين ، فتمكنوا من اخضاع جملة من البلاد ، وفي أيامهم أسلم بعض ملوكها ، ولما انتهت الدولة للعباسيين استتب لهم الامر في هاتيك البلاد ، وافت جد خير بأن شطراً من الولاة والامراء والقواد والجنود كان يحمل بين اضلاعه ولاء أهل البيت الطاهر ، وهذا من الاسباب لبث روح التشيع في الهند .

(*) لم تحضرني الوسائل الكافية للكتابة عن التشيع في الهند ، ولا سيما وانا اجهل اللغة الاوردية ولا احسن الفارسية ، فلذلك كلفت حضرة المذهب السيد محسن النواب اللكهنوي صاحب مجلة « الاديب » العربية بالامر يوم كان في لكتنو - واحد طلبة الفقه الجعفري اليوم في النجف (*) بتعريب ما يدخل في المطلوب من هذا الكتاب عن بعض المصادر الفارسية والهندية فقام احسن قيام ، فانا اشكره حقاً على هذه المساعدة ، وقد اعتمدت في هذا الموضوع على ما عربه حضرته وعلى بعض المصادر العربية .

(*) وقد رجع بعد ذلك الى الهند فهو اليوم فيها حفظه الله وزاد توفيقه .

قال ابن الاثير في الكامل « ٢٢٠:٥ » : ثم دخلت سنة ١٥١ ، وفيها عزل المنصور عمر بن حفص بن عثمان بن قبيصة بن ابي صفرة عن السند ، واستعمل عليها هشام بن عمرو التغلبي ، واستعمل عمر بن حفص على افريقية ، وكان سبب عزله عن السند انه كان عليها لما ظهر محمد و ابراهيم ابنا عبد الله بن الحسن ، فوجد محمد ابنه عبد الله المعروف بالاشتر الى البصرة فاشترى منها خيلا عتاقا ليكون سبب وصولهم الى عمر بن حفص ، لانه كان ممن بايعه من قواد المنصور ، وكان يتشيع ، وساروا في البحر الى السند ، فأمرهم عمر بن حفص ان يحضروا خيلهم ، فقال له بعضهم : انا جئناك بما هو خير من الخيل ، وبما لك فيه خير الدنيا والآخرة ، فاعطنا الامان اما قبلت منا واما سترت وامسكت عن أذانا ، حتى نخرج عن بلادك راجعين ، فأمنه فذكر له حالهم وحال عبد الله بن محمد بن عبد الله ، وانه أرسله ابوه اليه ، فرحب بهم وبايعهم ، وانزل الاشتر عنده مختفيا ، ودعا كبراء أهل البند وقواده وأهل بيته الى البيعة فأجابوه ، فقطع ألويتهم البيض وهيا لبسه من البياض ليخطب فيه ، وتهيأ لذلك يوم الخميس ، فوصله مركب فيه رسول من امرأة عمر بن حفص تخبره بقتل محمد بن عبد الله ، فدخل على الاشتر فأخبره وعزاه ، فقال له الاشتر : امري قد ظهر ودمي في عنقك ، قال عمر : قد رأيت رأيا ، ههنا ملك من ملوك السند عظيم الشأن كبير المملكة ، وهو على شوكة أشد الناس تعظيما لرسول الله صلى الله عليه وآله ، وهو وفي . أرسل اليه فاعقد بينك وبينه عقدا فواجهك اليه فلست ترام معه . بل ذلك وسار اليه الاشتر فأكرمه و أظهر به . وتسلمت اليه الزيدية حتى اجتمعت معه

اربعمائة انسان من أهل البصائر .

ثم ذكر ابن الاثير ان آخر امره أن قتل وقتل معه الملك السندي . وبعث بسراري الاشر وولده الى المنصور . فسيرهم الى المدينة . وكان المتولي للفتك بهما اسفج اخو هشام بن عمر وعامل المنصور .

وهذا مما يرشدك الى وجدان الروح الولائية لآل محمد (ص) ذلك الأوان ، بين أبناء هاتيك البقاع وبين المهاجرين اليها والذي ينبيك عن صدق هذا الشأن . هو ان بعض ملوك الهند كتب الى الصادق عليه السلام يعلمه بالهداية على يديه . وارسال بعض الهدايا اليه (١) .

غير ان التشيع لم يلاق رواجاً في ذلك الحين ، ولعل وقوفه عن الظهور والانتشار لقلة دعائه وانصاره في بلاد الهند يومئذ .

نعم ان الذي اتفقت عليه كلمة المؤرخين هو ان ظهور التشيع جلياً في الهند كان من بلدة - عجرات - وسببه الروابط التجارية التي كانت بين العرب والهنود ايام الجاهلية ، ولما بزغ بدر الاسلام في

(١) كانت تلك الهدايا تحتوي على جاريسة وعطر وحلل وحلي فأبى الصادق (ع) من قبولها ، لان الرسول قد خان الجارية وقد اعلم الصادق الرسول بالخيانة ، وقد اعترف الرسول بالخيانة بعد الانكار الشديد وهذا من كرامات الصادق عليه السلام واعلام امامته ، واجع المناقب لابن شهر آشوب في احوال الصادق في باب اثباته بخوارق العادة .

جزيره العرب كانت تلك الروابط باقية ، ولم تنقطع لهذا الحادث
الفجائي الذي أدهش الجزيرة ، وجلى غياهب الشرك عن سائها .
وكان جبل تلك المواصله رابطه متينه لنشر لواء التشيع في الهند ،
بعد ان كان ابتداء ودب .

قال المستر « آرنلدط » في كتابه « بريجسك اوف اسلام » :
ان راجات الوثنيين في شمال كجرات كانوا يحسنون المعامله مع وعاظ
الشيعة وتجارهم ، ويحسنون اليهم ، وقد اعتنق التشيع جباة كبيرة
من الوثنيين بمساعي هؤلاء الوعاظ .

وقال بعض افاضل البواهر في كتابه « المجالس السيفية » ان
المستنصر بالله الفاطمي (١) خليفة مصر ارسل الواعظ عبد الله الى
دعاة اليمن ليتعلم عندهم اللغة الهندية ، ثم يسافر الى الهند للتبليغ ، فلما
ورد عبد الله الهند اتفق ان وروده الى كجرات أيام الراجه جي سنگيه
وكان متعصباً جداً على الاسلام ، وشديد الفساد للمسلمين ، بخلاف
من مضى قبله من الراجات ، فلم يقدر عبد الله على بث الدعوة ونشرها
جهاراً ، بل أدرع بالتقية ، وقد مر يوماً أثناء اقامته على بئر جف
ماؤه منذ امد غير قصير ، فانبع الماء بدعائه ، فاعتنق التشيع لذلك

(١) ولي الامر وهو ابن ثمان سنين واستقام فيه ستين عاما ومات لاثنين
عشرة ليلة بقيت من ذي الحجة عام ٤٨٧ ، وكان امير جيوشه بدر
الجمالي اماماً رماً عم الجذب بلاد مصر أيام المستنصر استوزر بدر
فعهد له انبلاد وجلب لها الاقوات من الاماكن النائية ، وكان ابنه
ابو علي الافضل وزيراً للحفاظ لدين الله ، ولما كان ابو علي صاحب
السيطرة والتدبير أعلن المذهب الامامي الاثني عشري ، وجعله المذهب
الرسمي في مصر وقتل عام ٥٢٦ .

رجلان ممن شاهد الحال من قاطبي عجرات المسلمين : وهما « كاكاكيللا » و « كاكاي كيللي » ولكن مع ذلك كان عبد الله لا يخلع لباس التقية ويخشى من الجهر بالدعوة للتشيع حقاً لديه ، فسافر الى العاصمة وفق اشارة ذينك الشيعة الجديدين يرشد « المهنت » (١) عابد الصنم الكبير ، فلما وصل الى « المهنت » المشار اليه وجده يعلم الاطفال حروف الهجاء ، فكلسه بأحاديث أعجبه جداً ، ثم استأذنه بالحديث سرّاً ، فلما خلا الواعظ عبد الله بالمهنت سار يناظره في مباحث عرفانية ما زال به حتى اسلم وتشيع ، وكان « بهارمل » الوزير الاعظم للراجة سنجيه يتبع المهنت ويصفي الى قوله ، فأدخله المهنت في ربة الاسلام والولاء بعد مواعظ بليغة مؤثرة ، وحجج بالفة ، اخذها المهنت عن الواعظ ووعاها منه ، وما اكفى عبد الله الواعظ بتشيع هذين العظمين ، بل كان مطمح نظره نفس الراجة جي سنجيه ، وقد علم ان الراجة شديد الاخلاص والارادة للصنم الكبير ، وكان الصنم معلقا في وسط القاعة في الهواء بغير دعامة ولا عمد ، فاتضح لديه بعد التروي والامعان ان هناك جواذب مغناطيسية بتوازنها في الجذب قد اوقفته ومنعته من السقوط ، فأقدم يوما بجراً على تلك الاحجار المغناطيسية فارتزعها من الجدران ، فخر الصنم الكبير ساقطاً على الارض ، وما كان الراجة على حسن ظنه السابق بالمهنت والوزير بهارمل ، فزاد سقوط الصنم في الطين بلة ، واشتد غضبه ، وحاصر المعبد بمسكر كثير : فظهر عبد الله الى الراجة وتلا عليه آيات من الكتاب وأدعية فصار جسمه يلتهب ألماً فأقنع عما قصده ، ثم

(١) المهنت لقب زعيم المذهب عند الوثنيين .

صار ذلك سببا لأن يسلم ويتشيع .

وفي ص ٨٤٢ من كتاب « جرنل ايشيائك سوسائتي بنگال »
ان المستنصر بالله أرسل واعظ الى الهند وتشيع بمساعيه الراجي جي
سنگيه أمير گجرات .

ثم رحل عبد الله الى « بتن » و « سده پور » وهما بلدان من
بلاد « دكن » وأدخل بسبب دعوته الالوف من الوثنيين في الاسلام
ثم علم يعقوب بن بهارمل الوزير العلوم الدينية ، وأنابه في الدعوة
والتعليم ، وأرسل يعقوب ابن عمه فخر الدين الى « راجبوتانه » بلدة
في الهند . ولكنه لم ينجح نجاحا يذكر . واستشهد بعد سنتين . وبعد
وفاة يعقوب قام ابنه علي مقامه في الدعوة والارشاد ، ثم بعده ابنه
اسحاق . والذي يظهر ان اسحاق أو الذين خلفوه كانت لهم مساع
جليلة في الدعوة والتبليغ في شمال الهند ، وذلك لان سلطان « تغلق »
الذي كان في القرن الثامن من الهجرة ملكاً على « دهلي » عاصمة
الهند اليوم وعاصمة الدولة المغولية بالامس يكتب في مذكراته اليومية
ان بدعة الرافض في هذه الايام اخذت ترتقي يوما فيوما . وصار مخلصو
الدولة يتشيعون سرا . فارتأيت أن أقطع هذه الشجرة من أصلها ،
فأمرت بقتل دعاة الروافض وحرق كتبهم . وهدرت دم كل من
يتوهم فيه انه شيعي . فمن ظلم هذا السفاك الفتاك وقف انتشار التشيع
في شمال الهند الى قرون .

التشيع في الازمنة الوسطى والدولة البهمنية :

زعم الشاه عبد العزيز صاحب كتاب « التحفة الاثني عشرية »

ان الملوك البهمنية كانوا كلهم من الشيعة الغلاة . ولكن محمد بن القاسم الملقب بفرشته المؤرخ الشهير صرح بان حسن كانگو مؤسس الدولة البهمنية كان من الموالي لنظام الدين العالم الشهير في أهل السنة ومن المعتقدين به الاعتقاد الخالص . واين هذا من نسبتهم الى التشيع . فالحق ان قول فرشته أقرب الى الصواب لانه ورد الهند بعد انقراض دولتهم بقرن والشاه عبد العزيز من بعدهم بأربعة قرون . وفرشته أقرب لزمانهم ومن ذلك تعرف انه اقرب لمعرفة أحوالهم . وكانت الدولة البهمنية قد استقام سلطانها أكثر من قرنين . ولما تصرم من عمر هذه الدولة قرنان مالت الى الزوال تدريجاً . لان آخر خلفاء حسن كانگو قد غمرهم الجهل . ولم يتثقفوا الثقافة الضرورية للملوك .

ولما انثلت عروش دولتهم انقسمت سلادهم الى امارات خمس العادل شاهية . والنظام شاهية . والقطب شاهية . وهذه الدويلات الثلاث شيعية . والبريد شاهية . والعماد شاهية . وهاتان سنيتان .

العادل شاهية والتشيع :

كانت عاصمة هذه لدولة « بيچاپور » ومؤسسها يوسف عادل شاه . وقد دخل عاصمة البهمنية وافداً من ايران وهو شاب ، وكان من مخلصي السلطان حيدر الصفوي ، والد الشاه اسماعيل رأس الدولة النصفوية . فتقرب بحذقه وحسن رأيه من الملك نظام شاه البهمني . حتى ارتفع عنده وعز لديه . بل وبلغ من الجلالة والشرف أن أحد أولاد الملوك البهمنية تزوج ابنته الصغيرة « ستي بي بي » ولا أخذت تستقل عمال البهمنية فيما تحت ايديهم من البلاد نشر يوسف لواء

الاستقلال على « بيچاپور » وكان قائده العزم والثبات والنشاط .
وفي بدء استقلاله واقته الانباء بان الشاه اسماعيل الصفوي خطب في
ايران بأسماء الأئمة الاثني عشر عليهم السلام . واعلن بان المذهب
الرسمي في ايران هو المذهب الجعفري . وسعى حثيثاً لترويجيه . فارتاح
نذلك يوسف عادل شاه وقويت عزيمته على الخطبة يوم الجمعة بأسماء
الأئمة الاثني عشر . و اضاف الى الاذان الشهادة لعلي بالولاية . وذلك
عام ٩٠٤ هـ ، وهو أول من اقترح الخطبة بأسماء الاثني عشر عليهم
السلام في الهند ، وسعى لترويج التشيع فيها (١) .

ثم ارسل العالم الجليل السيد أحمد الهروي الى الشاه اسماعيل
مستنجداً به فوعده النصر ، فكان هذا الوعد امضاءً لعزيمته ،
وتعزيزاً لقواه ، وامانة لقوى اعدائه ، فكانت أعماله متوالية في خدمة
مذهب اهل البيت ، وترويج معارفهم الى ان لقي ربه .

ثم ملك من بعده ابنه الشاه اسماعيل عادل شاه ، وكان أرسخ
قدماً في التشيع من أبيه ، ولقد قهر جنده على لبس القلائس الاثني عشرية
وهي تحتوي على اثنتي عشرة زاوية ، وكان ذلك شعار الصفوية في
التشيع ، رمزاً الى انهم ينتمون الى الأئمة الاثني عشر في المذهب ، وأمر
باعلان البراءة من أعداء آل محمد صلى الله عليه وعليهم في جميع شوارع
العاصمة « بيچاپوردكن » وسككها .

(١) تاريخ فرشته « ١١٠٢ » وقد سبق ان ابتداء الدولة الصفوية عام
٩٠٥ فلا يتفق ذلك مع ما سبق في الاصل الا ان يكون امتلاك الصفوية
جميع بلاد ايران كان عام ٩٠٥ ، واتباع يوسف عادل شاه للشاه
اسماعيل في الخطبة قبل ان يستولي الشاه اسماعيل على ايران كلها .

ثم قام من بعده ابنه ابراهيم عادل شاه ولكنه اظهر التسنن
فأسقط من الاذان الشهادة لعلي بالولاية . ومن الخطبة أسماء الأئمة
الاثني عشر عليهم السلام ومات وبه عاهات عديدة .

ثم ملك من بعده ابنه علي عادل شاه وقبل ان يقبض على أزمة
الحكم حيث كان أبوه على فراش المرض أذن على طريقة الشيعة ،
وكان هذا بفضل العالمين الجليلين الشهيدین الخواجه غياة الله الشيرازي
والملا فتح الله الشيرازي ، لانهما كانا القائمين بتربيته ، الفارسين في
قلبه حب أهل البيت والولاء لهم ، وهذا هو السبب لقتل ابراهيم أبوه
— عادل شاه — لهذين المعلمين ، وقتله لهما لم يشن ولده علياً عما حملة
بين أضلاعه من ولاء آل محمد (ص) ، وكان أبوه قد أبعدته الى
قلعة مرج بعد قتل ذينك المجاهدين ، وجعل عليه الحرس والعيون ،
ولما بلغ أباه أذانه بالشهادة لعلي بالولاية حاول ان يعهد لابنه الاصفر
طهماسب بولاية الامر ، ولكنه علم ايضا انه يوالي أهل البيت .

ولما قبض علي عادل شاه على أعنة الامر أعاد الصلات الودية مع
الدولة الصفوية ، وقد استرجع ما اغتصب من ممالك العادل شاهية ،
بعد حروب كان المظفر الموفق فيها ، فكان هذا نهجه في التشيع ، وتلك
انتصاراته وهاتيك شوكة وقوته ، الى ان قتل عام ٩٧٤ .

فقام من بعده ابنه ابراهيم عادل شاه الثاني وكان غلاما حدث
السن ، فقضت عليه واستولت على بلاد الملوك المغولية في دهلي ، وبه
انقرضت الدولة العادل شاهية مأسوفا عليها .

القطب شئمية والتشيع :

كانت هذه الحكومة في گولگنده دکن وحيدرآباد ، ومؤسستها السلطان قلي قطب شاه ، وهو ايراني ايضا ، وكانت ولادته في قرية اسعد آباد من قرى همدان ، وورد الهند أيام ملكها محمود البهنمي فآكرمه وجعله من امرائه ، ولقبه بقطب الملك ، ثم صار قائده العام ، ولما تضعفت اركان دولة محمود نهض فيمن نهض للاستقلال وسمى نفسه بقطب شاه ، وبنى قلعة گولگنده واعتصم بها ، وكان ايضا من مخلصي السلطان حيدر الصفوي ، ولما رفع الشاه اسماعيل راية التشيع ، وروج مذهب اهل البيت ، واتبعه في ذلك يوسف عادل شاه ، اعلن به ايضا السلطان قلي قطب شاه ، وسار عليه وهو هاديء انبال مطمئن خاطر ، وجرى على مذهب اهل البيت مجداً ، وجاهرت الشيعة في بلاده بما تعتقده ، وهكذا انسجت على هذا المنوال سلالته ، ولم تختلف او تخالف أسرته المالكة في ذلك (١) .

وحدثت له مع ملوك عصره وقائع كان النصر فيها حليفه . وقد قتل عام ٩٥٠ وكان قد ناهز التسعين . وكانت مدة حكمه ٦٠ عاما قضى منها ١٦ عاما في نيابة محمود البهنمي و٤٤ مستقلا بالحكم .

فترجع من بعده على دست الحكم ابنه جمشيد قطب شاه . واستقامت ايامه سبع سنين ومات بمرض الدق عام ٩٥٧ . وليس له في التشيع آثار مسطورة .

ثم ولي الامر من بعده ابنه ابراهيم قطب شاه . وكان ذا تدبير

(١) ملخصا عن تاريخ فرشته ١٦٨٠٢ « .

وعقل . وطالت ايام دولته فكانت ٣١ عاما . وتوفي عام ٩٨٨ عن ٥١ عاما .

ثم قبض على ناصية الحكم من بعده ابنه محمد قلي قطب شاه . وكان عاقلا حليما وبلغ من الشهرة في العلم انه يعرف حتى اليوم بالسلطان الحليم وكان شجاعا مقداما فتح عدة بلاد . وبنى بلدة حيدر آباد . وأوجد كثيراً من المدارس والمستشفيات في مملكته ، وفي ايامه انتشر مذهب الامامية في الهند ، وكان مجاهدا في اعلاء شعائر المذهب ، وكان يأمر بعقد المآتم الحسينية في جميع بلاده ايام عاشوراء .

وأحكم روابطه الودية مع الشاه عباس الصفوي حتى ارسل اليه الشاه عباس خاتبا منه ابنته لاحد اولاده فأجابته الى ما طلب وسيروها اليه (١) وكانت وفاته عام ١٠٢٠ هـ .

ثم استلم أزمة البلاد نجله محمد قطب شاه . وكان معروفا بالبر والصلاح . ومن آثاره الجميلة المسجد الجامع في حيدر آباد المعروف بمكة مسجداً . ولم يتم بناؤه على عهده وكان له مجلس يحضره العلماء والادباء . وكان شديد التمسك بولاء أهل البيت . مناصرا لمذهبهم مات عام ١٠٣٥ .

ثم تسلم عرش الملك ابنه عبد الله قطب شاه . وسار على نهج آبائه من اعلاء كلمة التشيع ونصرته لمذهب اهل البيت . وكان مجبا لاهل العلم والادب . مكرما لهم . وقد وفد عليه الكثير منهم وألّفوا

(١) عن تاريخ فرشته « ١٧٤:٢ » .

باسمه عدة كتب وأمر ببناء عدة مدارس . وفي عصره انتشرت
الماتم الحسينية في عاشوراء وكانت وفاته في الثالث من المحرم
عام ١٠٨٣ هـ .

ثم علا أريكة الحكم من بعده ابنه ابو الحسن قطب شاه .
المعروف بتانا شاه ، وقد حدثت له حروب مع « اورنك زيب عالم
كبر » أحد ملوك المغول في دهلي كان في آخرها النصر حليف عالم كبر
فقبض على « ابو الحسن » وسجنه . واستولى على مملكة القطب شاهية
وذلك في عام ١١١٥ هـ .

النظام شاهية والتشيع :

كانت عاصمة هذه المملكة أحمد نكو ، ومؤسس هذه الدولة الملك
حسن ، وكان على مذهب أهل السنة ، واستمر عليه الى ان مات .

ثم استقل بالحكم من بعده برهان نظام شاه ، وهو اول من
اختار مذهب آل محمد صلى الله عليه وعليهم ، وجاهر بالتشيع ، بعد
أن كان شديد التعصب للتسنن ، وسبب ذلك ان الشاه اسماعيل الصفوي
كان قد أرسل العالم الجليل شاه الطاهر الى دكن يدعوهم الى ولاء أهل
البيت واعتناق مذهبهم ، ولما ورد الى دكن ورأى شدة التعصب من
ملوك أحمد نكر للتسنن ، اتقى من الاعلان بمهته فاتفق ان مرض
عبد القادر ابن الملك برهان نظام شاه مرضا شديدا ، وعجزت الاطباء
عن شفائه ، ولما أيسوا وأظهروا العجز عن علاجه طلب العالم الشريف
جليل شاه الطاهر مواجهة الملك ، وبعد ان اجتمع به قال له : اني أدعو

بشفاء ولدك على ان تعتنق مذهب آل الرسول (ص) اذا عوفي .
 فأجابه الى ذلك : ولما نام الملك مساء ذلك اليوم رأى في منامه محمداً
 وخلفاؤه الأئمة الاثني عشر عليه وعليهم السلام ، وهم يقولون : اللهم
 ينق علي وأولاده اشف عبد القادر ابن الملك . ولا تخلف ميعاد ولدنا
 الناهر . فلما اتته الملك مضى الى ام عبد القادر فرآها في دهشة وعجب
 فسألها عما اعترأها من الاستغراب فأجابتة بان الغطاء الذي على
 عبد القادر تحرك من دون محرك وانبط عليه : وقد كان من شدة
 المرض لا يستطيع أن يحرك يداً ولا رجلاً ، وهذا هو السبب لاندهاشي
 فجاءوا اليه ورفعوا الغطاء عنه فوجدوه صحيحاً سوياً كأن لم
 تكن فيه علة ولا مرض ، وكأنه لم يمر عليه ذلك الداء العضال الذي
 اعىى الاطباء ، فمن ذلك اليوم اختار برهان شاء مذهب أهل البيت
 واعتقد ولاءهم ، وذلك عام ٩٤٤ ، واخذ من يومه يجهر بالتشيع .
 ويجري عليه في عامة شؤونه ، حتى في توظيف أرباب الدولة . وحتى
 في البراءة من أعداء آل محمد (ص) بكل صراحة وظهور . وأمر
 بذلك في الشوارع والاسواق والمعابد والمساجد (١) وكانت وفاته
 غفي عنه عام ٩٦١ .

ثم قبض على صولجان الحكم ولده حسين شاه ، واستمر في الامر
 احد عشر عاماً فمات عام ٩٧٣ .

ثم ملك ابنه مرتضى نظام شاه . وكان شجاعاً ذا رأي سديد في
 تدبير الملك . وبصيرة في الحروب وخبرة بالسياسة . اتفق مع سلاطين

(١) عن تاريخ فرشه « ١٠٩٠:٢ - ١١٣ » .

بيجاپور . وگولگندة على حرب راجات جنوب الهند الوثنيين فهزمهم مراراً . وفي ايامه اتسع نطاق ملكه . وكان مؤيداً لمذهب أهل البيت . وقتل عام ٩٩٦ وحمل جثمانه الى الحائر الحسيني بعد استبداءه في الارض زماناً .

ثم ارتقت عرش البلاد زوجته « جاند بي بي » وكانت مثقفة سائسة قوية القلب . قادت الجنود بنفسها بعد وفاة زوجها . وهزمت مرارا جيوش الشهنشاه أكبر . اعظم ملوك المغول في دهلي . واختل نظام احمد نكر بعد وفاتها لمنازعات داخلية . وتولى الحكم من بعدها خمسة من النظام شاهية . ولكن لم تقم لهم شوكة . ولم تطل مدتهم . وانقرضت دولتهم باستيلاء شاهجان احد ملوك المغول على احمد نكر ولم يلاق في فتح بلادهم صعوبة تذكر . وكان زوال ملكهم في عام ١٠١٦ هـ فسبحان الدائم الذي لا انقضاء لملكه ولا زوال .

الشيعة والتشيع في الهند :

ان الصفوية القدح المعلن في بث روح التشيع في الهند . واعلاء مذهب أهل البيت وفيما مضى أكبر شاهد على ذلك . فانه لم تعتق النظام شاهية مذهب أهل البيت . ولم تجاهر به العادل شاهية والقطب شاهية . الا بفضل مساعيهم الجميلة .

يقول « المستر راس » في كتابه « ايران وايرانيان » : ان الملوك الصفوية لم يدعوا الخلافة كملوك الروم . لكونهم شيعيين . ولكنهم تمكنوا من بث روح الدين الاسلامي أكثر من سلاطين آل عثمان

بحذقهم واستقلالهم . وكانوا - لانهم ساء شيعيون - محترمين عند ملوك دكن - وبلغ من احترامهم لهم ان يرسلوا بناتهم الى ايران لمصاهرتهم . وقد أدخلوا « بابر » و « همايون » ملكي المغول الشهيرين تحت سيطرتهم . انصرهم لهما ، وجعلوهما كعبدین بلا ثمن . الى ان مالا الى انتشيع . ولم يكتفوا بذلك بل كانوا يرسلون من وقت لآخر الشعراء والعلماء للدعوة الى التشيع في الهند . من مثل عري ونظيري انشاعرين الشهيرين . والحكيم فتح الله . والقاضي نور لله التستري . العالم الشهير . والحق انه لو لم تجن الاقدار على الدولة الصفوية لكانت اليوم في الهند سلطة شيعية وحيدة . انتهى .

وفي الحقيقة اننا لا نستطيع ان نحكم حكما باتا بتشييع « بابر » و « همايون » ملكي المغول . ولكن دب التشيع الى المغول من « ممتاز محل » (١) وهي ابنة ميرزا غياث وزير الشاه «طهماسب الصفوي» فانه تزوجها الشاه جهان احد ملوك المغول فأولدها مراد وشاه شجاع وكانا مجاهرين بالتشييع (٢) .

نعم يمكن ان يقال بتشييع « اورنگ زيب عالم كبر » احد ملوك المغول . وفاتح بلاد دكن لانه أوصى ان توضع التربة الحسينية في كفته . ومنع ان يشتري كفته من أجرة كتابة القرآن - فانه كان يكتب المصاحف ويعيش بها - لانه زعم ان الشيعة تقول بحرمتها .

١١ - وهي التي تأثرت بدم القتل غيلة ظلما وعدوانا العالم الشهير القاضي نور الله التستري . وقتلت به النجم الفقير ممن سبب قتله .
 (٢) اكسفورد تاريخ الهند .

وقد ظهر ولده الاكبر على علماء السنة في مناظرة مهمة وادرج في الاذان الشهادة لعلي عليه السلام بولاية الله (١) .

ولما كان هذا الزمن تقريبا زمن اضمحلال الدولة الصفوية لم يتظاهر غير هؤلاء من ملوك المغول بالتشيع . فكان من معز الدين جهاندارشاه الى اكبر شاه الثاني كلهم من السنة نعم مال الى التشيع آخر ملوكهم « بهادر شاه الظفر » بفضل مساعي العلامة المفتي السيد محمد عباس التستري المجتهد الشهير . ونجم الدولة دبير الملك اسد الله خان الغالب الشاعر الشهير .

ديلة اوده والتشيع :

لم تنحصر آثار الدولة الصفوية في نشر لواء التشيع على ربوع الهند في الملوك المغولية فحسب ، بل استقلت بمساعيهم في الهند دويلات شيعية اخرى ، ارسل الشاه « طهماسب » ١٢٠٠٠ فارس من جنوده لنصر همايون الملك المغولي والد « اكبر » أشهر ملوك المغول في تحصيل عرشه المقتصب ، وانسلكت جماعة كبيرة من الفرس في بطانة همايون لما وجدوه من الاكرام والاعزاز ، واقامت هذه الجماعة - بعد تقلص ظل دولة المغول - دويلات شيعية في عرض الهند وطولها .

وأول بطل نشر لواء الاستقلال ، وناهض المغول ، هو ابو المنصور صفد جنك ، وما كان ملك وقته احمد شاه يقوى على مقاومته ورد جماحه حين أخذ يتدرج في الاستقلال ، فما زالت تقوى شوكة

(١) تاريخ الهند ص ٩ مؤلفه شمس العلماء ذكاء الله .

الى ان ارتقى على كرسي الامارة المستقلة في « أوده » (١) .

ان امارة اوده لم تنشر لواء التشيع في الهند فقط ، بل كانت باعثاً قويا على بقاءه فيها ، واعلاء كلمته ، ونشر معارفه ، واقامة المآتم الحسينية ، ومجالس الوعظ ، وبناء الحسينيات والمساجد والمدارس العربية ، واشباه مشاهد الأئمة عليهم السلام ، وهذه الاشياء تصنع في الهند تذكرا لمراقدهم وما يجري عليهم وطبعت الكتب العلمية ، وردت هجمات أعداء التشيع عنه ، وكافحت الدعايات التي تبث ضده من مناوئيه ، وأكرمت العلماء وأعلت منازلهم ورتبت لهم الرواتب ، ومنحتهم المراتب ، ولقبتهم بألقاب جلية ، أمثال سلطان العلماء ، وتاج العلماء ، وغير ذلك ، حتى أن بعض الملوك منهم ألقى مقاليد الامر انى عالم عصره ، وانزل جانباً عن الادارة والتدبير ، فلولا مساعي هذه الامارة لما بقي للمذهب الشيعي اسم في الهند ، لكثرة من يسعى من الفرق ويجد ويجتهد للقضاء عليه وجملة القول ان هذه الامارة أسالت الذهب والفضة جداول في سبيل الدين ونشر معارفه واعلاء مذهب آل الرسول (ص) .

ولم تنحصر الآثار الجميلة بهذه الامارة في الهند فحسب ، وانما يصل من وقعتها خيرية أوده لكل من النجف وكربلاء في كل شهر حتى اليوم ٣٧٥ ديناراً عراقية عن خمسة آلاف روية توزع على أهل العلم والفقراء ، وهذا جزء من تلك الخيرية ، وهي خيرية واسعة ، ولها موارد للصرف في الهند أكثر بكثير مما يرد الى العراق .

وما كان ملوك أوده أشياعاً للشيعة وانصاراً لمذهب اهل البيت

(١) ما يأتي قد ترجم عن قيصر التواريخ ، وعن سير المتأخرين ملخصاً .

فقط ، بل كانوا كلهم عدولا منصفين أسخياء ، أولى شفقة على الغرباء
فما أقل أمثالهم من الملوك في التاريخ .

ولما توفي ابو المنصور صفدرجنك خلفه ابنه شجاع الدولة ، ولقد
حارب الانكليز مع شاه عالم ملك دهلي ، ومير قاسم والي بنغالي ،
ولكنه انهزم ، فأسفر عن جعل امارته تحت نظارة الانكليز .

ثم استلم من بعده زمام الامر ابنه آصف الدولة ، وكان عادلا
كرما يضرب المثل بسخائه ، وجعل عاصمة حكومته « لكهنور » بعد
ما كانت « فيض آباد » وتوفي ولم يترك عقباً ، لانه لم يتزوج مدة
حياته ، وترك آثارا جلية سجلها التاريخ في صحائف البيض ، وهو
الذي بذل مبالغاً جسيماً لحفر نهر من الفرات ، ليجري الماء الى النجف
فأجراه وأوصله الى الكوفة ، ومنه اليوم ري النجف ، بواسطة المضخات
والانابيب . ويعرف هذا النهر اليوم بنهر الهندية ، وأصبح بعد زمن
عمود نهر الفرات ، ومنه تشق الجداول (١) .

وبنى في لكهنور حسينية فخمة البناء ، تعرف اليوم بحسينية آصف
الدولة وتعد من اكبر عجائب العالم ، تزورها الناس من شاسع الامصار
ومن مختلف النحل والاديان ، وحسينية في كور كهو بور ، وهما معا
موجودان حتى اليوم ، ولهما وقفيتان واسعتان ، الا ان الحسينية التي
في كور كهو بور وقفيتها قد استولت عليها السنة .

ثم ملك من بعده اخوه سعادة علي خان ، المدير الضابط ، ولكن

(١) وكان تاريخ اجرائه « صدقة جارية » اي عام ١٢٠٨ .

قفّت عليه سياسة الغرب بكأس من السم القاتل .

فقام مقامه ابنه غازي الدين حيدر (١) واستقل بلقب الملك .
باشارة من الانكليز ، وكان متصباً في الدين ، شديد التمسك
بالتشيع .

ثم ولي الامر بعده نصير الدين حيدر ، وكان قوي التمسك
بأهل البيت ، مناصراً للشيعة ، وله في نشر التشيع مساع كبرى ،
ولقد أسس صروح الخيرات ، وبذل مبالغ طائلة في عزاء سيد الشهداء
عليه السلام وبنى شبيهاً لضريحه .

ثم قبض على مقاليد الامور ابنه محمد شاه ، وكان ملكاً عابداً
ورعاً ، ألقى أزمة الملك الى مجتهد عصره سلطان العلماء السيد محمد بن
العلامة ولدار علي غفران مآب (١) وهو يعد من مجدد المذهب
الجعفري في الهند على رأس القرن الثالث عشر من الهجرة .

وأسس محمد علي شاه مباني الخيرات ، ومنها وقفه الكبير الشهير
باسم وقف « حسينباد مبارك » وعليه اليوم اعاشة أكثر سكان البلد
وجزاء منه ينفق على جامعة عربية هي اليوم وحيدة في شأنها في الهند
تسمى بالجامعة السلطانية ، تدرس فيها العلوم الدينية ومبادئها ،
فاندراسه فيها من النحو الى الفقه وأصوله ، وما في أقطار الهند من
مبلغ أو واعظ أو عالم له حظ من العلوم الدينية الا وينتسب اليها .

(١) وزوجته هي صاحبة خيرية اوده وكانت نصرانية فأسلمت متشيعة .

(٢) وهذا اللقب لقب به بعد الموت ، وهو الى اليوم يعرف به .

ثم تولى ابنه محمد علي شاه وحكم في الناس مدة وكان على وتيرة
آبائه السالفين ثم استلم أغنة الحكم واجد علي شاه آخر ملوك أوده ،
وكان جامعا بين العلم والمال ، شاعرا ذا قريحة حسنة ، وطبع جيد
في الشعر ، وله مصنفات مطبوعة ، بعضها بالهندية ، وبعضها بالفارسية
وديون شعر مطبوع ايضا وهو ما بين هندي وفارسي ، وكان يحب
العلماء الشيعةين جبا جما .

ومن المؤسف جدا ان مغالب الانكليز نشبت في جسم هذه
الامة ، ورفعوا على بلادها لواء الاستعمار ، وتسلطوا عليها تماما ،
بعد ان كانت تحت نظارتهم ، وذلك بعد منازعات وحوادث جرت بينه
وبين الانكليز ، بل وبينهم وبين ابيه من قبل ، وتلك سنة القوي مع
الضعيف في ميدان النضال ، وعند نهمة الاستعمار ، فعزلوا واجد علي
شاه بعد الشجار ، وكان ذلك بدسيسة من وزيره الخائن علي نقي خان ،
في زمن امارة « ولهوزي » نائب الدولة البريطانية في عام ١٢٧٤ هـ .
وتوفي الملك واجد علي شاه بعدما غرس في قلوب الناس حبه ،
وان أهل الهند الى اليوم تلهج ألسنتهم بالثناء عليه ، وتفيض في بيان
مآثره ، فانه كان شديد الرأفة برعيته .

دولة تارپور ودولة ميرپور :

تأسست في الهند هاتان الدولتان « تالپور » و « ميرپور » بعد
مدة من استقلال صفدرجنك مؤسس دولة أوده . ولكن قضى
عليهما الجشع الانكليزي بعدما نصبوا الى اميريتهما احداثا
لا صحة لها .

دولة بنغال وبهار وارسية :

بعد وفاة « أورنگ زيب عالم كبر » بقليل انحرف أمير إيراني اسمه « الله وردي خان » عن الملوك المغولية وأسس - وهو شاب نبيه سائس - في مدة قليلة دولة مستقلة في هذه البلدان . وبقي مدة ملكا عليها .

ثم خلفه على العرش سبطه سراج الدولة . ولكن هزمته جنود الانكليز على اثر شجار أهلي . وغدر من جنوده به .

فأقاموا مقامه غير جعفر وكان قائد العسكر قبل ذلك . ولكنه أبى من تحمل ضيم الانكليز . فأقاموا محله صهره مير قاسم . ولما أحس بمضض الظلم اتفق مع شجاع اندولة أمير اوده . وشاء عالم ملك دهلي على حرب الانكليز . غير أن الانكليز رشوا قواد الجيوش فانهزم مير قاسم انهزاما فاحشا . فأرجع الانكليز مير جعفر الى هذه الامارة ثانيا . الا انهم لم يتركوا له نفوذا في البلاد . وانما كان ملكا في الصورة والسلطة بأيديهم . وبعد مدة اضمحل امره . وان أولاد مير جعفر اليوم يعيشون كغيرهم من الرؤساء . يتقاضون مرتبات شهرية من الانكليز .

دولة ترجنابلي ودولة اركات ، ودولة ميسور :

تأسست في جنوب الهند الدولتان الاوليان لاميريهما محمد علي وجندا صاحب . وكان محمد علي تحت نفوذ الانكليز وجندا تحت نفوذ فرنسا . ولكن الانكليز سعوا بخدعهم بفرقة الاهلين . واستعانوا

بافتراقهم على القضاء على دولتي صديقهم وعدوهم معا . واستولوا على
هاتين الدولتين تدريجا .

وتأسست في جنوب الهند ايضا دولة ثالثة تعرف بدوله
ميسور ، أسسها الامير الشجاع الذكي النبيه حيدر علي ، بعدما قتل
راجتها ، وفوي أمره في مدة وجيزة في جنوب الهند كله .

ثم قام من بعده ابنه السلطان « تيبو » ولم يكن كأبيه فطنة
وحذقا . وان ماثله شجاعة وبسالة . ومن ثم لم يقدر على مقاومة
انكلترا ، وان هزمهم مرارا ، وكان في آخر حروبها ان الانكليز حاصروا
عاصمة ملكه ، باعانة نظام حيدر آباد ، ومراحت ، قوم من
الوثنيين ، ثم قتلوه .

ومن غريب ما يحكى عن قوتة انهم قتلوه وهو قابض على
سيفه ، فأرادوا انتزاعه من يده بعد القتل فلم يستطيعوا على ذلك ،
لشدة امساكه عليه ساعة حياته ، فدفنوه والسيف بيده ، وبعد قتله
استولى الانكليز على بلاده .

وتأسست في الهند بعد اضحلال الدولة المغولية دول عديدة
عظيمة متعاقبة ، ولكن اصطادها أجمع ، الانكليز بجائل خداعهم
بأسرع وقت .

الدول الشيعة الحاضرة :

الدول الشيعة الحاضرة هي : رامبور . بيكن بلي . خير بورسكند
وهذه الدويلات الثلاث كدول مستقلة ، لها أنظمة خاصة ، غير انها

تحت نظارة الانكليز ، وحاصل كل دولة منهم يربو على ملايين الروبيات .

وأما حيدر آباد دكن فهي أكبر دولة مستقلة في الهند ، وقد سبب التشيع الى ملكها الحاضر « عثمان علي » وعلى ذلك دلائل وامارات ، أمثال تظاهره في عاشوراء بالكآبة والحزن ، وعقده لما آتم العزاء ، وجلوسه فيها : وجعله يوم العدير عيداً رسمياً كما عليه عامة الشيعة ، الى غير ذلك ، ولكن لما سألته رعيته رسمياً عن هذه النسبة لم يسجل على نفسه الاعتراف بها . وانما أجاب بأنه من المفضلة : يعني بذلك من الذين يفضلون علماً أمير المؤمنين على من تقدم عليه من الخلفاء .

البلاد الشيعية في الهند

توجد الشيعة اليوم في جميع اقطار الهند ، وليس في الهند بلد الا وفيه ناس من الشيعة ، وهناك بلاد تختص بهم ، واخرى يكونون الاكثرية بها ، واليك أسماء البعض من هذه البلاد .

« لكنهور » وهي المركز الوحيد للشيعة الاثني عشرية في الهند ، وعاصمة مملكة أوده الفانية ، ومنبع علمائها قديما وحديثا ، ولها تقدم على جميع البلاد الهندية في الحضارة ، وتعد اليوم من أكبر البلاد العلمية ، وفيها مدارس عربية ، أهمها الجامعة السلطانية ، التي أشرنا اليها عند ترجمة محمد علي شاه أحد ملوك أوده ، ومنها مدرسة الواعظين وهي تختص بالتبليغ ، والمدرسة النازمية ، وقد أسسها العلامة السيد ابو الحسن ، كما أسس الجامعة السلطانية ، وكان من أكبر علماء الهند فضلا وورعا ، ومادة الجامعة السلطانية من وقف حسينباد مبارك كما أسلفناه ، وأما النازمية فمن وقف وقفه ناظم صاحب ، فسميت باسمه ، والناظر عليها اليوم العلامة السيد نجم الحسن ، وهو ناظر ايضا على مدرسة الواعظين . ولما اشتغل السيد نجم الحسن عن النازمية بمدرسة الواعظين آلت النازمية الى الانحطاط ، ومالت عمارتها الى

الانهدام ، فانتقل التدريس منها الى الحسينية النازمية .

وفي لكنهور الشيء الكثير من آثار الشيعة كالمساجد والحسينيات وأشباه المساجد المقدسة ما لو شرحناه لخرجنا عن الصدد .

واليها يرجع الشيعة في الهند من كل قطر ومصر في امهات المسائل الدينية والعلمية ، بل والسياسية وما سواها ، وفيها تقام اليوم المآتم الحسينية من هلال المحرم الى الثامن من شهر ربيع الاول كما تقام في عاشوراء من البلاد الشيعية . هذا مع ما تقام فيها جميع ايام السنة على النحو المألوف في غيرها من بلاد الشيعة ، وان كثرة هاتيك المآتم ومظاهر الحزن فيها تفوق على المآتم المراقبة .

ومن البلدان ، جانبور ، أمروها - وفيها مدرسة عربية - بتنا ، - وفيها مدرستان عريتان - آله باد ، مظفر بور ، لاهور ، بنجاب ، بنارس - وبها مدرستان عريتان - الايمانية ، الجامعة الجوادية ، فيض آباد - وبها مدرسة عربية ومديرها العلامة السيد شير حسن ، وهو ممن تلقى علومه الدينية في النجف الاشرف - سهارن بور ، ميرت - وفيها مدرسة عربية - حسين آباد مونكير . خير بورسند ، يكن بلي ، سيال كوت ، كويته ، بمبي ، حيدر آباد ، جونبور ، كهجوه ، نوكانوان ، وبها مدرسة عربية ، الى ما عداها من البلاد الكثيرة .

الراجات الشيعية في الهند :

الراجة لقب للرئيس الذي هو ادنى مقاما من الامير ، وأعلى

الراجات ، وهي :

محمود آباد ، سليم پور ، متوپور ، يريپور ، ديوركارن ، حسن پور ،
أصغر آباد ، گشن گنج ، بهتومئو ، بلهوا ، الى ما سواها .

نفوس الشيعة في الهند :

لم تحصى نفوس الشيعة في الهند احصاءا مستقلا ، حتى يعلم
عددها بالضبط ، وانما هي محصاة ضمن نفوس المسلمين عامة ، غير
ان المعروف على ألسنة الخبراء ان نفوس الشيعة ٣٥٠٠٠٠٠٠ خمسة
وثلاثون مليونا .

فرق الشيعة في الهند :

ان جبهة الشيعة في الهند من الامامية الاثني عشرية وفيها قليل
من الاسماعيليه (١) والاسماعيليه على فرق والبهرة من فرق الاسماعيليه
ولربما يوجد غير الامامية والاسماعيليه من فرق الشيعة في الهند كالزيدية
ولكن ليس لهم شأن يذكر .

مهن الشيعة وحرفهم في الهند :

يوجد اليوم في شيعة الهند العالم الكبير ، المرجع في التقليد ،

(١) الاسماعيليه هم الذين يزعمون ان الامامة انتقلت من الصادق عليه
السلام الى ابنه اسماعيل دون الامام موسى الكاظم (ع) .

والشاعر البليغ ، والكاتب القدير ، والصحافي الذائع الصيت ، والاديب البارع ، والمحامي الشهير والطبيب النطاسي ، والموظف الكبير في دوائر الحكومة ، وذو الشخصية البارزة ، والضليع بالسياسة والادارة الى غير ذلك من ولاية وراجات ونواب .

وهم يترفعون عن المهن الدنية ، والحرف الوضيعة ، كالكناسة والحماله ، والسقاية ، والحجامة ، وأشباه ذلك ، وانما مطمح أنظارهم ومحط همهم ، المهن الحرة ، والمكاسب الرفيعة ، كالتجارة ، والمحاماة والتدريس ، والطبابة وما ضارع ذلك ، وفقنا الله واياهم الى ما فيه صالح الدارين .

الشيعة في البحرين (١)

كانت البحرين من أعمال الفرس ، وكان أهل البادية منهم عربا ، وأهل البلاد بين نصارى ويهود ومجوس وفرس ، وكان الوالي عليها عن ملوك فارس المنذر بن ساوى ، فبعث النبي (ص) اليه والي

(١) تطلق البحرين قديما على ما بين البصرة وعمان من ساحل بحر الهند مما يلي الجزيرة ، فكان يدخل فيها الكويت وقطر والقطيف والاحساء وغيرها من بلاد الخليج ، ولكن بعد ذلك تشعبت وصارت امارات عديدة ، واذا اطلقت اليوم يراد منها امارة آل خليفة ، وأهم بلدانها المنامة والمرق والرفاع والحد والبذيع .

وكان النبي (ص) قد بعث العلاء اليها عام ثمان وقيل ست مسن الهجرة ، وتعاقبت عليها عدة امارات بعد الخلفاء كبنى أمية وبنى عباس ، وفي أيامهم استولى عليها صاحب الزنج ثم القرامطة ثم الامارة العيونية ، وهي التي استلبته من القرامطة ، واستمر حكمها نحو ٢٥٠ عاما ، ثم امتلكها الفرس الزنجيون ، ثم المغول ثم تيمور ، ثم تغلب البرتغاليون عليها وعلى القطيف ومسقط ، ولم يدم حكمها أكثر من أربعين عاما ، وجلاهم عن تلك البلاد السلطان سليمان القانوني بمساعدة انكلترا ، ثم اختلف امراء جزيرة البحرين وكان أكثرهم من الشيعة فرفضوا شكاوهم الى الشاه عباس الاول الصفوي وطلبوا منه الحماية لقربه منهم موضعا ومذهبا ، فأجاب الشاه طلبهم وخلصهم من سلطة الاجانب ، وبسط الاجانب ، وبسط عليهم

سيخت مرزبان هجر (١) والي أهل البحرين العلاء بن الحضرمي يدعوهم الى الاسلام او الجزية ، فأسلم المنذر وسيخت والعرب كلهم وبعض الفرس ، وصالح العلاء اليهود والنصارى والمجوس على جزية وهي نصف غلاتها ، وقيل عن كل حالم دينار ، ورجع العلاء بمال الجزية الى النبي (ص) وهو مال عظيم جدا ، قيل ان النبي (ص) ما قبض قبله ولا بعده بقدره ، ثم بعث اليها والياً ابان بن سعيد بن العاص الاموي ، وكان من أولياء علي عليه السلام وشيعته والمتخلفين معه عن بيعه ابي بكر ، ولما قبض النبي (ص) فارق ابان البحرين ، ولعله أول غارس لشجرة الولاء فيها .

ثم لما رجع الامر لامير المؤمنين عليه السلام وامتد اليها سلطانه

حمايته الشاهانية ، وما زال علم الحماية الفارسية خافقاً عليها الى ان تغلب الانكليز وصار صاحب الحماية بعد وقائع وحروب .
كان اميرها العام منصور آل مذكور ، فاعتصبها منه آل خليفة بعد حروب ومعارك ، واستصرخ بحكومة فارس فلم تفهه وكان آل خليفة امراء « الزبارة » وهي بلدة في قطر على شاطئ البحر قبالة جزيرة البحرين ، ثم جاءها امير مسقط السيد سلطان عنوة يريد الاستيلاء عليها به لان احس من اميرها الشيخ سليمان آل خليفة الضعف ، فصالحه الشيخ سليمان وجعل عنده رهينة احد اخوانه ، فارتحل به وبالفنائم الى مسقط ، وجعل عليها ولده السيد سعيد اميراً ، ثم استنفاث آل خليفة بابن السعود بعد موت الرهينة ، فاستنقذها ابن السعود ولكن طمع فيها فاستولى عليها وبعد حين استرجعها آل خليفة بمساعدة امير مسقط مالياً وشغلت السعودي حادثة والي مصر معه عن البحرين وغيرها ، وهي اليوم بأيدي آل خليفة تحت حماية الانكليز .

(١) المرزبان الرئيس والزعيم بعد الملك .

استولى عليها التشيع ، ومن ثم لم يستطع معاوية - لما ولي الامر - ان يعزل عنها ولاية أمير المؤمنين والحسن عليهما السلام .

وهكذا دامت محافظة علي الاتساب لاهل البيت مذهباً ، فلما ولي عبد الملك وفتح الكوفة بعد مقتل مصعب بن الزبير ، فر بعض الشيعة الى البحرين خوفاً من سطوته ، فأواهم واليها ، فوجه عبد المالك اليها الجيوش فلم يستطع ان يفتحها حراً ، فخدع بالمال أهل الشر والجهل منهم فجذبهم اليه ، وبهم تمكن من اخضاع البلاد ، وقتل اولئك انفر من مشاهير الشيعة رخيخ أهل البلد ، وحصل الباقيين على مفارقة التشيع فأبوا عليه ، وندموا على ما فرط منهم ، وخاف بأسهم فصالحهم على نزع السلاح على أن يرفع الخراج عنهم ، ثم دفن عين السجور ، وكانت أقوى عين في البحرين ودفن عيوناً كثيرة فيها ، يريد بذلك اضعافهم (١) .

فدامت على التشيع لا نخشى من اعتناقه سلطة حاكم ، ولا تهرب من التصريح به سطوة ظالم ، وتمثل الشيعة فيها اليوم أكثرية البلاد الا البادية .

وكان فيها كثير من العلماء والافاضل والشعراء ، ولكن أخرجتهم المواقف الفوضوية فأخرجتهم الى العراق وايران ، كان التشاجر زمناً طويلاً بين بعض الامراء عليها سبياً للفوضى ، والخطر على النفوس والنفائس ، اهجسوم الاعراب عليها في كثير من تلك الحوادث ، وانت خبير بما عليه عرب تلك البوادي وعرب نجد من الوحشية وغلظ الطباع

(١) عن كشكول العلامة الشيخ يوسف البحراني بإيجاز وتصرف .

وحب الغارة والنهب والسلب ، فكانت تلك الحوادث العديدة التي
تقع مرة بين منصور آل مذكور وبين آل الخليفة ، واخرى بين
آل خليفة وبين صاحب مسقط ، وتارة بينهم وبين آل السعود الى
غيرها هي السبب لسلب الامن داخل البلاد ، ومغادرة أهل العلم
لاوطانهم ، متشتتين لاجئين الى العراق وايران .
وفيها اليوم كثير من أبناء العلم ، وفي كل زمن يوجد منهم
جماعة في النجف الاشرف لطلب العلم وفقه آل محمد .

الشيعية في القطيف والاحساء وقطر

أما القطيف وقراها فهي شيعية خالصة ، وأما الاحساء وقاعدتها - هفوف - فالشيعية فيها يشاطرون غيرهم ، كما ان في قطر كثير من الشيعة ، ولا يزال من هذه البلاد في النجف الاشرف مهاجرون لتحصيل علم أهل البيت عليهم السلام . وفيها اليوم جماعة من أهل الفضل .

وكانت هذه البلاد ممتحنة بسلطة آل عثمان . ولما انتزعتها منهم ابن السعود كانت محتتم أشد وانكى فان ولاية ابن السعود وجنوده يتصرفون في هذه البلاد باسم الدين والامر بالمعروف والنهي عن المنكر . ما شاءت لهم نفوسهم وشاء لها الهوى . غير انها في هذه الايام أخذت سلطة ابن السعود تخفف تلك الوطأة التي كانوا عليها من الشدة والضغط على الحرية المذهبية . فصاروا اليوم لا يلزمونهم بحضور الجمعة والجماعة . ويسمحون لهم بقصد المشاهد المقدسة . ولكن لا يرخصونهم في التظاهر بشعائر المذهب . لا سيما في عقد المآتم الحسينية والبكاء على قتلى الطف .

الشيعة في الكويت وبلاد الساحل

أما الكويت فالشيعة داخل البلد بشاطرون غيرهم دون أهل البادية ، وهم يتمتعون بالحرية المذهبية كاملة ، ولا يجد امراؤهم آل الصباح وهم من أهل السنة فرقا في المعاملة بينهم وبين غيرهم وان شاركوهم في النحلة ، وفي شيعة الكويت اليوم كثير من أهل الثروة لسعة تجارتها ، وجلبها (وهي ساحلية) من الهند وأوربا ما يحتاجه أهل البادية بل وأهل العراق ، كما ان ذلك سبب لثراء أمرائها ، ومنها اليوم تسرب الى العراق أموال طائلة من طريق البادية والبصرة .

وأما البلاد الساحلية كعمان ومسقط ودبي وغيرها فالكثير من أهلها شيعة وهم أيضا يرفلون بإيراد الحرية المذهبية وقيمون الشعائر الدينية من غير معارضة من أرباب السلطان وان خالفوهم في النحلة ، ولا يزال بين ظهرائهم ناس من أبناء العلم للارشاد وتعليمهم أحكام الدين « كما هو الشأن في الكويت أيضا » ويفد عليهم كثير من رجال العلم وأرباب المنابر الحسينية سوى المقيمين عندهم والجميع يقضون الزمن الكثير في ساحاتهم وهم في دعة وأمان .

الشيعة في الافغان

ان دخول التشيع في الافغان كان من يوم دخوله في ايران ، غير انه لم يجد أنصارا ونجدة كما وجدها في ايران ، بل ربما فاهضته السلطات وأهل البلاد واشتدت في مقاومته ، وان أحسن يوم مر عليه يوم كانت الصفوية صاحبة السيادة على هذه البلاد ، وأما حاله في هذه الازمان فيختلف حسب اختلاف أرباب السلطة ونزعاتها ، فلربما شاهد الضيق والضعف ، وأخرى الراحة والحرية ، وان أرغى عيش مر على الشيعة في هذه الآونة يوم كان ملك البلاد « أمان الله خان » فانه كان أوسع حرية لهم من سواء ، كما انه وجد منهم نصرة ونجدة لانهم بوسائل وفرسان حرب وطعان - يوم حاربه « باجا سقا » واهتوى عليهم الأسف يوم انتصر ابن السقا عليه ، بل شاهدوا من ابن السقا الشدة والخسف حينما قبض على أزمة الامور ، ولكن أيامه لم تطل ، حيث توقف نادر خان ملكها بالامس للانتصار على ذلك الفاتك الفاتح ، وقد قبض عليه وأعدمه ، وان نادر خان - كما أخبرت عنه الوفاد من أهل تلك البلاد لزيارة المشاهد المقدسة - خير بسياسة البلاد ، حسن السيرة مع الرعية . وهو من عائلة الملك المغلوب

أمان الله خان . واما الملك الجديد خلف نادر خان وهو ولده « ظاهر خان » فهو شاب جديد عهد بالامرة . فلا تستوثق حاله مع الشيعة الا بعد أن قبض على الحكم بيد من حديد (١) .

وان التشيع في الافغان في هذه السنين - وان كانت السلطة من غيره - ينتشر ويسير . ويعتقده الناس الذين من غيره ، بل حتى من أهل العلم والعرفان . وان أهل العلم والمعرفة أجدر باتباع طريقة أهل البيت اذا اتضح لهم السيل .

وشيعة الافغان اليوم مع شيعة تركيا وبلاد التتر المستقلة تقدر بعشرة ملايين من النفوس .

(١) والى اليوم لم يظهر لنا حاله جليا مع الشيعة ، واجتمعت عام ذهابي الى الحج بشخصيات محترمة من الافغان فوجدت منه غلظة على الشيعة .

الشيعة في افريقيا

قلنا ونقول : ان التشيع يرافق الاسلام كلما دخل مصرأ أو خيم على قارة ، غير ان انتشاره في افريقيا بعد ان دعا اليه ابو عبد الله الشيعي يوم جاء داعياً الى عبيد الله المهدي الفاطمي ، وابو عبد الله انسب الوحيد لتمهيد الدولة الفاطمية بأفريقيا ، وفيها استفحل أمرها، ومنها تغلبت على مصر .

وسرى التشيع في أفريقيا منتشراً الى ان قاومتها السلطة وأهل البلاد يوم كان أمير أفريقيا وصاحب الامر فيها المعز بن باديس ، بل حاربتة ونفكت به الفتك الذريع ، قال ابن الاثير في حوادث عام ٤٠٧ « ١١٠:٩ » : وفي هذه السنة في المحرم قتلت الشيعة بجميع بلاد افريقيا ، ثم ذكر ان السبب في ذلك هو ما ينسب اليهم من سب الشيخين ، وكان المعز بن باديس قد مر على جماعة منهم في القيروان وقد سأل عنهم ، فلما أحسن الناس من المعز الميل عنهم انصرفت العامة من فورها الى درب المقلبي من القيروان وهو مجتمع الشيعة فقتلوا منهم ، وذلك كان شهوة العسكر وأتباعهم طمعاً في النهب ، وانبسطت أيدي العامة في الشيعة ، وأغرامهم عامل القيروان

وحرضهم . فقتل من الشيعة خلق كثير ، وأحرقوا بالنار . ونهب ديارهم ، وقتلوا في جميع أفريقيا . واجتمع جماعة منهم الى قصر المنصور رقيب القيروان فتحصنوا به : فحصرهم العامة وضيقوا عليهم ، فاشتد عليهم الجوع ، فأقبلوا يخرجون والناس يقتلونهم حتى قتلوا عن آخرهم ولجأ منهم بالمهدية الى الجامع فقتلوا كلهم : وكانت نسمى بالمغرب « المشاركة » نسبة الى ابي عبد الله الشيعي وكان من المشرق ، واكثر الشعراء ذكر هذه الحادثة فمن فرح وسرور ، ومن بالك حزين ، انتهى .

وهذه احدى النكبات الفظيعة التي لاقاها التشيع في حياته وما أكثرها .

ويظهر من ابن الاثير ان هذه الحادثة استأصلت الشيعة في جميع بلاد أفريقيا ، ولكن من يقف على كثرة الشيعة اليوم في بلاد افريقيا يتجلى له ان روح التشيع ما زالت باقية بعد ذلك الحدث المؤلم ، ولعلها دخلت هذه القارة مرة ثانية بعد فنائها في حادثة المعز .

وتقدر الشيعة اليوم في أفريقيا بليون ونصف مليون من النفوس ويشهد لكثرتهم في الوقت الحاضر ان بعض ذوي العلم من النجف يقصدون قسما من أفريقيا كرنجار (١) وغيرها بين وقت وآخر ، ولو لم يكن فيها من الشيعة نحو هذا القدر لما شدد اليها الرحال من فريق من أهل العلم على بعد المسافة بين البلدين ، وعلى ما في طريق البحر من الاهوال والمخاوف .

(١) قد يجيء منهم اناس لزيارة العتبات المقدسة كل عام واجتمعت جماعة منهم في منى في الحج فوجدتهم جموعا بين الثروة والعقل والصلاح والآداب .

الشيعة في امريكا

أكثر السوربون ومن بينهم جبال عاملة بالهجرة الى الولايات المتحدة والارجنتين والبرازيل وغيرها من بلاد امريكا للعمل والتجارة وقليل منهم للزراعة ، وكان بدء هجرتهم من قبل نصف قرن تقريبا والشيعة فيها اليوم ما ينوف على الخمسين ألفا ، وهم فيها ذوو شأن وعزة وقيمون شعائر الاسلام علنا . وأسسوا مسجدا فخما في الولايات المتحدة في « دترويت متسكن » القرية من العاصمة « نيويورك » وبه تقام لهم الصلاة جماعة ، وبين أظهرهم من به السكن لهم في معرفة أحكام الدين وهو حضرة العلامة الشيخ خليل بزي ولا تزال مواصلاتهم ومراسلاتهم جارية مع اخوانهم العاملين في لبنان والنجف .

وفي امريكا ايضا من الشيعة غير العاملين قوم من الفرس والهنود وقليل من العراقيين .

وللامريكانين ميل الى الاسلام ورغبة فيه بل وتهافت عليه . وأهم الاسباب التي تدفع بهم لاعتناق الاسلام هو البحث والتنقيب عن الاديان . والا فليس هناك دعاة من بني الاسلام ذوو كفاية ومقدرة وقوة حجة وعارضة وبصيرة في الاديان لتقوم بهم الحجة . على ان امريكا هي منبع الدعوة لمذهب « البرتستان » وهذه دعااتهم

لا تدع بلدا الا وولجته . ولا تترك لسلكا الا ونهجته . تقنم المخاوف
ولا تهاب الاخطار . وهذا العراق العربي تبيك بلدانه وقراه عمن
كان يطردها في كل عام من المبشرين وما ينشرونه من الكتب ويتقنون
به من أساليب الدعوة . بل وتعرفك فيه مستشفياتهم وأطبائهم .
ومكتباتهم ومكاتبهم ومدارسهم وقسمهم عما أقوله وأدعيه . وهم
حتى اليوم ماثرون على الدعوة وان أخفقوا . ومجدون نحو الغاية
وان لم يصلوا . وان تعجب من هذه المناورة مع اخفاق ، وذلك الجهد
مع الفشل ، فان الاعجب منه انا بنو الاسلام مع ما نراه من النجاح
ملموسا في تهاقهم على الاسلام قد اخذتنا سنة الغفلة عن اليقظة
للدعوة . وخامرنا داء الكسل عن النشاط للارشاد . تركناه وحده
سائرا في طريقه يقطع المفاوز والقفار . ويتنقل من بلد لآخر . لا نشد
عضده . ولا نأوي وافده ، وليتنا تركناه وشأنه لا له ولا عليه دون
ان نألوا جهدا في نقض شامخ بنائه ، وقلع ثابت أساسه . بما عكفنا
عليه من مخالفة أحكامه ، وفرطنا فيه من نبذ شرائعه وقوانينه .

نعم نحن أجرى من ليث في قتل بعضنا لبعض . وأقوى ساعدا
في ذلك حصون قوم لآخرين . وأشد أقداما لبش الدفائن من أبناء
ملتنا وأشد صوارم أفكار للحملة على أبناء ديننا . فلا حول ولا
قوة الا بالله العلي العظيم ، وما هذه الا نقشة مصدور . ورنه آسف .
ولا يبلغ صداها سقف البيت . ولو نجد آذانا صاغية ، وقلوبا واعية ،
لما جف مداد القلم عند هذه الكلمات النزر وهو مليء الجوف أو يقف
عن الجري في هذا المضمار وهو واسع الحلبة .

الشيعة فى الصين

دخل الاسلام الصين ايام العباسيين أو من قبل . ولا يزال ينتشر ويسير ، شأنه اذا خيم على قارة ، غير ان التبشير النصراني اليوم يقاومه ويعترض في طريقه ، ولكن ذلك لا يصد أبناء الاسلام عن جهادهم في سبيل بث الدعاية له . وترويج مبادئه الحقّة .

وللمسلمين في الصين جرائد ومجلات ومساجد وعلماء فلهم في « بكين » عاصمة الصين ثلاث جرائد ، واحداهن تصدر في الاسبوع ثلاث مرات . ولهم جرائد اخرى في « تسنن » وفي « يوتن » ومجلة شهرية في بلدة « مكدن » ويصدر المسجد في بلدة « كاتتن » مجلة شهرية اسلامية محضة . تصدر كل شهر الف نسخة . وترسل مجانا الى كبار كتاب المسلمين وعلمائهم وزعمائهم في انحاء البلاد ولهم في « كاتتن » ايضا خمسة مساجد من قديم الزمان . وثلاثة منها جوامع عظيمة الشأن وأما العلماء في الصين فحالهم من جهة المعاش ضيقة (١) .

(١) راجع العرفان ج ١٩ ع ٤٥ ص ٥٠ المقال المعنون « الاسلام في الصين امس واليوم » .

وأما التشيع فهو يسائر الاسلام ويرافقه : فما زال كالا سلام يسير في بقاءه . ويتسرب الى جماعاته ومجتمعاته . حتى كثر في هذه الآونة . وانتشر في هذه الازمات . فتقدر الشيعة اليوم في الصين بأحد عشر مليوناً من النفوس ولعابها كذلك في باقي السنين . ولا نعرف ان لهم صلة مع العواصم الشيعية والبلاد الموالية لاهل البيت . ولم نطلع حتى اليوم على مواصلة أو مراسلة لهم مم أهل الدين والعلم في النجف .

ولما كان المسلمون بفريقهم في الصين كثيرين . وهم اكثر من غيرهم معارفاً وعلوماً فقد يتقلدوا المناصب العالية في الدولة الصينية كالوزارات والقيادات وغيرها . وأحسب ان ليس هناك من فرق بين الشيعة والسنة في اقامة الشعائر الاسلامية ومظاهر الوحدة والاتفاق فاننا حتى اليوم لم نسمع ولم نقرأ على كثرة نفوس الفرقتين بالشجار والشغب بينهما ، يداً أو قلماً أو لساناً . كما يقع في سائر البلاد التي تجمع هاتين الطائفتين . نسأله تعالى أن يمن على فرق المسلمين بالتكاتف والتعاقد وجمع الشتات وتوحيد الكلمة ، انه خير موفق ومعين .

الشيعة فى جاوا

ان فى جاوا اليوم كثيراً من الشيعة . ويقدرّون مع شيعة مالاقا وجزائر المحيط الهندي بمليون نسمة . ولبعدهم عنا لا نعرف عن حالهم الا النزر القليل ، ولبعض العلويين الحضرّيين الذين فى جاوا مراسلة مع بعض علماء النجف، الاعلام ، وللعليّيين اليد الطولى فى نشر مذهب أهل البيت هناك . وكان منهم العلامة السيد محمد السيد عقيل طاب رmse من المجاهدين فى خدمة مذهب آبائه وله مؤلفات عديدة منها ، النصائح الكافية ، والعتب الجميل على أهمل الجرح والتعديل (١) وتقوية الايمان ، والقول الفصل ، وكان يقيم فى « سنغافورا » من توابع الهند .

وكانت جريدة لعلوية الحضرّيين اسمها « حضرموت » ترد لبعض النجفيين ، وكنت أطلع عليها أحيانا ، ولهم جمعيات ونواد

(١) قرظت هذا السفر النفيس بعد ورودد الى النجف ووقوفى عليه باشارة من ذلك العالم الذى كانوا يرسلونه ؛ بقصيدة نشرت فى بعض الصحف المحلية مطلعها :

هداة الحق اهدى للسبيل ونورهم كفاك عن الدليل

أدبية علمية تربط أواصر بعضهم مع بعض ، غير ان بعض أهل مصر بل وبعض المناوئين لهم مذهباً من أهل البلاد لا يزالون يعارضونهم في نشر مذهب أهل البيت ، بل ربما سعوا بهم عند « هولانده » وهي الدولة المستعمرة لهم ، زاعمين انهم يسعون لبث روح الاستقلال في انجاوين ، ليحملوها بتلك السعاية على النكاية والفتك بهم ، ولكن « هولانده » لم تعر سمعاً لتلك الوشاية الكاذبة ، والسعاية الضالة ، كما كانت تفضح بذلك جريدة حزموت (٢) .

(٢) ولا نعرف عنهم شيئاً بعد هذه الحرب الثانية ، وماذا حل بهم بعد مطالبة الجاوين بحقوقهم من الاستقلال .

الشيعة في روسيا

كان للشيعة في البلاد التي تحت الحماية والسلطة الروسية حرية واسعة في الشعائر الدينية ، كبلاد بخاري والقوقاس وغيرهما ، وكانوا قبل الحرب العالمية عام ١٣٣٢ هـ يتواردون بكثرة لزيارة المشاهد المقدسة ، ويفدون مهاجرين لطلب العلم الديني ، وإلى اليوم منهم جماعة في النجف الاشرف ، حالت دون وصولهم لاطنانهم ، ودون الصلات لهم من بلادهم ، هذه السلطة الحاضرة .

ولما دالت الايام — والايام دول — بامبراطورية الروس وجابرتها المالكين ، وعاد الحكم فيها للشيوعيين ، ضيقوا عليهم أشد التضييق ، ولم يسمحوا لهم بالخروج من البلاد للزيارة بل ولا للتجارة ، والمعروف عن هذه السلطة انها منعت المسلمين عامة من التظاهر بشعائر الاسلام وربت الناشئة على المبادئ الشيوعية جبرا ولئن دامت الحال على ما نسمع فلا تسمع ولا ترى — لا سمح الله — للاسلام في البلاد التي تحت سيطرة روسيا أثراً ولا تحس له بحركة .

وتقدر الشيعة قبل اليوم في روسيا بعشرة ملايين ، ولا نعلم قدرهم اليوم ، نفس الله عنهم هذا الكرب ، وخلصهم من نير الظلم ، انه صميع مجيب .

الشيعة في سائر البلاد

لا أريد أن أستمعرض حال كل شيعي تظله السماء ، او كل بلد يقطن فيه شيعة من كل قارة في المعمورة ، وانما أريد تنبيه المشاعر الى كثرتهم في الوجود ، واتشارهم في البلاد كافة ، حتى ان بلاد اوربا وعواصمها لا تغلو من هذه الامة ، أمثال لندن ، وباريس ، ونيويورك ، وبرلين ، وغيرها ، وبالاشارة الى ذلك دون بسط القول وسعة البيان عن أحوالهم مقتنع .

الخاتمة

لتعلم - هذيت الى الرشد - ان ليس من قصدنا احصاء الشيعة واستقصاء البحث عن تطوراتها أجمع ، من يوم بزوغها في أفق الوجود الى اليوم في هذا الكتيب الصغير الحجم ، فان ذلك الاحصاء وهذا الاستقصاء يكلفان الباحث ان ينفق زمنا طويلا من عمره في البحث والتنقيب ، وتأليف عدة كتب ضخمة الحجم ، وانما الغرض الاقصى الامام بتاريخ الشيعة وبلاد الشيعة ليقف القارئ على انتشارهم في العالم ، وكثرتهم في البلاد ، وان بزوغ بدرهم كان في عهد الرسول صاحب الدعوة صلى الله عليه وآله ، وتكوينهم بدعوتهم ، وفي عهده وجدوا ، وفي أيامه سمت جماعة بالشيعة وان ذلك التشيع هو الذي سار وانتشر في البلاد وان التشيع الى الأئمة من العترة ينتسب ، وعندهم يأخذ وما كان هذا شأنه كان جديرا بالعناية ، حقيقا بالتقدير ، لا سيما والقائلون به اليوم هم ثلث المسلمين عددا .

ولئن دعت السياسة في العصور الاولى لمنازحته ومحاربتها بشتى الاساليب ونسبة ما لا يصح نسبته اليه من العقيدة ، فلا يجوز مثله اليوم ، وقد تقلص ظل تلك السياسة وذهب أمس بما فيه ، وتجلت

حقيقة هذا المذهب علما وعملا وأدبا وخلقا من ممارسة ابنائه ، واستقراء تأليفه ، وكيف يصح أن يقال عنه انه نبغ من فارس ، أو انه فرقة هدامة ، أو ما شابه هذه النسب الباطلة وما أصله الذي تفرع عنه واليه انتسب الا علي أمير المؤمنين وأولاده الاحد عشر ، الذي يقر بفضلهم حتى اعداؤهم ، ويعترف بعلمهم وسموهم بالفاضل حتى من لم يستمسك بحبل ولائهم .

ودونك ايها النصف البصير كتب الشيعة فاستقرها ، وتبحر في أسانيدها ، وافحص عن مداركها ، لتعرف انها لم تؤخذ الا عن النبي الأطهر وعترته عدل القرآن ، وسفينة نوح ، وباب حطة ، وامان الارض ، الذي أمرنا ذلك المنتخذ الاعظم بالتمسك بهم ، والاخذ عنهم ، والركوب في سفينتهم .

وما الغاية من هذه الكلمة ان أرشد الى فضل الشيعة وميزتهم على الفرق ، وانما أقصد تحذير أرباب الاقلام والبصائر من أن يتبعوا نهج الاوائل الذين سخرتهم السياسة لقذف الشيعة بالاباطيل ، من دون حجة ودليل ، سوى انهم شيعة ، وان من يريد ان يكتب عن فرقة لها وجود منبسط في الامم ، ولها كتب وعلماء وأدباء وشعراء ، تناهز أكبر فرقة مسلمة في التأليف والعلم ان لم ترب عليها لا يسوغ له ان يعتمد على أقوال سلفه وادعاء خصوم تلك الفرقة ، فان ذلك ليس من الامانة والنصف ، وانما الجدير به ان يستند به الى أقوال هاتيك الفرقة نفسها ، والى كتبها المؤلفة في كل علم وفن ، المنتشرة في كل بلد ومصر ، وبعد ذلك فليكتب ما شاء بعد اطلاعه على ما تحرره واستاده الى ما يؤلفه ، مستتبطا ذلك من أقوالهم ، ذاكرا لمدركة من تحاريرهم .

نيسأله تعالى ان يرشدنا وقومنا الى الحق ويلهمنا قول الصدق ،
ويبيط عن أعيننا غشاء العصية ، وعن صدورنا احن الجاهلية ، انه
سميع مجيب .

وكان العزم يوم شرعت في تأليف هذا الكتاب ان أجعله عدة
كتب في عدة مواضع ، فمن الشيعة في التاريخ ، الى الشيعة في المذهب
الى الشيعة في الاخلاق ، الى الشيعة في الادب ، الى الشيعة في الرجال ،
الى غير ذلك ، ولكن الحيلولة دون طبع هذا الكتاب يوم تأليفه تقض
عزيمتي وقر من همتي ، وقد عرفت الله بنقض العزائم ، ولو تم
ما عزمت عليه لعرفت الشيعة من كل ناحية ، وأن لم تكن مجهولة عند
أهل الخبرة والاطلاع ، ولئن تجاهل أحد في عرفاتها كان له من
مؤلفاتها أفضل معرف ، ومنه نستمد التوفيق والتسديد .

وأستبجح العذر اخواني الكرام عن هفوات اليراع ، راجيا ان
يسدلوا عليها حجاب الصفع والعفو ، فان العصمة لله وحده ، ولمن
اختاره من عباده ، وأشكرهم على ما يلفتوني اليه من سقطة ، ويرشدوني
اليه من اصلاح ، لتندارك مافات في طبعة اخرى . وأسأله تعالى ان
يعصم الجميع من الهفوات والعثرات ، ويوفقهم للصواب والصلاح ،
انه ولي الاجابة والتوفيق .

والحمد لله وحده ، وصلاته وسلامه على خاتم أنبيائه ،
وخيرية أوصيائه ، أولا وآخرا .

الفهرست

الموضوع	صفحة
تقريب الشيخ آغا بزرك الطهراني	٥
تقريب الشيخ محمد الخليلي	٧
باعت التأليف	١١
معنى الشيعة	١٣
متى ابتد التشيع	١٨
انتشار التشيع	٢٠
خلافة امير المؤمنين والتشيع	٢٥
اين الفرس من حروب المرتضى	٢٧
الشيعة ومعاوية	٢٨
نهضة الحسين (ع)	٣٤
نهضته وانصار امية	٣٧
وقعة الطف عند اهل البيت	٣٩
الشيعة وابن زياد	٤٢
الشيعة ايام المختار	٤٣
الشيعة ايام السجاد(ع)	٤٦
الشيعة زمن الحجاج	٤٨

٥٠	الشيعة ايام الباقر (ع)
٥٢	الشيعة ايام الصادق (ع)
٥٥	الشيعة ايام الكاظم (ع)
٥٨	الشيعة ايام الرضا (ع)
٦٣	الشيعة ايام الجواد (ع)
٦٦	الشيعة زمن الهادي (ع)
٧٠	الشيعة ايام العسكري (ع)
٧١	الشيعة في الغيبة الصغرى
٧٤	الشيعة في الغيبة الكبرى
٧٥	الشيعة في العراق
١٠٠	النجف الاشرف
١٠٤	الكاظمية
١٠٦	سامراء
١٠٩	الموصل وشمال العراق
١١٣	البصرة
١١٥	جملة القول في شيعة العراق
١١٧	الشيعة في الحجاز
١٢٧	الشيعة في اليمن
١٣٩	الشيعة في سوريا
١٤٣	حلب
١٥٣	الشيعة في جبل عامل
١٦٤	بعلبك
١٧٣	الشيعة في مصر
١٨٤	الشيعة والفاطميون بمصر ✓
١٩٢	الشيعة والايوبيون بمصر

١٩٧	الشيعة في ايران
٢٠٠	الامارة الطاهرية في هرات
٢٠٢	محمد بن زيد العلوي
٢٠٣	الحسن بن علي الاطروش
٢٠٤	الحسن بن القاسم الداعي
٢٠٥	الشيعة والبوهميون في ايران
٢١١	الشيعة والمغوليون في ايران
٢١٦	الشيعة والصفوية في ايران
٢٢٢	الشيعة والقاجارية في ايران
٢٢٧	الشيعة في الهند
٢٣٢	التشيع في الازمنة الوسطى والدولة البهمنية
٢٣٣	العاقل شاهية والتشيع
٢٣٦	القطب شاهية والتشيع
٢٣٨	النظام شاهية والتشيع
٢٤٠	الشيعة والتشيع في الهند
٢٤٢	دولة اوده والتشيع
٢٤٦	دولة تاربور ودولة ميربور
٢٤٧	دولة بنغال وبهار واريسة
٢٤٧	دولة ترجنبالي ودولة اركات ودولة ميسور
٢٤٨	الدول الشيعة الحاضرة
٢٥٠	البلاد الشيعة في الهند
٢٥١	الراجات الشيعة في الهند
٢٥٢	نفوس الشيعة في الهند
٢٥٢	فرق الشيعة في الهند
٢٥٢	مهن الشيعة وحرفهم في الهند
٢٥٤	الشيعة في البحرين

طبع على مطابع

وَأَرْزَقُوا

لِلطَّبَاعَةِ وَالنَّشْرِ وَالتَّوْزِيعِ

بِبُورِيت - لُبْنَان